

الإله الحقيقي

THE REAL GOD



كيف يتوق إلى أن تراه

تشيب إنجرام

الإله الحقيقي

الطبعة العربية الأولى ٢٠١٩

المؤلف : تشيب إنجرام

الناشر: Levant Ministries

الترقيم الدولي: ISBN 978-1605933399

للطلبات والاستفسارات، الرجاء التواصل معنا على البريد الإلكتروني.

info@nextgenarabic.com

زوروا موقعنا على الإنترنت: www.nextgenarabic.com

الشواهد الكتابية في هذا الكتاب مأخوذة من ترجمة فاندايك/البستاني،
إلا إذا ذكر غير ذلك.

جميع الحقوق محفوظة لهيئة ليفانت ليفانت LEVANT MINISTRIES

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر. ولا يجوز استخدام أو اقتباس أي جزء منه من دون إذن الناشر، وللناشر وحده حق إعادة الطبع والنشر من خلال النسخ المطبوعة أو أي وسيلة سمعية أو بصرية أو عبر الإنترنت في أي مكان.

English Edition © 2016 Chip Ingram, and Living on the Edge.

Arabic Edition © 2018 Levant Ministries, Chip Ingram, and Living on the Edge.

Design and artwork by LEVANT MEDIA

Translated by DoneByNative



تشيب إنجرام

هو مؤسس ومدير خدمة حياتك على حافة **Living On The Edge** وهي خدمة دولية تختص بالتعليم والتلمذة المسيحية. عمل تشيب كراعٍ لأكثر من ثلاثين عامًا، ولديه قدرة فريدة على إيصال الحقيقة وتحدي الناس للعيش بحسب إيمانهم. ألف تشيب العديد من الكتب، مثل «السماء الحقيقية» **The Real Heaven** «الحرب الخفية» **The Invisible War** «الحب، والجنس، والعلاقات الدائمة» **Love, Sex and Lasting Relationships**. لتشيب وزوجته تيريزا أربعة أولاد واثنا عشر حفيدًا ويعيشون في ولاية كاليفورنيا.

الإله الحقيقي

The Real God



كيف يتوق الله إلى أن تراه

تشيب إنجرام

CHIP INGRAM



LEVANT
MINISTRIES

LEVANT
MINISTRIES

من نحن

ليقانت هيئة مسيحية غير طائفية هدفها هو تمكين الجيل التالي من المسيحيين وتهيئتهم ليكونوا أتباعا أمناء ليسوع المسيح ومؤثرين بصورة فعالة في العائلة والكنيسة والمجتمع.

نشاطاتنا وخدماتنا تتم من خال الشراكة والتعاون مع الكنائس والمؤسسات المسيحية المحلية في جميع أنحاء العالم. نطمح بأن نستمر في بناء جسور الصداقة مع الجميع فيكون كل ما نقوم به لمجد الله وامتداد ملكوته.

تواصل معنا...

محتويات الكتاب

	شكر وتقدير
II	مقدمة
١٥	يعتمد الأمر على كيفية رؤيتك له
٢٩	رؤية الله بوضوح
٤٩	الله يتوق إلى أن تراه
٦٥	صلاح الله
٩٥	سيادة الله
١٢٥	قداسة الله
١٥٩	حكمة الله
١٨٩	عدل الله
٢٢٣	محبة الله
٢٦٣	أمانة الله
٣٠٣	هل تغيرت رؤيتك إلى الله؟
٣٠٩	الخاتمة
٣١٧	الملحق: كيفية التمتع بعلاقة شخصية بالله

مقدمة

كنتُ في الحادية والعشرين من عمري آنذاك. وكانت تلك هي زيارتي الأولى إلى آسيا، حيث كنت مسافرًا كعضو في فريق كرة سلة تبشيري. وأثناء وجودنا في هونغ كونغ، أقمنا لبعض الوقت في منزل أحد المبشرين المخضرمين، وقد أثار هذا المبشر اهتمامي بشكل كبير. في صباح أحد الأيام، دعاني وزملائي اللاعبين إلى غرفة مكتبه للمناقشة.

رغم أن الغرفة التي دخلناها كانت مكتظة بالكتب، إلا أن ما لفت انتباهي على التو كان حائطًا تراصت عليه رفوف ممتلئة بالكتب ذات الأغلفة الورقية الخفيفة. وبينما كان المبشر يسير في اتجاه ذلك القسم من مكتبته، أوضح لنا أن لديه عادة قديمة أن يقرأ كتابًا مسيحيًا كاملًا كل يوم. كان قد تعلم تقنيات القراءة السريعة لتتماشى مع ما حباه الله به من عقل فطين وذكاء حاد. ومن عناوين الكتب، أدركت أنه ليس مجرد مطالع عادي. إذ تمكنت من التعرف إلى العديد من الكتب الكلاسيكية التي تراصت بإحكام فوق تلك الرفوف المزدهمة.

كنا هو وأنا قد خضنا محادثات عدة، وأعتقد أنه ميّز في داخلي جوعًا روحيًا اجتذبه إليّ. كما أدركت في وقت لاحق أنه كان مهتمًا بي بشكل خاص، وسأظل مدنيًا له على هذا الأمر ما حييت.

مدّ يده ليختار كتابًا من فوق أحد الرفوف، ثم استدار مقابلنا، موجّهًا نظره نحوي بشكل مباشر. شعرت من نظرته الدافئة أنّ عليّ أن أولي اهتمامًا خاصًا بما كان على وشك أن يقول. كان رفاقي مشغولين بإيجاد مقاعد لأنفسهم لذلك لم أتفاجأ عندما خاطبني قائلاً: «تشيبي، هل سبق لك أن قرأت هذا الكتاب؟» قالها وهو يمد يده إليّ بالكتاب مشجّعًا إياي على أخذه.

التقطت منه الكتاب وألقيت نظرة على الغلاف. فوجدت أنني لم أقرأه من قبل ولا حتى سمعت به، وكان عليّ أن أعترف للمبشر بذلك. قابل المبشر اعترافي بابتسامة، ثم قال: «إنه أفضل كتاب قرأته على الإطلاق». نظرت إلى الكتاب مرة أخرى، عازمًا على تذكر العنوان واسم المؤلف حتى أتمكن من قراءته عند عودتي إلى أميركا. لكن المبشر لم يكن قد أنهى حديثه بعد، إذ استطرد: «لماذا لا تأخذه وتقرأه خلال إقامتك هنا في هونغ كونغ؟ يمكنك إعادته قبل أن تغادر.»

أثارت شخصية ذلك المبشر تحديًا كبيرًا في داخلي ولا أستطيع أن أصف الأسباب المحددة لذلك. أردت أن أتعلم ما تعلّم وأن أقرأ ما يقرأ. لم أكن أعرف وقتذاك أن الكتاب الذي وضعه بين يديّ سوف يغيّر مجرى حياتي.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، بدأت بقراءة ذلك الكتاب الصغير لأبدأ من خلاله رحلة لم أنهها حتى الآن. وقبل أن أغادر هونغ كونغ، سمح لي صديقي المبشر بأن أحتفظ به كهدية. أمسى ذلك الكتاب رفيقي الدائم في خلال تلك الأيام.

في الواقع، لا يزال ذلك الكتاب يشغل مكانه الدائم في حقيبة اليد الخاصة بي أينما ذهبت.

افتتح الكاتب بها الكتاب بجملة واحدة كان لها أبلغ الأثر في حياتي:

«إن ما يخطر ببالنا عندما نفكر في الله هو أهم شيء في حياتنا.»

كان موضوع الكتاب هو صفات الله، فتح المؤلف عيني على طرائق جديدة لرؤية إله الكتاب المقدس بشكل لم أفكر فيه ولا تخيلته قط. وتقريبًا على الفور، وبدأت صلواتي تتغير على الفور تقريبًا مع تعمق إدراكي مدى عظمة الله الإله الذي أصلي له وقوته ومعرفته الكلية. لقد بدأت مشاكل البحث عن الذات والصراع مع الشعور بالذنب تتبدد كلما تأملت أكثر وبشكل أعمق في مغفرة الله وعطفه. وأصبح إدراكي لجلال الله وعظمته أكثر وضوحًا حينما أدركت، بشكل لم أعه من قبل، أن رب كل الخليقة يتوق إلى صداقتي حقًا.

الكتاب الذي بين يديك هو دعوة لك إلى الانضمام إليّ في رحلتي. قد يبدو لبعض القراء، أن محتوى هذه الصفحات مألوف جدًا. سيدرك بسهولة أولئك الذين قرأوا A. W. Tozer و J. I. Packer وآخرون مثلهم مدى عرفاني بالجميل لهم. لقد حاولت قدر الإمكان أن أنسب كلماتهم (وآخرين غيرهم) إليهم كما هي، كلما اقتبستها. ولكن أولئك الذين لديهم معرفة في الكتاب الكلاسيكيين الذين تناولوا معدن الله الأخلاقي سيسمعون أصداء أفكارهم ويلمسون تأثيري بهم في كل صفحة. وأنا لا أزعم ولا حتى أسعى إلى أن أحسب معهم في الفئة نفسها كعلماء.

لقد أثرى حياتي بشكل مذهل كثيرون ممن استخدموا فكرهم ومواهبهم بالكتابة بأمانة لإنارة فهمي وكلامي

سَيَلْحَظُ القراء ذوو الخبرة اللاهوتية محدودية الإطار الذي يتناوله الكتاب. فعندما يتعلق الأمر بمعدن الله الأخلاقيّ، سيبلغ أي كتاب أقصى حدوده أن يستنفذ موضوعه. ولذلك، فإن هذا الكتاب لم يُكتب بغرض أن يكون شاملاً ومفضلاً بقدر أن يكون عملياً ومُلهماً. وهدفه هو إشراك القارئ في السعي طول الحياة إلى معرفة الله ورؤيته واختباره.

لم يكن لأية ممارسة روحية في حياتي تأثير قوي مثل التأمل والتمعّن المستمرين وتطبيق انعكاس صفات الله على حياتي اليومية. لقد توقفت مرارًا وتكرارًا، وتخبّطت كثيرًا، وتقويت كثيرًا برجوعي للتفكير في طبيعة الله وهويّته، بدلًا من تخيلاتي المعتادة عنه. وبمجرد أن تبدأ هذه الرحلة، ستكتشف أن لله شيئًا جديدًا يظهره لك عن نفسه كل يوم.

إن سؤل قلبي وصلاتي هي أن تقرأ هذا الكتاب، وأن يفعل الله معك ما فعله معي منذ بدأت دراستي. أن يوسع عقلك وقلبك كي تبدأ برؤية الله كما يتوق هو إلى أن يرى.



1

يعتمد الأمر
على كيفية رؤيتك إليه



يعتمد الأمر على كيفية رؤيتك إليه

في منتصف عامي الثاني من الدراسة الجامعية، انتقل إلى كليتنا طالبة من كلية أخرى تُدعى دينيس. كنت وقتها مسيحيًا مؤمنًا منذ ثلاث سنوات وكنت أُنمو روحيًا. ورغبت في أن أكون أمينًا قدر الإمكان مع كل فرصة تأتيني للتعليم أو للخدمة. وكمؤمن متحمس، بدأت أخطو أولى خطوات القيادة في الخدمة في الجامعة. وفور قدوم دينيس، انخرطت بالخدمة والاجتماعات التي كنا نعقدّها. ولم يفت على لقائني معها ثلاثين ثانية، قبل أن يجتاحني شعور بالتهديد، فقد كانت مؤهلاتها وأفعالها مبهرة بشكل كبير بالنسبة إلي.

ولسبب ما، كانت ثقتي في نفسي تتأثر كثيرًا في وجودها. لقد بدت دائمًا واثقة ومسيطرة على ظروف حياتها كافة. كنت على يقين أنها ستلاحظ على الفور انعدام الأمان والصراعات التي تدور في داخلي. ماذا لو كنت قد تركت لديها انطباعًا سيئًا؟ لقد أردت أن أثير إعجابها إلى درجة أنني توقفت عن التصرف على طبيعتي، ما أصابني بالشلل. لم أرغب في أن أبدو أحق. كنت أركز بعصبية على كلماتي حتى لا أتفوه بما قد يتم تفسيره على أنه جهل روحي. وبطبيعة الحال، كانت النتيجة هي أنني في أغلب الأحيان لم أكن أقول شيئًا على الإطلاق. فلم تكن هذه بداية واعدة جدًّا للصدقة.

وفي الأشهر التي تلت، شاهدت دينيس وهي تتألق في تواضع ونعمة كلما تعمقت معرفتها بالآخرين في المدرسة. كانت تمارس القيادة بمهارة ومن دون جهد. كان من الطبيعي أن تتولى قيادة درس الكتاب المقدس للسيّدات، وكان رأيها مطلوبًا دائمًا قبل اتخاذ القرارات المختلفة في الخدمة.

وفي تلك الأثناء، كنت أتوق طوال الوقت إلى أن تعرفني على حقيقتي كي يتمكن من أن يصبح صديقين. كان تفكيرنا متماثلًا في العديد من الأمور وكنت أكن لها احترامًا كبيرًا.

ولكن كلما ازداد انزلاقي في منحني الشعور بعدم الأمان ذاك، كلما ازدادت صعوبة التصرف على طبيعتي. وكلما مرّ الوقت، ازداد شعوري بالتهديد. وأينما وُجِدت دينيس، كنت أصاب بالشلل. فما إن أَرها في درس الكتاب المقدس، أو اجتماع الفريق، أو حتى في الحرم الجامعي، حتى أجد نفسي في جهاد شاقّ في أنطق بأي شيء يتعدى الدردشة السطحية ولزوم الذوق العام. وحتى إذا تمكنت من الحديث، كان حديثي يخرج متوترًا ويبدو غبيًا. وبدلًا من أن يقترب أحدنا من الآخر ونصير صديقين، كنا نزداد بُعدًا. كنت متأكدًا من أن انطباعها عني يزداد سوءًا، وكنت مقتنعًا بأن كل أمر أقوم به يؤكد لها مدى فشلي.

وعلى مدى سنتين، كانت علاقتي سطحية تمامًا مع تلك الفتاة رغم أنني كنت أقدرها كثيرًا. ومن ناحية خارجية، لم يلاحظ أحد شيئًا. كنا كلانا جزءًا من قيادة الفريق، وكانت أمور الخدمة تسير على ما يُرام. أمّا في الداخل، فقد شعرت دائمًا في أعماقي بعدم الأمان. كنت ذلك الشخص الذي يراه الآخرون هادئًا في الظاهر، ولكنني في الواقع كنت عصبيًا وغير واثق بنفسي. كنت سعيدًا لأنّ دينيس مسيحية مؤمنة وناضجة. لأنها لو لم تكن كذلك، لكانت سخرت مني خلف ظهري مع صديقاتها.

■ الحجاب أزيل

وأخيرًا، في مساء أحد الأيام أثناء عامنا الأخير في الجامعة، كانت دينيس في حاجة إلى توصيلة إلى بلدة ويلينغ، وهي بلدة على بعد حوالي ثلاثين دقيقة من الحرم الجامعي. سألتني بطريقتها المهذبة المعتادة: «هل هناك أية إمكانية أن تقلّني إلى هناك؟»

جاوبتها من دون تفكير: «بالطبع.» كنت في العادة أشعر بالسعادة لتوصيل أي شخص إلى أي مكان. فما بالك بزميلة مؤمنة وجميلة!

ولكن في اللحظة التي ركبنا فيها سيارتي الفولكس فاجن الخضراء الصغيرة، بدأ الشعور بعدم الارتياح ينتابني مرة أخرى. لم يكن هنالك مهرب، والطريق الملتوي المتعرج يبلغ طوله عدة أميال أمامنا.

كان الوضع أسوأ من الخروج في موعد عاطفي للمرة الأولى مع شخص لم تره من قبل. وشعرت كما لو أن سيارتي الصغيرة صارت أصغر كثيرًا من المعتاد.

في الدقائق العشرة الأولى، ساد صمت محرج. كنت أبحث باستماتة عن جملة مترابطة لأنطق بها بينما كانت كفاي المتعرقتان تقبضان بشدة على عجلة القيادة. كانت دينيس في الأغلب تكافح للتفكير في أرضية مشتركة تُمكنها من مبادلة الحديث مع ذلك الأبكم الجالس بجانبها. كانت بكل تأكيد نادمة على اختيارها للسائق.

وفي نهاية المطاف، قررت هي كسر الجليد فقالت:

«تشيب، هل يمكنني أن أشاركك في أمر؟»

«بكل تأكيد.» شعرت بالراحة لأخذها زمام المبادرة.

«هناك شيء أعتقد أنه شكّل عائقًا في علاقتنا خلال العامين الماضيين.»

يا للهول! فكرت في داخلي: «ستخبرني الآن عن رأيها فيّ.»

استطردت قائلة: «أتعلم؟» لقد شاهدت كيف ينميك الله خلال هذين العامين المنصرمين. لقد أصبحت مؤهلًا تمامًا لتحمل المسؤولية في خدمة الشباب. وفي الحقيقة، لا أعرف إن كان شيء مثل هذا قد حدث لك من قبل، ولكن ما حدث هو أنني في أول مرة التقيت بك، شعرت بأنك تُشكل تهديدًا كبيرًا بالنسبة إليّ.» لم أستطع أن أصدق كلماتها.

أضافت: «وأخشى أنني غالبًا ما شعرت بعدم الراحة في حضورك، حتى إنني لم أستطع أن أكون على طبيعتي. والآن بعد أن انتهى عامنا الأخير، أشعر نوعًا ما بالحزن بسبب ذلك. ولكنني أردت أيضًا أن أتحدث عن الأمر بصراحة.» لو لم تكن على طريق مستقيم وقتها، لكنت قد انحرقت وخرجت عن الطريق.

صُدمت في البداية، ثم انفجرت ضاحكًا: «أتعنين أنه أنت من كان يشعر بالتهديد بسببي أنا؟» قلتها بصوت كالعواء: «أنا هو من شعر بالتهديد!» ففي كل مرة كنت أحاول أن أقول شيئًا، كانت الكلمات تخرج بشكل خطأ». ضحكنا كثيرًا، ومنذ ذلك اليوم أصبحت أنا ودينيس صديقين مقربين.

لن أنسى أبدا كيف شكلت افتراضاتي ومفاهيمي الخطأ حول دينيس حاجزا في طريق علاقتنا. وكيف عطلت نظرتنا غير الدقيقة أحدنا إلى الآخر نمو صداقتنا. تعطلت الصداقة والتشجيع اللذان كان يمكن أن نتقاسمه في خلال هذين العامين وذلك بسبب التصور المشوه الذي كونه عنها، والتصور المشوه الذي كونه هي عني.

صورة أوضح

للدرس الذي تعلمته مع دينيس له تطبيق إلهي. فالطريقة التي ترى بها الله تُشكل علاقاتك كلها معه. وإضافة إلى ذلك، فإن الفكرة التي تعتقد أن الله يحملها عنك تُحدّد مدى القرب الذي ستبلّغه منه. وقد كون الكثيرون منا صورة عن الله من خلال الانطباعات التي التقطناها طوال حياتنا. تؤثر عائلتنا ومعلمونا وأصدقائنا الكنائس في صورتنا عن الله سواء أكان هذا بوعي أم من دون وعي. وترسل الثقافة المحيطة بنا باستمرار رسائل حول كيفية رؤيتنا إلى الله.

وقد تأثرنا بها جميعًا، وربما تحمل صورة مشوهة عن الله. فإذا رأيناه كقاض منتقم، سنشعر دائما بالذنب. وإذا رأيناه كأب غير مبال، لن نصدق بسهولة أنه يحبنا. وإذا كنا نعتقد أنه مثلنا تمامًا، سنتساهل مع خطايانا.


ولكن هل هذه الأفكار دقيقة؟ وماذا لو لم تكن صحيحة على الإطلاق؟ من المؤكد أن المفاهيم المغلوطة عن الله يمكن أن تخلق حاجزًا في علاقتك به.

وفي الوقت نفسه، فقد تحرم نفسك من أن تدرك حجم الصداقة والحب والتشجيع الذي يمكنك أن تتشاركه مع أبيك السماوي بسبب افتراضات خطأ عنه.

الطريقة التي ترى بها الله تُشكل علاقاتك كلها معه.

بالإضافة إلى ذلك، الفكرة التي تعتقد أنها لدى الله عنك تُحدد مدى القرب الذي ستبلغه منه.

تنطبق هذه الديناميكية على كل علاقة في حياتك. تتشكل علاقاتنا من خلال تصوراتنا بعضنا عن بعض. والطريقة التي ترى بها الشخص الآخر هي مريبط الفرس، ويصح هذا عن نظرة الآخر إليك أيضاً. وهكذا فإن تصوراتنا تؤثر إذاً في كيفية تعاملنا بعضنا مع بعض. كنت أعتقد أنّ دينيس لم تستلطفني. اعتقدت أنني أقل منها. ولم تُشكل حقيقة أنها كانت تقدرني كثيراً أدنى فرق لأنني افترضت أنها لم تقدرني. كنت قد وصلت إلى اقتناع وتصميم: فلأنني لم أعجبها، لم أحاول التعرف إليها. كنت أتصرف وفقاً لافتراضاتي الخاصة عنها ورأيها فيّ حسب ظني بدلاً من الحقيقة.


**فالطريقة التي
ترى بها الله تُشكل
علاقاتك كلها
معه. بالإضافة إلى
ذلك، الفكرة التي
تعتقد أنها لدى
الله عنك تُحدّد
مدى القرب الذي
ستبلغه منه.**

لذلك، اسمح لي بأن أسألك أهم أسئلة في الحياة:

- كيف ترى الله؟
- كيف تظن أنه يراك؟
- كيف تؤثر هذه التصورات في علاقتك به؟

فكّر في الأمر. لقد خلقك للقرب والحب والصدقة. فهل تختبر ذلك في حياتك؟ إن الغرض من كلمته في الكتاب المقدس هو الكشف عن أفكاره العميقة والشخصية لك، وأما الغرض من الصلاة فهو الكشف عن أفكارك العميقة والشخصية له. فهل تتمتع بهذا النوع من الحميمة؟

هل تشعر بأنك لا تستطيع أبدًا أن تقوم بأي أمر على نحو صحيح؟ هل تظن أن الله قاسٍ أو في انتظار وقوعك في الخطيئة حتى يتمكن من تأديبك؟ هل تواجه دائمًا صعوبة في الصلاة؟ هل تبدو فكرة أنك محور سعادته غريبة بالنسبة إليك؟ هل تعيش معظم حياتك في الخوف؟ هل تجاهد بصعوبة سرًا لتسلك في طاعته لأنك تعتقد أنك قد تفوت على نفسك متع الحياة إذا عشت مكرسًا له بالكامل؟ إن من شأن الإجابة على هذه الأسئلة أن تخبرك الكثير عن التصورات الخاصة بك عن الله.

■ الاشتياق إلى الله

إذا كان هناك شيء واحد تعلمته عن الناس، فهو حقيقة أننا جميعًا نتوق إلى ذلك الشبع الذي يأتي من العلاقة الوثيقة الحميمة بالله. قد يكون بعضنا قد خُدعوا بفلسفات كاذبة، فقاموا بإخراج الله من حياتهم، أو ألتهتهم أشياء أخرى. لكن الله خلق في أعماق كل منا رغبة فطرية في علاقة عميقة وذات معنى به.

فكر في تلك الرغبة بعض الوقت. حاول أن تستمع إليها. هل تتحدث إليك الآن؟ هل يمكنك سماعها وهي تصرخ في داخلك؟ ربما اعتدت أن تفكر في الله باعتبار أنه بعيد، أو مراقب لا تربطك به علاقة شخصية، وأنه أكثر انشغالًا من أن يهتم بأمرك. رغم تلك الرغبة في داخلك، لا يزال يبدو دائمًا بعيدًا عن أن تصل إليه.

حاول أن تنسى تلك الأفكار للحظات. هل يمكنك في الوقت الحالي أن تضع جانبًا تلك المشاعر التي تخبرك أنك لست صالحًا بما فيه الكفاية ليقبلك؟ أو أنه غير عادل؟ أو أنه لا يهتم؟ قد يكون ذلك صعبًا للغاية إذا كانت تلك المشاعر متأصلة بعمق فيك، ولكن اطلب من الله أن يساعدك، ثم ابذل كل ما بوسعك للتخلص من تلك الأفكار.

والآن تخيل كل تلك التصورات الخطأ وهي تنكسر، وأنت تختبر بشكل ما القبول الكامل والحميمية العميقة مع أبيك السماوي... إله الكون... ذاك الذي خلقك ووجد مسرته بك. ماذا لو ذاب كل الأذى الذي شعرت به من الآخرين في حبه الصافي؟ ماذا لو تمكنت من عكس تأثير كل ذبيات الأمل التي مررت بها من خلال الراحة الكاملة التي يجلبها الله؟ ماذا لو توقفت عن النظر إلى الله من خلال كل تشوهات الحياة والبدء بدلًا من ذلك في النظر إلى الحياة من خلاله هو؟ هل يمكنك تصور نفسك في علاقة مثالية بالله كتلك؟

ربما لا تصدق أن هذه الرغبة تعيش في أعماقك الآن. ربما لا تشعر بها بقوة في هذه اللحظة، ولكنها هناك، ربما في الذاكرة الباهتة، ولكن الشوق يظل موجودًا. ربما تكون قد تعلمت أن تحوّل مسار تلك الرغبة في اتجاه أشياء أخرى على مر السنين، ولكن لا يمكنك محوها تمامًا. هذا هو المفتاح لمعرفة الهدف من تلك الحياة التي تبدو ساحقة في بعض الأيام، وبلا معنى على الإطلاق في أيام أخرى.

في الصفحات التالية، أمل أن تبدأ في الشعور بأن نار تلك الرغبة قد أضرمت من جديد، وارتفعت ألسنتها، ربما للمرة الأولى. وإذا كنت مثل أشخاص كثيرين، بمن فيهم أنا، فإن المفاهيم الخطأ عن الله شكلت حاجزًا يمنعهم من معرفته كما هو حقًا، وكما يريد هو أن يرى.

لقد شعرت في أعماقي أنه من المفترض أن نكون ودينييس صديقين رائعين. لقد كانت شخصيتانا متناغمتين في أمور كثيرة. لقد كانت طريقة حياتها تمثل نوع الشخص الذي أردت أن أكون عليه.

كان يمكن أن نكسب الكثير لو تمكنا من التواصل، والكثير مما كان يمكن الاستمتاع به لو كنت قد وضعت مفاهيمي الخطأ عنها جانبًا. لقد كانت تنتظرنا صداقة أصيلة عميقة تفوق بكثير سوء فهمنا المشترك. وينطبق المفهوم نفسه على فهمنا لله، ولكن هناك أكثر من ذلك بكثير على المحك.

■ لحظة إضافية من الصدق

قبل سنوات عدّة، تعلمت درسًا آخر لا يُنسى عن الطريقة التي تمنعنا بها مفاهيمنا الخطأ عن الله من جني فوائد معرفته بحق. كانت كنيسةنا في سانتا كروز، كاليفورنيا، تشهد توسعًا هائلًا. وكما هو الحال مع أية مؤسسة متنامية، كانت المتاعب تتزايد. كان الإقبال على سماع كلمة الرب يفوق الحد الأقصى الذي تستوعبه الكنيسة. وقد استنفدنا مواردنا حتى وصلت إلى نقطة الانهيار.

وكان الضغط لإيجاد الحلول ساحقًا. شعرت وكأنني أغرق تحت كم الاجتماعات المنعقدة لبحث إمكانية توفير مبانٍ جديدة وأعمال إدارة الكنيسة يوميًا بعد يوم، وإعداد العضات للحشود المتزايدة باستمرار في نهاية الأسبوع. وكانت الأنشطة خلال الأسبوع غير واضحة المعالم. وإذا أردت الصدق، كنت أتصارع مع الاكتئاب كلما شعرت بتزايد المطالب والضغوط المترتبة على نمو الكنيسة. كنت أبدو في العلن متحمسًا وناجحًا، ولكن داخليًا كنت أواجه الكثير من لحظات اليأس.

وكان ذلك لم يكن كافيًا، فقد تأخرت خطط البناء لدينا بسبب قوانين المدينة والتحديات المالية. لقد بدت الأمور وكأن أخطاءً عديدة تحدث وراء الكواليس من مواطن خلل صغيرة إلى عقبات ضخمة.

لم يكن معظم الخُدام على دراية بحجم المشاكل، ولكنني لم أستطع أن أتجنب التفكير في أن الله كان يُفترض به التعامل مع كل هذه الظروف الصعبة فقط لو قمت أنا بالأمور بطريقة أفضل.

اعتقدت أن عبء إدارة الكنيسة قد وُضع بأكمله على كاهلي وافترضت أن المشاكل كانت نتيجة لأخطاء ارتكبتها أو بسبب نقاط ضعف في أسلوب قيادتي.

حينذاك كنت «أعرف» الكثير مما ستقرأه في هذا الكتاب. كنت أصدق وأفهم بعض الأفكار الواضحة عن الله. وربما حتى اختبرت التأثير الروحي لهذه المبادئ في حياتي. ولكن الفرق واضح بين فهم صفات الله عقلانيًا والسماح لها بأن تؤثر في طريقة حياتك. يجب علينا أن نعني تلك الحقيقة بشكل كافٍ ووافٍ.

كُنت كغيري لا أزال «قيد الإنشاء»، ولم يكن الله قد انتهى مني بعد (ولم ينته حتى الآن). إذ ما زالت لدي بعض المفاهيم الخاطئة عنه والتي تحتاج إلى توضيح. كانت الظروف التي أمر بها، تمامًا كظروفك أنت، فرصة أخرى ليعلمني الله فيها درسًا أعمق عن نفسه. ويبدو هذا واضحًا جدًا الآن، ولكن بينما كنت أمر بذلك الموقف، بدت الأمور مُحِبطة واستنفدت قواي المعنوية بالشك وعدم الاستقرار.

جلست ذات يوم وحيدًا في مكتبي مع شعور ساحق بأن كل شيء كان يعتمد عليّ وحدي. لقد أُستنفدت عزيمتي وثُبطت، وتساءلت بصراحة عما إذا كان بإمكانني الاستمرار. وبينما كنت أصرخ إلى الله ليغيثني، التفتت، وإذا بهدية من دون اسم وُضعت على مكتبي من أحد أعضاء الكنيسة. كانت الهدية عبارة عن لوحة داخل إطار تحتوي على النص من صفنيا ٣: ١٧، وهي واحدة من الآيات الغامضة إلى حد ما في العهد القديم. ومن خلال دموعي، قرأت الكلمات وشعرت بصوت الله يتحدث إليّ مباشرة.

الرَّبُّ إِلَهَكَ فِي وَسْطِكَ
جَبَّارٌ يَخْلُصُ بَيْنْتَهُجُ بِكَ
فَرَحًا. يَسْكُتُ فِي مَحَبَّتِهِ.
يَبْتَهَجُ بِكَ بِتَرْنُمٍ

بدا الله فجأة وكأنه حقًا في الغرفة معي. لقد شعرت بقوته، وأيقنت أنه بإمكانه أن يأتي بحل كامل للأمور التي كانت تضغط عليّ. وأفضل ما في الأمر هو أنني تمكنت من أن أشعر بالبهجة والسعادة التي يجدها الله قّي، بغض النظر عن أدائي في الموقف الذي كنت أمر به.

لقد امتدت يده عبر نواحي قصوري وجهودي غير الكافية واحتضنتني. استطعت ان أتصوره في ذهني مبتهجًا يتغنّى، مثل أمّ لا تصدق أنها أصبحت أمًا. وبطريقة ما، كلما ازداد إدراكي لبهجة قلب الرب بي، كلما بدت الأعمال التي كنت أقوم بها والصعوبات التي أواجهها أقل أهمية. قد رفع الله الحمل عن كتفي، وابتسمت بلا خجل عندما أدركت أنه لم يكن من المفترض أن أحمله في المقام الأول.

الآن عندما أعود بذاكرتي إلى الوراء، أدرك أن أفكاري عن الله قبل الإيمان كانت لا تزال في داخلي. كنت أرى الله كشخص يوزّع المكافآت للصالحين ويسحق أولئك الطالحين بالتأديب. ولذلك، كلما كانت الأمور لا تسير على ما يرام، افترضت أنني قمت بشيء خطأ.

حوّلتني مفاهيمي الخطأ عن الله إلى شخص مندفع بصورة كبيرة. عشت في صراع مع إيمان العمل طوال العقد الأول من خدمتي. دائمًا ما يجد المدفوعون بحب الإنجاز في داخلهم اعتقادًا راسخًا أنّ ما يقومون به هو ما يحدد هويتهم. بينما كانت هذه الآيات تغسل قلبي وروحي، استخدم روح الله كلماته ليقوم بإعادة تقويم نظرتي إليه كي يفصل بين أدائي وهويتي. أيقنت فجأة، وكأن مصباحًا أضاء داخل رأسي، أن حب الله وابتهاجه بي لا علاقة له على الإطلاق بأدائي أو بما أقوم به.

بدأت حقبة جديدة في علاقتي بالمسيح. أدركت في تلك اللحظة بطريقة جديدة أن الله موجود بجانبني وأنه يسر بي فعلًا. صرت قادرًا للمرة الأولى بعد وقت طويل على الفصل بين أدائي وبين فكرة الرب عني. صرت حرًا لأفعل ما يمكنني فعله ولأثق فيه ببساطة بخصوص كل الأمور المتبقية.

بدأ كل شيء بذلك التغيير العجيب في نظرتي لله وأزالت كلمته تلك المسلمات الروحية التي شكلت حاجزاً أمام رؤيتي إليه.

وفي الأسابيع والأشهر التي تلت ذلك، تركت نفسي تغموض في عمق تلك الصورة الجديدة لله. استكشفت المقاطع التي تصف الأب السماوي في الكتاب المقدس مقطوعاً تلو الآخر. أدركت أن الأب يحبني فحسب، بل يهتم اهتماماً عميقاً بكل تفاصيل حياتي مهما كانت بسيطة أيضاً. وهو يراقب ذهابي وإيابي باهتمام كبير. ربما لا يتدخل دائماً بالطريقة التي أريده أن يتدخل بها، ولكنه دائماً حاضر ومشارك في الأحداث.

حدث شيء غريب كنتيجة لتلك التجربة. وجدت أنني كلما تعلمت أكثر عن حقيقة الله، شعرت أن علاقتنا صارت أقوى. كان سبب ذلك هو أنني أزحت الغطاء الذي كان يخبئ مفاهيمي الخاطئ واكتشفت من يكون الله حقاً. لقد رأيت لمحات مُشعبة من شخصية الله لدرجة أبقتني في حالة عطش دائم من أجل المزيد.

اكتشفت أيضاً كم هو سهل أن أقع في فخ الانزلاق إلى المفاهيم الخاطئ القديمة، فهي راسخة بعمق في أنماط التفكير. قد نخرج من هذه الفخاخ بمساعدة الله. لكن إذا لم ننتبه إلى خطواتنا، يمكن أن نقع فيها بسهولة مرة أخرى. عندما يحدث ذلك، عادة ما يكون السبب هو أننا نسينا شيئاً ما عن شخصية الله، أو ربما نكتشف أننا لم نتعلم ذلك الشيء بعد.

بدأت صداقتي مع دينيس في النمو عندما اكتشف أحدنا حقيقة الآخر. ما الذي يمكن أن يحدث إذا قمت بتطبيق نفس تلك الديناميكية على علاقتك بالله؟ لديك رغبة داخلك في أن تعرفه بشكل أعمق. هل يمكنك أن تتخيل ذلك الإله الذي يعرفك بشكل وثيق ويحبك بشكل يفوق قدرتك على الفهم؟ هل يمكنك أن تتخيل حجم التأثير الذي سيحدثه ذلك التحول في حياتك؟

تغيير الإدراك

ريد أن أساعدك من خلال فصول هذا الكتاب على أن تُنمّي صورة الله داخلك كما يتوق هو لأن تراه. لقد استغرقه الأمر آلاف السنين، وأوحى بمئات الصفحات في الكتاب المقدس، وخاض تجربة التجسد المؤلمة ليتمكن من رسم صورة دقيقة عن نفسه. من الواضح أنه يهتم بما نفكر به. إنه يريد منا أن نراه بوضوح وأن نتعرّف إلى سماته المذهلة واحدة تلو الأخرى.

سنقوم بتحليل تلك المفاهيم الخطأ الشائعة عن الله، والتي تجعلنا نمتنع عن الاقتراب إليه في الوقت الذي يتوق فيه إلى ذلك. وستتاح لديك العديد من الفرص لتتمكن من تحديد المفاهيم الخطأ الخاصة بك، واستبدالها بالصورة الحقيقية التي أعطانا إياها الله عن نفسه. ولكنني أريد أن أخذك إلى ما هو أبعد من مجرد العلم بصفات الله لأقدم لك الأدوات التي يمكنك استخدامها لتطبيق تلك الصفات على حياتك اليومية.

فالوصول إلى استنتاج عقلائي أن الله صالح هو شيء والسماح لهذه الحقيقة بأن تؤثر في طريقة اتخاذنا للقرارات واستثمارنا في العلاقات وتفسيرنا للأحداث والتطلع إلى المستقبل هو شيء مختلف تمامًا. فلدي كل واحدة من سمات الله لديها تلك الإمكانيات في حد ذاتها. كان لديّ فرصة مثيرة وشائعة لرؤية الله وهو يغيّر قلبي وروحي وعقلي بينما طبّقت على حياتي تدريجيًا حقيقة طبيعته وهويته الحقيقية. فإذا كنت مستعداً للانضمام إليّ في هذه الرحلة، فإنني أعدك بأن أشاركك الدروس التي تعلمتها والأخطاء التي وقعت فيها والمعونة التي اكتشفتها في مسيري مع الله. إنها بداية لمغامرة رائعة!

لقد حان الوقت لمحو تلك الصورة المشوهة عن الله. دعه يكشف لك النقاب عن صورة رائعة لنفسه. وستغيّرك رؤية الله كما يتوق إلى أن تراه إلى الأبد.



2

رؤية الله

بوضوح



كنت أشعر بالإحباط ولكني لم أكن متأكدًا من السبب. كنت قد علمت كلمة الله لأكثر من عشرين عامًا في الجامعات والمدارس والكنائس المحلية ولم أواجه تلك المشكلة من قبل. لقد بدت أفكاري مشوشة.

رؤية الله بوضوح

كانت الأفكار تتدفق في الماضي في رأسي من دون عناء. كنت أتمكن دائماً من إيصال الحق المذكور في كلمة الله إلى الجمع الذي أتحدث إليه، ولكن شيئاً ما قد تغير. لم تعد الأفكار تأتيني. وكثيلاً ما اضطرت إلى التوقف وإعادة قراءة ملاحظاتي في صمت كي أتمكن من العودة إلى سياق العظة. لم يكن الغرض من التوقف المتكرر إعطاء المستمعين الفرصة للتفكير في ما قلته، بل كان لأمنح نفسي فرصة للنظر في ملاحظاتي من أجل الوصول إلى النقطة التالية.

ربما لا يبدو ذلك مشكلة كبيرة بالنسبة لمعظم الناس، لكنه بالنسبة لأولئك الذين يمارسون الوعظ مثلي كان ذلك مثل التحليق بطائرة من دون معدات. هل فقدت موهبتي؟ هل هناك خطيئة ما في حياتي؟ هل كنت في المراحل الأولى من مرض عقلي؟ فكرت في داخلي في كل هذه الاحتمالات، إضافة إلى احتمالات أخرى أقل منطقية.

بعد بضعة أشهر، كنت أعظ عن فقرة محورية جداً، وكنت أقتبس من أحد كتب التفسير القديمة والتي كُتبت بحروف طباعة صغيرة جداً. أخذت نظارات القراءة معي إلى المنبر حتى أتمكن من القراءة من ذلك الكتاب القديم. و بعد قراءة المقطع، وقعت عينا على دفتر ملاحظاتي من دون قصد. ولدهشتي الشديدة أدركت أن مشكلتي بسيطة، وهي أنني لم أكن أرى مذكراتي الخاصة بوضوح. لم تكن لدي أية فكرة عن مدى تشوش رؤيتي حتى رأيت بوضوح من خلال نظارات القراءة. ورغم أنني كنت أقرأ من مسافة قريبة، إلا أنني لم أكن أرى بوضوح. كانت الطاقة المطلوبة من أجل التركيز في دفتر الملاحظات ثم التركيز في وجوه الجمع تتسبب في شلّ عقلي. كان عقلي مشغولاً في محاولة الرؤية بدلاً من التفكير.

والغريب في الأمر هو أنني لم أكن على علم بذلك على الإطلاق. لقد أصبحت رؤيتي مشوهة بشكل تدريجي غير محسوس. أثرت الرؤية السيئة سلبيًا في دعوتي، وأضلتني في متاهات من الخوف والقلق أخجل من الاعتراف بها.

هذا هو بالضبط ما يحدث لنا جميعًا في رؤيتنا إلى الله. فمن شأن عدم رؤيتنا إليه بوضوح أن يشوه ذلك كل النواحي الأخرى في حياتنا. لذلك، أدعوك الآن إلى الذهاب في رحلة مقدسة، رحلة ينبغي أن تخوضها بعناية ووقار بالغين، رحلة ينبغي أن تبدأها بحذر شديد.

كن حذرًا، فأنت على وشك الدخول إلى الأرض المقدسة. إنك مدعو إلى أن تسير عليها، ولكن افعل ذلك بحرص. والتمعن في دراسة معدن الله الأخلاقي نفسه هو السعي الأسمى والأهم في حياتك. والمكافآت كبيرة، لكن المخاطر حقيقية. فأنت لست ذاهبًا إلى حيث لم يذهب أحد من قبل، بل إلى مكان أفضل بكثير، إلى المكان الذي قصد لك أن تكتشفه في الأصل.

إذا تركنا لأنفسنا نحن البشر، نتعثر غالبًا في ثلاثة أخطاء فادحة بينما نتعلم التفكير الدقيق بشأن الله:

- نميل إلى افتراض أن الله هو تماما مثلنا.
- نميل إلى التقليل منه ووضعه ضمن شروط قابلة للقياس ويمكن السيطرة عليها.
- نميل إلى التغاضي عن الطرق الواضحة والكبيرة التي كشف لنا الله من خلالها عن ذاته.

والآن في هذه اللحظات المقدسة، وبينما نتحرك لنتقابل مع معدن الله الأخلاقي، أثق بأن الكلمات التالية لـ A.W Tozer سوف ترن باستمرار في آذاننا:

«ما يخطر ببالنا عندما نفكر في الله هو الشيء الأكثر أهمية بالنسبة إلينا.»

يرجّح أن تاريخ البشرية يُظهر أنه لم يسبق لأي شعب أن ارتقى فوق مستوى دينه. وبطريقة مماثلة، يثبت التاريخ الروحي للإنسان بشكل كبير أنه لا يُمكن لأي دين أن يرتقي فوق الفكرة التي يقدمها عن الله.


أرجو منك أن تعيد قراءة العبارة السابقة ببطء. فهو أمر خطير الأهمية. فلن يؤثر شيء في حياتك في علاقتك بالله، ومع الناس، ووجهة نظرك الذاتية، وقراراتك، وأهدافك مثل الطريقة التي تفكر بها في الله. كل شيء في حياتك، بوعي أو من دون وعي، يعود في التحليل النهائي إلى شيء واحد: كيف تتصور الله في قلبك؟ ومن أين حصلت على هذه الصورة؟ فمن نكون ومن سنصبح هما أمران لا يمكن فصلهما عن فهمنا الله.

يستطرد توزر قائلاً:

«يعتمد أساس العبادة ومدى نقائها على رقيّ أو انحطاط فكرة العابد عن الله. ولهذا السبب، فإن السؤال الأخطر أمام الكنيسة دائماً هو الله نفسه. والحقيقة الأكثر وضوحاً عن أي شخص ليست هي ما يقوله أو يفعله في أي وقت من الأوقات، ولكنها اقتناعه الشخصي في أعماق قلبه وكيف يتصور الله أن يكون»

إذا لو كان توزر على حق؟ ماذا لو كان الشيء الأكثر أهمية في حياتك ومستقبلك، وعلاقاتك، وكل كينونتك هو إن كانت لديك صورة واضحة ودقيقة عن الله؟

يرى توزر أن هذه هي البداية فقط. ويستأنف كلامه بعد ذلك بإيراد قانون رائع أعتقد تماماً في صحته. يقول توزر: «نحن نميل إلى التحرك نحو صورتنا الذهنية لله طبقاً لقانون روحي دفين أعماقنا». ويُطبق هذا المبدأ على المؤمنين بالمسيح كأفراد وعلى الكنيسة ككل. فالطريقة التي نتصرف بها كمؤمنين وكنيسة تُعبر بوضوح عما نفكر فيه فعلاً بخصوص الله.

—  —

**نحن نميل إلى
التحرك باتجاه
صورتنا الذهنية
عن الله طبقاً
لقانون روحي
دفين في أعماقنا.**

نحن نميل إلى التحرك في اتجاه صورتنا الذهنية عن الله طبقًا لقانون روحي سرّي في أعماقنا.


إذا كان توزر على حق، فنحن بحاجة إلى رؤية الله بوضوح، قدّر ما تسمح به الإمكانيات البشرية. يجب علينا أن نحصل على صورة دقيقة وواضحة لخالق الكون، بالضبط كما هو حقًا. نريد أن نلتقي الله، وأن ونحتضن صورته ونعرفه كما هو. والدافع وراء ذلك هو أنك لن تصبح الإنسان الذي خلقك الله لتكونه حتى تعرف الله كما هو حقًا.

فحص الرؤية الروحية

نحتاج أنا وأنت من وقت لآخر إلى فحص عيوننا الروحية كي نتمكن من استعادة التركيز واكتساب منظور أوسع وأوضح عن الله كما يُعرّف هو عن ذاته لنا. يمكن للكتاب المقدس أن يكون الحقيقة التي تتور نفوسنا فتساعدنا على إدراك الله بشكل أكثر عمقًا وقداسة ومحبة وحكمة، أكثر بكثير مما ندرك.

من أولى الخطوات التي يقوم بها طبيب العيون عندما يريد فحص عينيك هو «تحدي» العينين من خلال العدسات البديلة. فيقوم باستخدام جهاز يغيّر رؤيتك جذريًا من خلال تغيير البعد البؤري. وأنا الآن على وشك أن «أتحدي» عينيك الروحيتين من خلال ثلاث عدسات من وحي الكتاب المقدس. تمثل كل من تلك العدسات حقيقة عن الله

لا يمكن تجنبها أو تجاهلها. إذا أردنا أن يكون لدينا رؤية واضحة عندما يتعلق الأمر بالله. ربما لا تبدو تلك الأمور واضحة تمامًا بالنسبة لك، ولكن الطريقة التي يفسرها بها الكتاب المقدس تجعلها جزءًا أساسيًا من فهمك الصحيح لله. قد تصدمك الآيات التي أنت على وشك قراءتها

—  —
**لن تصل أبدًا إلى
الصورة التي قصد
الله أن يخلقك
عليها، إلا عندما
تعرف الله كما
هو حقًا**

اقرأها ببطء وتركيز، طالبًا من الله أن يفتح عيون قلبك وكذلك عقلك. ستساعد هذه العدسات البؤرية الثلاث في تعديل رؤيتك الروحية بينما تستعد لرؤية الله كما يتوق إلى أن تراه.

لن تصل أبدًا إلى الصورة التي قصد الله أن يخلقك عليها إلا عندما تعرف الله كما هو حقًا

العدسة الأولى: الله ليس مثلنا!

تبدو هذه النقطة واضحة جدًا، أليس كذلك؟ الله ليس مثلنا. عندما ننظر إليه بصدق، لن نرى انعكاسًا لأنفسنا. يُخبرنا الكتاب المقدس أننا خُلِقنا على صورته وأن هناك أوجه شبه، ولكن الله ليس مثلنا. إنه ليس نسخة أكبر أو أفضل من البشر؛ بل نحن من يُفترض فينا أن نكون نسخة رائعة ومذهلة منه. لكننا في أفضل حالاتنا لسنا سوى لمحة بسيطة عنه.

يُظهر الكتاب المقدس تفرّد الله بوضوح شديد. دعونا نبدأ مع أشعياء:

«فَمَنْ تُشَبِّهُونِي فَأَسَاوِيهِ؟ يَقُولُ الْقُدُّوسُ. اِرْفَعُوا إِلَى الْعَلَاءِ
عُيُونَكُمْ وَاَنْظُرُوا مَنْ خَلَقَ هَذِهِ؟ مَنْ الَّذِي يُخْرِجُ بَعْدَ جُنْدِهَا؟
يَدْعُو كُلُّهَا بِأَسْمَاءٍ لِكثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدِ الْقُدْرَةِ لَا يُفْقَدُ أَحَدٌ.
لِمَاذَا تَقُولُ يَا يَعْقُوبُ وَتَتَكَلَّمُ يَا إِسْرَائِيلُ: «قَدْ اخْتَفَتْ طَرِيقِي عَنِ
الرَّبِّ وَقَاتَ حَقِّي إِلَهِي»؟ أَمَا عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَسْمَعْ؟ إِلَهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ
خَالِقُ أَطْرَافِ الْأَرْضِ لَا يَكِلُ وَلَا يَعْيَا. لَيْسَ عَنْ فَهْمِهِ فَحْصٌ.»

(أشعياء ٤٠: ٢٥ - ٢٨)

ليس الله مثلنا. يصاب البشر بالتعب والإرهاق، أما الله فلا يتعب على الإطلاق. هناك أشياء لا نفهمها. أما الله فلا يتبادر لذهنه أي سؤال من أي نوع. فهو كلي القوة والمعرفة والحكمة. كل خير فينا هو مجرد انعكاس خافت لما هو عليه. إنه ليس مثلنا.

أقرّ داود، وهو رجل حسب قلب الله نفسه، اعترف قائلاً:

«لِدَلِيلِكَ قَدْ عَظُمْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ الْإِلَهَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَكَ وَلَيْسَ إِلَهُ غَيْرِكَ
حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَاهُ بِأَذَانِنَا. «
(صموئيل الثاني ٧: ٢٢)

ويقول أحد كتّاب المزامير:

«كُفُّوا وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا اللَّهُ.»
(مز ٤٦: ١٠)

لن نكون مستعدين لمعرفة الله حتى نكفّ ونهدأ.

لم تكن تلك اللقاءات المتواضعة مع الله غريبة عن الرسول بولس. نراه وهو يدفع حدود اللغة محاولاً أن يؤلف تسبيحاً مناسباً لله. كان بولس قد صاغ بعضاً من أكثر الأفكار عمقاً حول الإرادة الحرة للإنسان، وسيادة الله، وتعقيد الحياة، قبل أن يأخذ نفساً عميقاً ويكتب:

«يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه!
ما أبعد أحكامه عن الفحص،
وطرقه عن الاستقصاء!
لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً؟
أو من سبق فأعطاه فيكافأ؟
لأن منه وبه وله كل الأشياء
له المجد إلى الأبد آمين.»

الجواب على هذه الأسئلة الاستنكارية واضح تماماً. لا أحد يعرف فكر الله. لم يكن أحد مشيراً له، وهو ليس مديناً لأحد. لاحظ العبارة الأخيرة، «منه...» الله هو مصدر كل شيء. «وبه...» الله هو السبب الأساسي لكل ما هو موجود. وفي نهاية المطاف، كل شيء «له»، لمجده. ليس الله مثلك أو مثلي. وهو ليس مثل أي «مخلوق».

العدسة الثانية: لو تركنا لأنفسنا، سنميل إلى أن نحدّ الله ضمن شروط يُمكن التحكم فيها.

وبعبارة أخرى، نحن نميل إلى تقليص الله أو الانتقاص منه. ففي مواجهة هذا الإله الرائع كلّي المعرفة والقوة والقداسة، تُشعرنا مواجهته بعدم الراحة فنقوم بتشغيل ذلك الضاغط العقلي لدينا ونبدأ بتقليصه. نبحث داخل ذلك الصندوق المكتوب عليه «الإله الصغير» في عقلنا أو نحاول ترويضه أو نسعى إلى التحكم به. وبما أننا لا نستطيع أن نفعل ذلك مع الله الحقيقي، نقوم باختراع إله جديد يتماشى مع رغباتنا.

متلازمة تقليص الله

بدلاً من أن نخرّ ساجدين أمام هذا الإله الرائع ونخدمه، نحاول أن نجعله يخدمنا ونطوعه لأغراضنا الخاصة. يصف بولس الطريقة التي يتجاوب بها الناس مع ذلك الإله الخالد، والمهيّب، وغير المرئي كالتالي:

«لأنّهم لمّا عرفوا الله لم يمجّدوه أو يشكروه كما يليق بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغيبي. وبينما هم يزعمون أنّهم حكماء صاروا جهلاء وأبدّلوا مجدّ الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدوابّ والزحافات.»

(رومية ١: ٢١ - ٢٣)

يبدأ بولس هنا بإقرار شمولي بوجود الله من الأشخاص الذين يتعمّدون إبعاده عن تفكيرهم. ويؤدي منطقتهم هذا إلى التقليل أو الانتقاص من الله واستبداله بأشياء متحولين بعيداً عن خالقهم كي يتمكنوا من التظاهر بامتلاك القدرة على الخلق.

وما زالت تلك العملية التي رصدها بولس تتكرر اليوم. إذ لو تركنا لأنفسنا، لقمنا بحد الله ضمن شروط يمكن التحكم بها. لكننا تعاملنا معه باستخفاف وجعلناه مسؤولاً أمامنا بدلاً من أن ندرك بتواضع أننا مسؤولون أمامه.

وتجعلنا ثقافتنا الاستهلاكية تتصور الله آلة بيع كونية يمكننا الذهاب إليها عند الحاجة. وينصب اهتمامنا على ما يمكن لله أن يرسله لنا بكبسة زر واحدة!

هذا هو الدرس الذي علمه الله لأيوب بطريقة رائعة (أيوب ٣٨-٤١). ناقش أيوب وأصدقاؤه وجهات نظرهم حول الله في سبعة وثلاثين فصلاً. صمم كل منهم إطاراً محدوداً وتوقع من الله أن يحد من نفسه داخل هذا الإطار. ثم تكلم الرب أخيراً في الفصل ٣٨. لم يقدم شرحاً ولم يلتمس لنفسه الأعداء. بل واجه أيوب وأصدقاءه بقائمة طويلة من الأسئلة. كيف يمكنهم البدء في مناقشة طرق الله عندما لا يستطيعون أن يظهروا ولو فهمًا قليلاً لأساسيات الخلق؟ فلا يمكن التحكم في الله.

عندما يتعلق الأمر بأمثلة التقليل البشري من الله، نجد في سفر الخروج ٣٢: ١-٦ واحداً من أفضل الأمثلة التي تم تسجيلها في التاريخ، وهو مقطع كلاسيكي يصف سلوك الشعب الذي عاين مظاهر استعلان قوة الله الأكثر وضوحاً على مر التاريخ.

شهدوا أمة عظيمة تُدَمَّر وتُذَل من أجل أن ينالوا هم حريتهم. ساروا بين جدران المياه في البحر الذي انشق خصيصاً لأجلهم. كما أعلن الله لهم عن وجوده بشكل مرئي في عامود سحب نهاراً وعامود نار ليلاً.

كان موسى على الجبل يتلقى الوصايا العشر. لاحظ بينما تقرأ هذا المقطع كيف أثر عدم اليقين والخوف، وعدم القدرة على السيطرة على الوضع في هذه المجموعة من الناس. فرغم أنهم رأوا قوة الإله غير المرئي في المعجزات، إلا أنهم قاموا بتقليصه إلى شيء يمكنهم رؤيته والتحكم به.

«وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى ابْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمْ اصْنَعْ لَنَا إِلَهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلُ الَّذِي اضْعَدَّتْنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ»
(خروج ٣٢: ١)

افترض الشعب أن موسى لن يعود. وبما أنهم لم يعودوا يرون موسى أو إلهه، قرروا أن بعض «الآلهة» المصنوعة قد تفي بالغرض. ورغم أنها كانت فرصة رائعة للقيادة، إلا أن هارون اختار أن ينصاع لرأي الشعب. قَالَ لَهُمْ هَارُونَ:

«انزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي أَدَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُّوْنِي بِهَا» فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي أَدَانِهِمْ وَاتُّوا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْأُزْمِيلِ وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هَذِهِ إِلَهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي اضْعَدَّتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ»
(الأعداد ٢-٤).

لقد قَلَّصوا الله إلى عجل مصنوع من مصاغ أعيد تدويره، ومن ثمَّ شرعوا في إعادة كتابة التاريخ. فأعطوا فضل الإله الذي قادهم للخروج من العبودية إلى العجل الذي لم يكن موجودًا أصلًا وقتها.

ما الذي كان يدور في عقل هارون عندئذٍ؟ لقد حمَّله موسى المسؤولية. ربما اعتقد هارون أن بإمكانه حفظ الأمور من الخروج عن السيطرة من خلال تذكير الناس أنه لا يزال هناك «رب» في الصورة.

«فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونَ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ وَنَادَى هَارُونَ وَقَالَ: عَدَا عِيدٌ لِلرَّبِّ»
(عدد ٥)

نسي هارون، مثلنا تمامًا، أن الله لا يشارك دائرة الضوء الخاصة به مع أي شخص.

«فَبَكَّرُوا فِي الْعَدِّ وَاصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ. وَجَلَسَ

الشَّعْبُ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلْعِبِّ»

(عدد ٦)

لم يكن المقصود باللعب هنا هو خدمة العبادة والتسبيح البهيجة. تدل الكلمة هنا على الشهوات الحسية الحقيرة والتحرر من جميع القيود. لقد كان هذا الاحتفال من النوع غير الأخلاقي.

هل لاحظت ما حدث؟ هل يبدو مسار تفكيرهم مألوفاً؟ «لا نستطيع أن نرى الله هذا. ولذلك سنصنع شيئاً ما ثم نسميه إلهاً. سنعبده ونخلق ديناً يتماشى معه وسنحرق تقدماتنا أمامه ثم نمارس السلوكيات التي تتجاوب مع رغبات أجسادنا، ولكننا سندعوها ممارسات «دينية».

صعب علينا بعض الشيء أن نكتشف أننا نقوم اليوم بالأمر ذاته الذي يبدو حماقة واضحة عندما ننظر إلى الماضي. قد تقول لنفسك: «أنا لا أصنع أصناماً! فأنا لا أذكر المرة الأخيرة التي دخلت فيها بيتي وقلت مخاطباً عائلتي: «أنا ذاهب إلى غرفة الصلاة العائلية لأصلي لتمثال البقرة الخاص بنا.»

لا، ليس هذا ما نقوم به، لكننا نصنع أصنامنا الخاصة. قد تأخذ شكل الطعام أو الذات أو الثروة أو العمل أو الأسرة أو الأصدقاء... والقائمة لا حصر لها. نحن «نعبد» الأصنام من خلال استثمار أفضل أوقاتنا وأفكارنا وجهودنا وأموالنا وعواطفنا والتزامنا من أجل تحسين علاقتنا بتلك الأصنام. نأخذ إليه الكتاب المقدس الذي هو كلّي الحكمة وكلّي القوة ونقلّصه. نجعل منه مساعداً الشخصي الموجود لتلبية رغباتنا. نعيد خلقه في أذهاننا بصفته «إلهاً تحت الطلب» - شخصاً موجوداً «هناك» لوقت الحاجة عندما لا تسير الحياة كما هو مخطط لها، ونبقيه بعيداً عن طريقنا ببقية الوقت.

نختار بعناية آيات من الكتاب المقدس من السياق الذي يؤكد استنتاجاتنا أنّ الهدف الحقيقي في الحياة بالنسبة إلينا هو أن نكون سعداء بدلاً من عبادة الله والنمو في معرفته لنصبح خدماً يريدون فهم خطته واتباعه بالإيمان.

وبدلاً من أن نعترف بتواضع أن من المستحيل ترويض الله، نتجاسر ونطلب منه أن ينشغل براحتنا الشخصية.

بعد أن نقوم بإعادة تعريف الله وتقليصه، نمضي قدماً في تقليص الحياة المسيحية وتحويلها إلى وصفة. «دعنا نر: إذا قرأنا الكتاب المقدس في الصباح، وتلوننا بعض الصلوات، وإذا قدّمنا بعض المال، وإذا ذهبنا في رحلة تبشيرية إلى مكان بعيد، أو قرأنا بعض الكتب المساعدة في الحياة المسيحية، ستكون الحياة رائعة. لقد قمنا بدورنا، ولذلك فإن الله مُلزم أن يقوم بدوره وهو أن:

• يعطينا زيجات رائعة

• يجعل جميع أطفالنا صالحين

• لا يسمح بأي اكتئاب أو حزن في حياتنا

• يمنع أي أمر سيء من أن يحدث لنا

لدينا قائمة مرجعية من التوقعات التي يجب على الله الوفاء بها. لكننا نجد في نهاية المطاف أن الحقيقة هي أننا نعبد سعادتنا الشخصية. وفي الوقت نفسه، نقوم بتقليص الله من ربّ الكون السرمدّي إلى خادم من المفترض أن يحقق أجندتنا الخاصة.

لذلك، عندما تسود مدننا العنف ويصاب أصدقاؤنا بالسرطان، ولا يصبح أطفالنا صالحين، ولا نعيش حياة زوجية سعيدة، وتصبح حياتنا صعبة في هذا العالم الساقط، ماذا نفعل؟ غالباً ما يكون لدينا كلمات نوجهها إلى الله. «أين الخطأ يا رب؟ أنا أذهب إلى الكنيسة بانتظام. أنا أصلي. حتى إنني أعطي بعضاً من أموالني! أين أنت يا رب؟» إننا نصهره في شكل عجل ذهبي يليق بالعصر الحديث. لقد قلّصناه إلى موزع للسلام الشخصي، والازدهار، وتحقيق الذات.

دي خبر لك. ليس هذا هو إله الكتاب المقدس. قد يعطيك زواجاً رائعاً، وقد يصير أطفالك صالحين، لكنك تعيش أيضاً في عالم ساقط

حيث تحدث أشياء كثيرة سيئة ومؤلمة. إن هدف عبادة الرب يهوه، مثلث الأقانيم، إله الكون القدوس، هو أن يصير هو كل شيء في حياتك. هو الطريق والحق والحياة، ونحن تلاميذه الذين عليهم أن يتحملوا وأن يستمتعوا بكل ما يأتي في طريقهم. هو الخالق ونحن مخلوقاته. هو مركز الحياة، لا نحن.

نحن نميل، بحسب هذا القانون السري للنفس، إلى جعل الله يقضي على كل صعوبة تواجهنا. لكن إله الكتاب المقدس يعطينا نعمة للتغلب على أية صعوبة، ووعوده ليست سهلة. قال يسوع:

«فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ»

(يوحنا ١٦: ٣٣)

يقول يسوع: أنا معك، وسأعطيك السلام، وسأساعدك في الزواج المضطرب، وفي حالة ابنك الضال، وفي العلاج الكيميائي.

أقابل طوال الوقت العديد من الأشخاص الذين يشعرون بخيبة أمل كبيرة من الله لأنهم قد تم تعليمهم أن الكتاب المقدس يعدنا بأشياء لم يعد بها قط. في الحقيقة، فإنه يعدنا بأشياء أكثر بكثير. فالحياة أكثر من ذلك العجل الذهبي، إله العون الذاتي والإشباع العاطفي.

«بوفيه» الدين

تمثل إحدى الجهود المبذولة في أيامنا هذه من أجل تقليص الله في ما أطلق عليه اسم «بوفيه» الدين. إذ نقوم، تمامًا مثل شعب الله، باستبدال الإله الواحد المستحق للعبادة من الجميع بآلهة عديدة أخرى لا تعني شيئًا.

أذكر ذات مرة أنني كنت جالسًا على متن طائرة بجانب امرأة في أواخر العشرينيات من عمرها. تبادلنا بعض عبارات المجاملة قبل أن تفلح الطائرة، ثم فتحت كتابي المقدس أثناء الرحلة لأقرأ قليلاً.

سألتني: «هل أنت روحاني؟».

فكرت للحظة قبل أن أجيب: «حسنًا، لدينا جميعًا أرواح داخلنا. ولكن هناك أيضًا فراغًا في حياتنا لا يمكن ملؤه إلا من خلال علاقة باللّهِ الذي خلقنا.»

ردت باندفاع: «آه، هذا رائع. لدينا الكثير من القواسم المشتركة.»

قلت لها: «حسنًا، أخبريني قليلاً عنك. بماذا تؤمنين؟»

«كل شيء.»

سألتها ما الذي تقصده بذلك.

بدأت في عد معتقداتها على أصابعها. لقد جمعت خبرات متنوعة من البوذية والبهائية والمسيحية واليهودية والهندوسية والعديد من المصادر الأخرى لتجميع دينها الذي سمته «كل شيء».

عندما سألتها أن تتحدث عن اللّهِ الذي تعبده، قالت: «حسنًا، اللّهِ لديه الكثير من الحب. ذلك الجزء الخاص بالسماء أحبه كثيرًا. أما الجزء الخاص بالجحيم فلا أحبه.» وبخصوص الدينونة قالت: «لا، لا أعتقد أن اللّهِ يمكن أن يكون هكذا، أعتقد أنه يحبنا.» لقد خلقت هذا الإله المدهش من طاولة البوفيه الموضوع عليها جميع الأديان. اختارت ما تريده ورفضت أي شيء لا يتناسب معها، ثم أعلنت: «أنا روحانية.»

من تعبد هذه الفتاة؟ إنها تعبد نفسها. لقد افترضت بشكل أساسي أنها كلية المعرفة والحكمة والقوة، وأنها تعرف كل الحق الموجود عند كل البشر في سعيهم للوصول إلى اللّهِ.

ولسان حالها هو: «أنا الذي سيحدد ما هو المناسب بالنسبة إليّ. أنا مركز الكون وسأقوم بسنّ قوانيني الخاصة حتى أكون سعيدة. ولهذا فإنني أنا اللّهِ.» وارتكبت في النهاية جريمة التقليص من خلال جعل اللّهِ تمامًا مثلها واللّهُت نفسها. ولئلا يندهش أي منا أو ينتقد هذا التقليص التعسّفي، لديّ ملاحظة هي أننا جميعًا نميل إلى القيام بالشيء نفسه بدرجات متفاوتة

العدسة الثالثة: لا يمكن أن نعرف الله إلا إذا كشف هو لنا عن نفسه!

إذا كنا سنرى الله بوضوح، كما يتوق هو لأن نراه، فعلينا أن نراه كما يكشف لنا هو عن نفسه. فهو ليس مثلنا ولن يخضع لمحاولتنا لتقليصه. وفي الواقع، لا يمكننا أن نحزر تقدماً في اتجاه أن نصح كما خلقنا الله لنكونه إلا عندما ندركه ونواجهه كما هو حقاً. تسمح لنا هذه العدسة الثالثة بأن نرى ثلاث طرق أساسية يكشف الله بها عن نفسه.

من خلال الطبيعة

يكشف الله عن نفسه بشكل شمولي من خلال الطبيعة، وقد دوّن بوضوح الدليل على وجوده في النظام الذي أنشأه. يقول مزمو ١٩:

«السَّمَاوَاتُ تَحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ وَالْفَلَكَ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ
يُذِيعُ كَلَاماً وَتَبْلُغُ إِلَى لَيْلٍ يُبَيِّنُ عِلْماً. لَا قَوْلَ وَلَا كَلَامَ. لَا يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ»
(الأعداد ١-٣)

يُمكن لكل شخص على الأرض أن يرى إبداع الله في الخليقة وفي السماء والنجوم وغروب الشمس، سواء أكان ذلك الشخص يعيش في كوخ أم في مستشفى حديث ذي تقنيات عالية. كلنا نرى معجزة الولادة ومعجزات النظام والتوازن في الكون. فالله يتحدث فعلاً عن نفسه من خلال الطبيعة.

التقط بولس هذه الفكرة في رومية ٢٠: ٢٠ عندما كتب،

«لأنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تَرَى أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ
وَأَهْوَتْهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلَا عُدْرِ».

لكن أولئك الذين يصرّون على أن العالم قد نشأ بالصدفة فإنهم ببساطة يتجاهلون الحقائق. أما العلماء الصادقون فيكتشفون كل يوم مزيدًا من الأدلة على وجود مصمّم عظيم وراء هذا الكون.

إذا كنت تريد أن تبدأ برؤية الله بشكل واضح، فسيكون من الرائع أن توقف سيارتك في بقعة ذات مناظر خلابة مثل شاطئ أو وادٍ أو غابة، وأن تقف في مكان حيث يمكنك أن تجلس وتكون بمفردك.

امنح نفسك ثلاثين دقيقة من مراقبة الطبيعة. لا تحاول أن تحلّل أي شيء، تأمل فحسب. ثم انتقل إلى حديقة صغيرة وشاهد الأطفال الصغار وهم يلعبون ويضحكون. راقب الفرح النقي في عيونهم وسيتحدث الله إليك. سيهمس لك بهويته، سواء أكان ذلك أثناء التمشّي على مهل في الغابة أم في رحلة إلى الجبال، أم حين تحديق في النجوم. يُظهر الله نفسه من خلال الطبيعة.

■ من خلال كلمته

ستقدّم لك مراقبة الطبيعة صورة حقيقية لكن جزئية عن هوية الله. وستحفزك الخليقة إلى أن تعرف المزيد وترى بشكل أوضح. يقول الله إنك إذا كنت تريد صورة أوضح، فالمكان التالي الذي يكشف عن نفسه فيه هو كلمته المكتوبة. ستكون لديك الفرصة في صفحات هذا الكتاب لاستكشاف بعض الطرق الكثيرة التي يكشف الله عن نفسه بها في الكتاب المقدس. فالله هو مصدر الإرسال الأصلي، وقد خلقنا جميعًا كمستقبلات لكلمته.

كشف الله عن نفسه على مدى العهد القديم. إذ تحدّث إلى الناس في أوقات مختلفة وبطرق كثيرة. كان يتواصل معهم من خلال الأحلام والرؤى والنار والأوبئة، وحتى من خلال عليقة مشتعلة.

وليس هذا سوى القليل من طرقه المختلفة. ولم يتوقف عند ذلك. إذ أعلن نفسه لنا تمامًا من خلال ابنه، يسوع. يقول في العبرانيين ١: ٣-١:

«اللَّهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْآبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ الَّذِي جَعَلَهُ وَاثِرًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ. الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعِظَمَةِ فِي الْأَعَالِي»

لقد شرح يسوع الله لنا بكل وسيلة ممكنة.

■ من خلال ابنه

ليست كلمة الله المكتوبة غاية في حد ذاتها. دعونا نستمر في استكشاف أفضل طريقة إعلان الله بها عن نفسه، من خلال ابنه. في يوحنا ١: ١-٤، كتب الرسول يوحنا:

«فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ.»

ويُكمل يوحنا ليُعرف هوية يسوع باعتباره «الكلمة»

«وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِيُوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا.»

(يوحنا ١: ١٤)

سنرى لاحقًا كيف أن يسوع أظهر بوضوح كل صفة من صفات الله أثناء حياته على هذه الأرض.

كان يسوع يتحدث مع بعض دارسي كلمة الله المتدينين جدا عندما قال:

«فَتَشُوا الْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَنْظُنُونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي
تَشْهَدُ لِي. وَلَا تَرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةً.»
(يوحنا ٥: ٣٩-٤٠)

إذا كنا لا نلتقي يسوع المسيح من خلال الكتب المقدسة، فقد تُهنا عن السبب الرئيس الذي من أجله أعطانا الله الكلمة. نحن بحاجة إلى أن نقرأ الكتاب المقدس متوقعين أن نمرّ بتجربة شبيهة بتجربة عمواس تلك التي مر بها التلميذان بعد القيامة.

إذ بينما كان اثنان من تلاميذ يسيران بين أورشليم وعمواس، فتح يسوع لهما الكتب المقدسة وأوضح لهما أنها جميعًا تتحدث عنه (لوقا ٢٤: ٣٥-٣٥). وهو لا يزال يفعل الأمر نفسه معنا.

نحن على وشك اكتشاف الحقيقة بخصوص ذلك الإله الذي ليس له مكان على طاولة بوفيه الأديان. قال يسوع إنه هو الله، وأثبت هويته تلك من خلال إقامة الموتى، وشفاء المرضى، وإطعام الجياع، وقيامته الشخصية من الأموات.

لقد أظهر الكمال المطلق والحب واللفظ والقداسة في توازن مثالي. لم يصر الكلمة جسدًا فحسب، بل كان الكلمة الله أيضًا.

ويواصل يوحنا وصفه للكلمة:

«لَأَنَّ النَّامُوسَ مُوسَى أُعْطِيَ أَمَّا النُّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَيَسُوعُ الْمَسِيحُ
صَارَا. اللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الْإِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ
هُوَ حَبْرٌ.»
(يوحنا ١: ١٧-١٨)

جاء الوحي المكتوب عن الله من خلال موسى والكُتَّاب الآخرين لكلمة الله. أما الوحي الذي يتعلق بعلاقته بنا فمن خلال يسوع، الذي «جعل [الله] معروفًا». إذا أردنا أن نرى الله كما يتوق إلى أن نراه، يجب علينا أن ننظر إلى يسوع عن كثب.

ما هو المطلوب منَّا لنرى الله بوضوح؟

أولاً، الاعتراف بأن أعيننا لا ترى بوضوح من تلقاء نفسها. هذا هو في الأساس موضوع هذا الفصل.

ثانيًا، نحن بحاجة إلى الذهاب في رحلة مع الطبيب من أجل الحصول على وصفة طبية من شأنها أن تصحّ أبصارنا وتساعدنا على الرؤية بوضوح ودقة.

هذا هو ما يتحدث عنه ما تبقى من هذا الكتاب. إنها نظرة فاحصة إلى الوصفة التي كتبها الله نفسه، الله الذي يريدنا أن نراه. وهو يتوق إلى أن تصبح بصيرتنا قادرة على التعرف إليه حقًا.



3

اللّٰه يتوق
إلى أن تراه



اللّٰه يتوق إلى أن تراه

قبل أن ننظر إلى خصائص اللّٰه عن كثب، دعونا نأخذ بضع لحظات لتقييم وجهة نظرنا الحالية عنه. فالقول إننا تجنبنا المفاهيم الخطأ عن اللّٰه والتي ذكرناها في الفصل السابق هو شيء، وشعورنا بشوق اللّٰه إلى أن نعرفه هو شيء آخر. يمكننا أن ندّعي أننا لا نعتقد أن اللّٰه هو مثلنا وأننا لا نحاول التحكم به وأننا نصدق أنه قد كشف عن نفسه في الطبيعة والكتاب المقدس ويسوع. ولكن، بعد أن قدّمنا تلك الادعاءات، ما هي صورة اللّٰه التي كوّنّاها فعلاً؟ أو بشكل شخصي أكثر، كيف أعرف ما إذا كنت أرى اللّٰه كما هو حقاً؟

إذا قبلنا وضع العدسات الجديدة التي يصفها لنا طبيب العيون الروحي، سننظر إلى جدول فحص النظر المعلق على الحائط في الغرفة قبل أن نغادر العيادة. يريد طبيبنا أن يتأكد أن كل وظائف الرؤية لدينا تعمل بأقصى قدرة. سنحتاج إلى إجراء اختبار النظر.

اختبار النظر

يستخدم جي آي بيكر J. I. Paker في كتابه الممتاز المعنون «معرفة اللّٰه» دراسة في سفر دانيال لتحديد القياسات الأربعة التي تساعدنا في تحديد ما إذا كنا نعرف اللّٰه فعلاً. إذ يُمكن قياس الثمار الناتجة من رؤية اللّٰه على أربعة مستويات:

- الطاقة التي توظّفها من أجل اللّٰه. يوظف أولئك الذين يعرفون اللّٰه حقاً لديهم طاقة كبيرة في خدمته. فكم تبلغ الطاقة التي لديك من أجل اللّٰه؟
- عظمة الأفكار التي لديك حول اللّٰه. فأولئك الذين يعرفون اللّٰه حقاً يحملون أفكاراً سامية عنه. فما هي أفكارك عن اللّٰه؟
- الجرأة التي بداخلك من أجل اللّٰه. فأولئك الذين يعرفون اللّٰه حقاً يُظهرون الكثير من الجرأة من أجله. فكم تبلغ جرأتك؟

• مستوى الرضا في علاقتك باللّٰه. نجد أن لدى أولئك الذين يعرفون اللّٰه حقًا شعورًا كبيرًا بالرضا. فإلى أي مدى تجعلك علاقتك باللّٰه راضيًا؟

قبل أن نكمل، أشجعك على القيام باختبار النظر الآن. فهو يقيس رؤيتك الحالية لله ويساعدك على تتبّع مدى التقدم الذي تحرزه كلما تعمّقت أكثر في دراسة صفات اللّٰه.

■ الطاقة

يوظف أولئك الذين يعرفون اللّٰه يوظفون طاقة كبيرة في خدمته.

عندما تكون لديك رؤية واضحة، ستكون لديك الطاقة الكافية للتعلم في كلمته. وإذا رأيت أشياء خطأ في كنيستك، فستكون لديك الطاقة الكافية لتعمل على حلها بمحبة. وعندما تلتقي بأشخاص محتاجين، ستكون لديك الطاقة للتحرّك من أجل عمل اللّٰه. وستكون لديك الطاقة للصلاة، وسيصبح للرب الأولوية في حياتك. إذا كانت لديك طاقة من أجل اللّٰه، فستصبح لديك رؤية واضحة ودقيقة جدًّا له. ففي أية نقطة تجد نفسك على المقياس اليوم؟ ضع دائرة حول الرقم الذي يمثلك.

طاقة عالية / معرفة واضحة

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
---	---	---	---	---	---	---	---	---	----

طاقة منخفضة / معرفة مشوشة

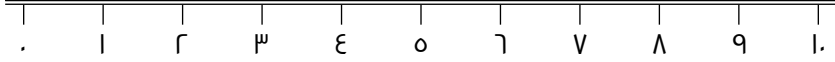
■ الأفكار

أولئك الذين يعرفون اللّٰه لديهم أفكار عظيمة عن اللّٰه.

عندما تعرف اللّٰه، سيكون في صلاتك حديث عن جلاله ومجده وبرّه وقداسته ونقائه. ستجلس في صمت حيث تخمرك عظمته. سوف تكتشف أنه من الممكن أن تحب اللّٰه بعقلك.

أين تقع أفكارك عن الله على المقياس أدناه؟ ما الذي يتبادر إلى ذهنك عندما تحني رأسك وتبدأ بالصلاة؟ هل ينشط عقلك كلما بدأت بالتفكير في الله؟ ضع دائرة حول الرقم الذي يمثلك.

أفكار عظيمة / معرفة واضحة أفكار متدنية / معرفة مشوشة



■ الجرأة

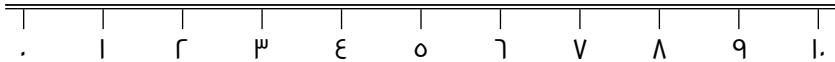
يُظهر أولئك الذين يعرفون الله جرأة كبيرة من أجله.

عندما ترى الله بوضوح في وسط العالم الساقط، عليك دائماً أن تختار بين ما يفكر فيه العالم وما يقوله الله. فالأشخاص الذين يعرفون الله حقاً يظهرون جرأة في خياراتهم من أجل لله.

كانت الجرأة، وليست المواهب، هي أكبر دليل على الامتلاء بالروح القدس بين الرسل الأوائل. يمتلئ الأصاح الحادي عشر من العبرانيين بالإشارات إلى نساء ورجال الإيمان العظماء، وغالبًا ما تكون للصفات المستخدمة في وصفهم علاقة بثقتهم بالله. لقد منحتهم معرفة الله جرأة كبيرة.

إذا كنت جريئًا بخصوص قناعاتك ولا يسيطر عليك ما يعتقد الآخرون عنك فستكون لديك رؤية واضحة لله، فالخوف من المجاهرة يدل على معرفة سطحية بالله. ضع دائرة حول الرقم الذي يمثلك.

جرأة كبيرة / معرفة واضحة جرأة قليلة / معرفة مشوشة



الرضا

تجد لدى أولئك الذين يعرفون الله حقًا شعورًا كبيرًا بالرضا.

عندما تكون لديك رؤية واضحة لله، ستدرك أنه كلي العلم و كلي المعرفة و كلي القوة و كلي الصالح. وهو موجود دائمًا لأجلك، ربما تواجه صعوبات، لكنك لا تهتم ولا تشعر بالقلق لأن حياتك هي تحت رعايته.

أنت تقول: «هذه المحنة صعبة، ولكن سيّد الكون بكل موارده، ذاك الذي بذل ابنه من أجلي والذي يحييّا في داخلي، سيحلّ هذا الأمر. قد يكون الأمر صعبًا، وقد أمرّ ببعض الصعود والهبوط، ولكن لدي السلام الذي يفوق كل عقل. يمتلك أولئك الذين لديهم شعور بالرضا في علاقتهم بالله عندهم رؤية واضحة لله. فما هو مستوى شعورك بالرضا في الوقت الحاضر؟ ضع دائرة حول الرقم الذي يمثلك.

رُضًا قليل / معرفة مشوّشة

رُضًا كبير / معرفة واضحة

١.	٢.	٣.	٤.	٥.	٦.	٧.	٨.	٩.	١٠.
----	----	----	----	----	----	----	----	----	-----

كيف أبلّيت في هذا الفحص؟ كيف ترى الله في هذا الوقت في حياتك طبقًا لفحص النظر لـ J. I. Packer؟ أضف حيثما وضعت العلامة التي وضعتها على السطر لتحديد موقعك الحالي سهمًا يشير إلى الاتجاه الذي تتحرك فيه. أرجو ألا تُحبط. فبغض النظر عن «نقطة بدايتك» الآن، أؤكد لك أن الله يرغب في أن تصبح رؤيتك له أكثر وضوحًا.

الإله الذي يشناق

يرغب الله في أن يراك تنتقل من معرفته بشكل مشوّش إلى معرفته بشكل واضح! إنه يتوق إلى أن تتحول المسافة التي تفصل بينك وبينه إلى قُرب وحميمية. إنه يعرفك بالفعل عن قُرب ويرغب الآن في أن تعرفه أنت أيضًا عن قُرب.

لقد استكشفتنا بالفعل الطرق التي يكشف بها الله عن نفسه، لكننا لم نتوقف حقًا لتأمل المشاعر وراء ذلك. ماذا تخبرنا تلك المشاعر عن خالقنا ولأي مدى هو مستعد أن يقترب ليجعل نفسه في متناولنا؟

نحن نعرف أن الله يرغب في أن نعرفه لأننا نملك سجلًا بتعابير يسوع التي لا تُنسى عن شوقه لنا. تمتلئ الأناجيل بأمثلة عدّة عن تعاطف يسوع مع الآخرين. وفي كثير من الأحيان، نجد الكتاب المقدس يستخدم أقصى قدرات اللغة ليلتقط أعماق مشاعر يسوع.

يصف يوحنا ١٣: ١١ على سبيل المثال مشاعر يسوع أثناء استعدادة للعشاء الأخير:

«أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِضْحِ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيُنْتَقَلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الْآبِ إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى.»

يحاول يوحنا أن ينقل لنا أهمية دور يسوع كوسيط بين أبيه وأولئك الذين أتى ليحبهم ويخلصهم. كثف يسوع جهوده عند اقتراب نهاية حياته على الأرض للكشف عن أبيه. كان يسوع في وقت سابق من ذلك الأسبوع قد أعرب عن شوق مؤثر مطلق العنان في قلب الله إلى أن يُعرف من الناس. وفي الرحلة من بيت عنيا إلى أورشليم، والتي أصبحت تُعرف باسم «الدخول الانتصاري»، نجد فقرة وجيزة يغفلها بعضهم تلتقط ما كان يدور في فكر يسوع في ما يخص كل ما كان يجري حوله:

«وَفِيمَا هُوَ يَفْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَكَى عَلَيْهَا قَائِلًا: «إِنَّكَ لَوْ عَلِمْتِ أَنْتِ أَيْضًا حَتَّى فِي يَوْمِكَ هَذَا مَا هُوَ لِسَلَامِكَ. وَلَكِنِ الْآنَ قَدْ أَخْفَيْ عَن عَيْنَيْكَ. فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكَ أَعْدَاؤُكَ بِمِترَسَةٍ وَيُحْدِقُونَ بِكَ وَيَحَاصِرُونَكَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. وَيَهْدُمُونَكَ وَبَنِيكَ فِيكَ وَلَا يَبْقَى فِيكَ حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لِأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكَ»

(لوقا ١٩: ٤١ - ٤٤)

بكي يسوع لأن الناس لم يدركوا أنه جاء من عند اللّٰه. بكي لأن عمى قلوبهم منعهم من معرفة سلامه وغفرانه ومعابنتهما. يتمّ التعبير في هذا المقطع عن شوق اللّٰه الذي يذكّرنا بإخلاصه في الكشف عن ذاته سواء أكنّا ندرك ذلك أم لا. لم يغير رفضنا ليسوع من رغبته من أجلنا. لقد مات على الصليب قائلاً: «يا آبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون.»

نعم، يمكن تلخيص تلك المسافات التي قطعها اللّٰه من أجل إثبات حبه لنا من خلال مفهوم «الاشتياق» الحميم. كما يمكن تسمية ما يأتي بعد تلك اللحظة التي يساعدنا فيها الإنجيل على إدراك من نحن وما فعلناه بـ «الانجذاب القوي نحو اللّٰه». ذلك الانجذاب هو الذي يأتي بنا إلى التوبة والخلص. وهذا «الانجذاب»، عندما ننظر إليه من منظور اللّٰه، هو رغبته في أن يكون معروفًا لي ولك.

ماذا سيحدث في حياتك لو أنك بدأت تؤمن فعلاً بأن إله كل الأزمنة السرمدى يرغب في أن تعرفه؟ أنا لا أقصد مجرد تقبّلك العقلي لهذه الفكرة، بل أقصد تلك الصحوّة الداخليّة العاطفيّة في روحك التي ستدفعك إلى القيام بكل ما يلزم كي تراه وتعرفه كما هو حقًا.

■ سؤالان

سيبرز أمامك سؤالان حاسمان في أثناء سعيك الحماسي إلى الوصول إلى الإله القديم. السؤال الأول: إذا كان اللّٰه حقًا غير محدود وكلّيّ السيادة وسرمدّيّ أبدّيّ وأبعد من الفهم البشري، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل من الممكن حقًا أن نعرفه؟ والسؤال الثاني هو: إذا كان من الممكن معرفته، ماذا يتعيّن عليّ أن أفعل لأعرفه كما هو حقًا؟ «دعنا نأخذ كلا منهما على حدة.

١. هل من الممكن حقًا أن نرى الله تمامًا كما هو؟

هل يمكننا فعلاً، في هذه الحياة، أن ننزع الستار ونكشف الغموض ونقول: «لقد رأيت الله بشكل كامل»؟ الجواب هو نعم و لا. نعم، يمكننا أن نعرف الله حقًا، ولا، لا يمكننا أن نعرفه على نحو شامل. دعني أشرح لك.

الجزء الخاص بـ «لا» أمر يسهل إثباته. لاحظ ما يقوله الخروج ٣٣: ١٨-٢٠:

فَقَالَ (موسى): «ارِنِي مَجْدَكَ».

بمعنى؟ «يا رب، أريد أن أراك بشكل كامل.»

«فَقَالَ: «اجِيزُ كُلُّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأَنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَاتَرَأُفَ عَلَى مَنْ اتَرَأُفَ وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ». وَقَالَ: «لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي لِأَنَّ الْأَنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ»

لذلك، هل يمكنك أن ترى الله حقًا بشكل كامل تمامًا كما هو؟

لا، إذا كنت ترغب في البقاء على قيد الحياة. ومع ذلك، يمكنك أن تراه بالقدر الذي يكشفه هو لك عن نفسه، وهو القدر الذي يمكن لأي منا تحمله.

يمكنك الحصول على معرفة حقيقية وأصيلة وواضحة عن الله. ولكن المطالبة برؤية المزيد، أكثر مما يختار الله أن يكشفه لك، قد يؤدي ببساطة إلى زوالك. وتذكر أننا لسنا مثله.

ومع ذلك، فالله يتوق إلى أن تراه. يخبرنا يوحنا ٤: ٢٤ أن الأب في الواقع يسعى إلى أن يعبدته الناس.

يتعلق جزء كبير من الحوار الذي دار وقت العشاء الأخير في يوحنا ١٤

بالطريقة التي كشف الله بها عن نفسه من خلال يسوع. عندما طلب فيليبس أخيرًا من يسوع بشكل مباشر،

«يَا سَيِّدُ أَرْنَا الآبَ وَكَمَا نَا.»

(يوحنا ١٤: ٨)

كان جواب الرب كاشفًا جدًا. يمكنك حتى أن تشعر بإحباط يسوع عندما أجاب:

«أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلِبُّسُ! الَّذِي رَأَيْتَ فَقَدْ

رَأَى الآبَ فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ أَرْنَا الآبَ؟.»

(يوحنا ١٤: ٩)

كان جوابه واضحًا. يمكنك أن تعرف الله. يسوع هو ملء اللاهوت في هيئة جسدية (الله الكامل المتجسد). ويمكن أن يكون ما تعرفه عنه دقيقًا مئة بالمئة. ولا يمكن أن تعرف الله بشكل كامل بسبب طبيعته، لكن كل ما تحتاج إلى معرفته عنه موجود في شخص المسيح.

لا يعني هذا أن الله هو شيء سلبي للدراسة يمكننا وضعه تحت مجاهرنا المحدودة. فهو يشارك بشكل وثيق في الإعلان عن ذاته. وفي الواقع، يعتمد قدر **إعلانه** عن نفسه لك بشكل كبير على **علاقته** بك.

تصف رسالة كورنثوس الأولى ٢: ١٢ هذه العملية الأساسية:

«وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ بَلِ الرُّوحِ الَّذِي مِنَ اللَّهِ لِنَعْرِفَ

الأشياء الموهوبة لنا مِنَ اللَّهِ.»

ولا يسكن الروح القدس في داخلك إلا عندما تنال الولادة الثانية كنتيجة للابتعاد عن الخطيئة وقبول المسيح كمخلص لحياتك. والروح القدس هو الذي يمنحك القدرة على فهم ما تمتلكه بالفعل في المسيح.

وتؤكد الآية التالية فكرة أن المعرفة الروحية تتطلب وجود الروح وتقديمه العون لنا. تفسر الآية ١٤ لماذا لا يمكن لبعض الناس الوصول إلى تلك المعرفة:

«وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لَا يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللَّهِ لَأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا.»

لا يحصل بعض الناس على المعرفة لأن الروح لا يعيش فيهم. إنهم لم يتلقوا الروح بعد لأنهم لم يقبلوا المسيح كمخلص. عندما يدخل الروح حياتنا، يصبح لدينا عيون روحية جديدة. لهذا السبب صلي بولس لأصدقائه المؤمنين:

«مُسْتَنِيرَةً عَيْوُنَ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غَنَى مَجْدِ مِيرَاتِهِ فِي الْقَدِّيسِينَ، وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِئِمَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ.»
(أفسس ١: ١٨-١٩)

روح الله هو الذي يكشف عنه بالحق لأولئك الذين يؤمنون.

هل يمكنك إدراك الجوانب الديناميكية للعلاقة أثناء تلك العملية؟ يمكنك قراءة الفصول المتبقية من هذا الكتاب كما لو أنها مجموعة من الحقائق عن شخص غريب.

يمكنك أن تصل إلى نهاية هذه الصفحات وتقول: «حسنًا، أعتقد أنني سوف أكون أكثر قدرة على التعرف إلى الله إذا التقيته». أو يمكنك أن ترى كل فصل من هذه الفصول كفرصة من إله الكون ليجتذبك نحو فهم أعمق وأكثر حميمية لهويته وطبيعته الحقيقية. إذا كان هذا هو شوق قلبك، أن تعرفه، فقلبك إذا يدق على نفس إيقاع قلبه.

فواصل القراءة! وسيقودنا هذا بالطبع إلى السؤال الحاسم الثاني.

٢. ماذا عليّ أن أفعل لأرى الله كما هو حقًا؟

سبق أن أجبنا جزئيًا على هذا السؤال أثناء معالجتنا للسؤال الأول، كيف «يرى» أحدهم الله؟ يجب أن يكون هناك نوع من التغيير الروحي والإعداد الذي يحدث كنتيجة للخلاص الذي ناقشناه للتو. لكن موقفنا في هذا التحول ليس سلبيًا. وأفضل إجابة على سؤال «ماذا يجب أن أفعل» هي كلمة واحدة: **اطلبه**.

«وَتَطْلُبُونِي فَتَجِدُونِي [فتصبحوا قادرين على رؤيتي]
إِذْ تَطْلُبُونِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ.»
(إرميا ٢٩: ١٣)

يتضمن كلا العهدين القديم والجديد وعودًا حول هذه العملية. يخبرنا الله من خلال إرميا:

«لَأَنِّي عَرَفْتُ الْأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ أَفْكَارَ سَلَامٍ لَا شَرٌّ لِأَعْطِيكُمْ آخِرَةً وَرَجَاءً [معرفة أن الله صالح، نعرف أن لديه خطيًا صالحة]. فَتَدْعُونِي وَتَذَهَبُونَ وَتُصَلُّونَ إِلَيَّ فَاسْمَعْ لَكُمْ. وَتَطْلُبُونِي فَتَجِدُونِي إِذْ [تبحثون عني أو] تَطْلُبُونِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ.»
(إرميا ٢٩: ١١-١٣)

ليست رؤية الله مباراة رياضية تشاهدها مسترخيًا. سوف يتطلب الأمر كل ما في كيانك وقلبك ومشاعرك. يجب أن تقول لله طوال حياتك: «أريد أن أراك. أشتاق إلى معرفتك.»

كما وصف يسوع العملية:

«وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اسْأَلُوا تُعْطُوا. اطْلُبُوا تَجِدُوا. اِفْرَعُوا يَفْتَحْ لَكُمْ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ وَمَنْ يَفْرَعُ يَفْتَحْ لَهُ. فَمَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ أَبٌ يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خُبْرًا أَفِيْعْطِيهِ حَجْرًا؟ أَوْ سَمَكَةً أَفِيْعْطِيهِ حِيَةً بَدَلَ السَّمَكَةِ؟ أَوْ إِذَا سَأَلَهُ بِيضَةً أَفِيْعْطِيهِ عَقْرَبًا؟ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلَادَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الْآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ»
(لوقا ١١: ٩-١٣)

يعدك الله بأنك ستجده إن كنت تطلبه. كما يعد بأن يعطيك الروح الذي تحتاجه لكي تعرفه إن سألت. هل تسعى؟ هل تسأل؟ هل تطرق؟ هل تصلي «يا رب أريد أن أعرفك»؟

تتمثل إحدى الأسباب التي تمنعنا من أن نعرف الله بشكل أفضل في عدم استعدادنا للمضي طبقًا لما نعرفه بالفعل. إنه يريد منا أن نراه وأن نتغير. إنه يريد منا أن نختبر حبه ونعمته وقداسته أكثر بكثير مما نفعّل. ولكن الكرة في ملعبنا. يجب أن نطلبه.

قد يبدو «الطلب» وكأنه مفهوم روحي غامض، لكن كلمة الله لا تتركنا في الظلام. تستحق الآيات التالية أن تضع تحتها خطًا في الكتاب المقدس الخاص بك.

«يَا ابْنِي إِنْ قَبِلْتَ كَلَامِي وَخَبَّاتِ وَصَايَايَ عِنْدَكَ حَتَّى تُهَيِّلَ أَدْنَكَ إِلَى الْحِكْمَةِ وَتُعْطِفَ قَلْبَكَ عَلَى الْفَهْمِ - إِنْ دَعَوْتَ الْمَعْرِفَةَ وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ إِلَى الْفَهْمِ إِنْ طَلَبْتَهَا كَالْفِضَّةِ وَبَحَثْتَ عَنْهَا كَالْكُنُوزِ فَحَيِّدِ تَفْهَمُ مَخَافَةَ الرَّبِّ وَتَجِدْ مَعْرِفَةَ اللَّهِ.»
(أمثال ٢: ١-٥)

تتضمن كل عبارة في هذا المقطع إجراءات محددة يمكنك اتخاذها لطلب الرب:

العبارة الأولى: الخطوة الأولى لطلب الرب هي قبول كلمته وتعلمها وتقديرها وحفظها.

العبارة الثانية: تنطوي الخطوة الثانية على الخضوع وقابلية التعلّم، أي الرغبة في أن تتعلم من الله.

العبارة الثالثة: تطوّر حياة الصلاة الحارة. متى كانت آخر مرة دُوبت فيها على طلب الفهم من الله؟ أو قضيت وقتًا طويلًا معه وحده؟ أو صُمت عن الطعام بينما كنت تطلب وجهه؟

العبارة الرابعة: اجعل طلب الرب أولوية في كل يوم. قرر أن تلتقي به وتختبر حضوره قبل وجبة الإفطار والعمل وواجباتك اليومية. اطلبه بنفس الحماس الذي قد تمشط به فنائك الخلفي إذا عرفت أن هناك ما قيمته مليون دولار من الذهب مدفون هناك.

العبارة الخامسة: تقدم الخطوة الخامسة توفّر لنا دافعًا يكفينا للحياة بطولها. سوف نختبر معرفة القدوس إذا طلبناه بكل قلوبنا.

تعني «رؤية الله كما يتوق هو إلى أن يرى» اكتشاف المعرفة الحقيقية عن الله. هل لاحظت ما يقوله أمثال ٢؟ **أنت** من سيتخذ هذه الخطوات. لا يستطيع المعلّم أو القس أو الواعظ أن يفعل ذلك نيابة عنك. ستكتشف المعرفة الحقيقية بالله لأنك أنت من **نقب** وأنت من **صرخ** طالبًا المعرفة.

فلا تأتي المعرفة الحقيقية لله سوى بشكل مباشر. أنا متأكد من أن توزر Tozer، وباكر Packer، وأعظم من رسموا معدن الله الأخلاقي بكلماتهم في تاريخ الكنيسة بأكمله، يتفوقون جميعًا على أنه حتى أفضل وصف لله لا يُفانر أبدًا بالتعرف إليه شخصيًا بكل نعمته ومجده. والحقيقة المدهشة هي أن الله يتوق إلى أن تراه بهذه الطريقة بالضبط!

ليس شيء أكثر أهمية من رؤية الله بوضوح كما يرغب في أن نراه. سنحضر في ما تبقى من هذا الكتاب سبغًا من صفات الله إلى ضوء كلمته، ونفحصها كما نفحص قطعة من الألماس. سنطلب من الله أن يركز أنظارنا عليه وأن يعطينا رؤية واضحة. هذه الصفات هي سمات معدن الله الأخلاقي أو الخصائص الإلهية.

وسننظر إلى صلاح الله وسلطانه وقداسته وحكمته وعدله ومحبهه وأمانته كسبعة جوانب لماسة واحدة. تسمح لنا كل من هذه السمات بأن نرى الله في ضوء جديد. وسنكتسب إدراكًا جديدًا للطرق التي تجتمع بها سمات الله للتأثير في حياتنا.

كما أن النمو في الطريقة التي نرى بها الله يؤثر تأثيرًا عميقًا في الطريقة التي نرى بها أنفسنا.

ستعيش لحظات من الانبهار عندما يساعدك روح الله على رؤية نفسك بطرق من شأنها أن تغير حياتك إلى الأبد، تمامًا مثل رحلتي مع دينيس بسيارتي الفولكس فاغن بيتل. وهي رحلة تستحق بالتأكيد أن تخوضها.

قبل أن تنهي تلك الصفحة، أودّ منك التوقف لثلاث دقائق. أدعوك إلى إغلاق عينيك والتفكير في هوية الله وطبيعته. يمكنك مراجعة ما قرأته في هذا الفصل وتطبيقه على شخصية الله ورغبتك في معرفته.

أعط قلبك وروحك وعقلك فرصة للتفكير في من صنعك وأحبك والذي يتوق إلى أن تراه بوضوح. وفي نهاية ذلك الوقت، تحدث إليه. اطلب منه أن يكشف لك عن نفسه بشكل غير مسبوق.

وبمجرد أن تفعل ذلك ستكون على استعداد لمعرفة الله بشكل أعمق وأكثر وضوحًا من أي وقت مضى، تمامًا كما يتوق إلى أن تعرفه.

وإذا لم تكن قد تمتعت قط بعلاقة شخصية مع الله، وكانت لديك أسئلة حول كيفية القيام بذلك، فقد أرفقت دليلًا من أجلك ستجده في الملحق في الصفحة ٣١٧.



4

صَلاَحُ اللّٰهِ



«لَأَنَّ الرَّبَّ اللّٰهَ شَمْسٌ وَمِجَنٌّ. الرَّبُّ يُعْطِي رَحْمَةً وَمَجْدًا.

لَا يَمْنَعُ حَيْرًا عَنِ السَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ»

مزمور ٨٤: ١١

صلاح الله

كنت أخوض معركة عنيفة لم يرها سواي. فمن ناحية ظاهرية، كنت شخصًا لطيفًا بما فيه الكفاية. كانت لغتي نظيفة، وكنت أقرأ كتابي المقدس، وأصلي كثيرًا، وأحضر الكنيسة بانتظام. لكني كنت أعرف أن ذلك لم يكن كافيًا. أدركت أن يسوع يريد أن يكون سيدًا على كل نواحي حياتي: الأمور المالية والمدرسة والرياضة ومستقبلي، إضافة إلى علاقتي بالجنس الآخر. لم يكن يريد الأجزاء المرئية والسطحية مني فحسب، بل كان يريدني بالكامل.

كانت هي ذاتها المعركة التقليدية التي يخوضها كل مؤمن، حيث يحقق بعضهم فيها انتصارًا سريعًا، بينما يقضي بعضهم الآخر حياتهم بأكملها في الصراع ضد سلطة الله. أما بالنسبة إلي، استمر هذا الصراع الصامت لما يقرب من عام.

كانت هناك جبهات قتال عدّة، لكن جبهة الصراع الرئيسية في حياتي كانت الجزء الخاص بالمواعدة. لم أكن متأكدًا من رغبتني في أن أثق بالله لاختيار شريكة لحياتي

أخذت آيات الكتاب المقدس في الاعتبار واستمعت إلى العظات وقضيت الوقت وحيدًا في الصلاة. كنت أسمع روح الرب في الخلفية يحثني دائمًا بقوة على السماح ليسوع بالسيطرة الكاملة على حياتي. كنت أعرف الجواب الصحيح، لكنني في أعماقي كنت أقاومه. كان ردي ثابتًا: «يا رب، إنني أرغب حقًا في أن أسلم كل شيء لك. أنا أرغب حقًا. ولكنني لا أستطيع فعل ذلك.»

لو طلب مني أحدهم أن أشرح شعوري في ذلك الوقت، لوجدني غير قادر على التعبير عن الصراع الذي كنت أخوضه بكلمات مناسبة. إذ كان كل ما أعرفه هو أن فكرة إعطاء السيطرة الكاملة على حياتي ومستقبلي لله كانت تجعل القشعريرة تسري في كامل جسدي. كانت الثقة في الله بهذه الطريقة، الثقة التامة، تشعرني بالرهبة.

تخيلت أن ذلك سيؤدي بي إلى أن أظل وحيدًا لبقية حياتي، أو ربما أسوأ من ذلك، أن أكون متزوجًا من شخصية مملة وغير جذابة. وتخيلت أننا نسافر لنخدم الله في بعض الأماكن المنبوذة المصابة بالبق والتماسيح والثعابين. كم أكره الثعابين! لم أتمكن من رؤية أية متعة في المستقبل مع وجود الله في موقع السيطرة.

كنت أعرف بعقلي أن الله هو المسؤول. فهو الله رغم كل شيء. لكنني كنت أرتعب مما يمكن أن يفعله بمجرد أن أتنازل له عن عجلة القيادة. هل سيخبرني أنني لا أستطيع لعب كرة السلة بعد الآن لأنها ليست روحية بما فيه الكفاية؟ هل سيرسلني لأكون على بعد آلاف الأميال عن كل شخص أعرفه وأحبه؟ هل سيجعل من حياتي فوضى؟ هل سيطلب مني أن أموت شهيدًا في سن مبكرة؟ كنت أعرف أن التلمذة ستكلفني وكنت أخشى أن تكون التكلفة مرتفعة جدًا ومؤلمة للغاية. كسر الله الجمود بطريقة لم أكن أتوقعها. استخدم تكتيكًا لم يكن لدي أي دفاع في مواجهته. وبما أنني لم أتمكن من رؤيته بوضوح من موقعي، أخذني إلى مكان آخر حيث يمكنه تحسين رؤيتي.

تلقيت دعوة عشاء في إحدى الأمسيات من مزارع شاب وزوجته. كنت طالبًا في كلية صغيرة في بلدة صغيرة وكنت أحضر اجتماعات في كنيسة صغيرة. تلقيت ترحيبًا حارًا كواحد من المقيمين المؤقتين، وخاصة من قبل عائلة المزارعين الصغيرة تلك. دعنتني العائلة إلى تناول وجبة منزلية. ومن المؤكد أن طلاب الجامعات لا يمكن أبدًا أن يرفضوا وجبات الطعام المطبوخة في المنزل. فكيف كان لي أن أرفض؟

عندما وصلت إلى مزرعة هذه العائلة في التلال، شعرت بأنني كنت أقود السيارة في مشهد طبيعي وكأنه لوح فني رسمه فنان. وكان هنالك مخزن غلال قديم عملاق جعل بيت المزرعة بجواره يبدو قزمًا، بينما بدا وهج الضوء من نوافذ المنزل مع ضوء الشفق وكأنه يرحب بي ترحيبًا دافئًا. وفي داخل المنزل، غطت قطع السجاد الصغيرة جزئيًا البقع البالية من الأرضية المغطاة بالمشمع. وبدا الأثاث وكأنه قد شهد أيامًا أفضل.

وعُلِّقت مفارش الأسرة حيث كان من المفترض تركيب الأبواب. ولكن لم يبدُ أيُّ من ذلك مهمًّا. إذ جعلني الود والبشاشة والحب الذي أظهره أطفالهم أشعر على الفور وكأنني في بيتي. وكانت نفحة واحدة من رائحة الطعام القادمة من المطبخ كافية لأسر قلبي ومعدتي! ثم أتى الطعام على المستوى نفسه الذي أوجت به الرائحة. ولكن ما أشبعني أكثر من الطعام دائرة الصلاح التي أحاطتني في تلك الليلة.

كانت هذه العائلة الشابة حديثة الإيمان بالمسيح مثلي، وكان لديهم حب نابض بالحياة لله. لقد رأيت الدفاء الحقيقي في منزلهم، والذي انعكس في وجهي طفليهما الصغيرين، فحدث شيء ما في قلبي. لقد وجدت نفسي أعيد التفكير في قائمة أمنيات حياتي في ذلك المساء: بدا النجاح الخارجي تافهًا بالمقارنة بالثروة التي رأيتها عند هذا الرجل وزوجته وأطفالهم. بعد انتهائنا من الطعام، قمنا بمسح الطاولة وتقاسم الحلوى التقليدية: فطيرة التفاح منزلية الصنع مع كوب صغير من الآيس كريم. وعندما بدأت علامات النعاس تظهر على الأطفال، سألني الوالدان، «هل تمنع إن تركناك قليلًا؟ فهذا شيء جديد بالنسبة إلينا». استأذنونا مني وذهبوا إلى الغرفة التالية. شاهدتهم من خلال الستائر المعلقة على المدخل. الأم والأب والأطفال راكعين مقابل السرير يصلون معًا.

كانت أصوات هؤلاء الأطفال ممتلئة بالحب لأهمهم وأبيهم وهم يتحدثون إلى يسوع. شعرت برابطة الحب في تلك العائلة وبالصلاح الذي ملأ ذلك المنزل. كنت أشعر طيلة الأمسية بتلك الشعلة بين هذا الشاب وزوجته، كان حبهما أحدهما للآخر عميقًا وواضحًا، كما بدا حبهما لشخص ثالث جليًا أيضًا. كانت صلواتهم له متواضعة ونقية. ولا يزال هذا المشهد البسيط يحرك مشاعري إلى اليوم.

عند نهاية الأمسية، ركبت سيارة الفولكس واجن الخضراء الصغيرة خاصتي، وقدمت على الطرق المتعرجة متجِّهًا إلى السكن الجامعي،

وَشَرَعْتُ أَفْكَرَ فِي قَائِمَةِ رِغَابَاتِي. «إذا كان بإمكانني اختيار مستقبلتي، فقد أرغب في أن أكون جزءاً من أسرة من هذا النوع. ولكن، هل سيسمح الله بأن تكون لدي واحدة؟» لقد جعلتني نظرتي المشوهة إلى الله أعتقد أنه يريد لي فقط المشقة والتضحية، وأنه لن يسمح لي بتجربة الأشياء التي رأيتها في ذلك المساء.

وبينما كنت أصلي من أجل الأمور الموجودة على لائحتي في طريقي للمنزل، تمكنت من سماع رد الرب تقريباً: «حسناً تشيب، أنت تعرف أن الأمر يسير طبقاً لشروطي وأنا وليس لشروطك. لقد خلقت كل شيء، وأنا أطلب أن أخذ موقعي في قلبك كما آخذه في الكون. وأنا أرى طلبتي هذا معقولاً، أليس كذلك؟ أتذكر أنني أرسلت ابني لك كدليل على حبي. لقد غيرت حياتك.»

أجبت من واقع تصوراتي الخاطئة. «حسناً، يا رب، أنا حقاً لا أريد التوقيع على بياض لأسلمك مفاتيح حياتي بالكامل، لأنني إذا فعلت ذلك، فسوف...» بدأ ذهني في عرض تلك الصور لما يمكن أن يفعله الله إذا أعطيته السيطرة على حياتي ... إفريقيا، زوجة مملعة وغير جذابة، تضحيات صعبة، والوفاة المبكرة... وحتى الثعابين. لذلك سألته عن ذلك. «يا رب، كيف يمكنني أن أثق بك وأستأمنك على حياتي وأنا غير متأكد من أنك ستحقق ما هو صالح بالنسبة إلي؟»

كنت قد حفظت رومية ٨: ٣٢، وتذكرتها فجأة مثل نور أشع في رأسي. كنت أشك في صلاح الله وفي الوقت نفسه أحفظ الآية التي تعد به:

«الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَدَلَهُ لِأَجْلِئْنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لَا يَهَبَّنَا
أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟»

غمرتني المعاني التي تتضمنها تلك الآية بقوة حتى شعرت وكأنني نلت الولادة الثانية من جديد! أدركت أنه إذا كان الله قد أعطاني بالفعل أغلى عطاياه - ابنه - فما الذي سيجعله يصبح بخيلاً معي الآن؟ أتذكر أنني فكرت وقتها: يا رب، أتعني أنني بحاجة للتوقيع على بياض لك

لأنه بما أنك تحبني، ولأنك صالح، يمكنني أن أثق بك؟ سمح الرب لي بأن أجيب بنفسي على أسئلتني البلاغية تلك. قررت في تلك الليلة أن أجعل يسوع ربًا على حياتي لأنني رأيت صلاح الله بوضوح. كنت قد ركزت على التكلفة والتضحية التي تتطلبها سيادته على حياتي لدرجة أعمت ذهني تمامًا عن المكافآت. الاستسلام هو القناة التي من خلالها تتدفق أكبر بركات الله وأفضلها.

بدأت لأول مرة أدرك كيف أن فكرتي الخطأ عن الله كانت قد قوضت علاقتي به. كيف أمكنني أن أرى أن الله صالح، وفي الوقت نفسه أتوقع أنه سيضرني؟ استخدم الله عائلة فرجينيا الغربية الصغيرة تلك وكلمته القوية لتصحيح رؤيتي إليه. لقد وضع في رأسي أفكارًا رائجة وجديدة بالكامل بدلاً من مفاهيمي الخطأ.

كانت لديه خطط صالحة لأجلي. كان بإمكانني الوثوق به. **لقد كان بجانبني!** لم يكن هدفه هو تجاهل رغباتي أو سحقها بل تحقيقها بشكل أفضل مما يمكن أن أتخيل! لقد كانت إحدى أعرق وأقوى الإعلانات التي تباركت بها في حياتي.

بعد مرور سنوات ودروس عدّة، أدركت أن السبب الرئيسي لمشكلتي كان نظرتي المشوّهة إلى الله. لم أكن أعتقد أنه صالح. افترضت أنه لم يكن على علم باهتماماتي وأن من شأن تكريس الحياة له أن يتسبب في فقدانني للأشياء التي أردتها أكثر من غيرها. ولكن عندما يتعلق الأمر بصلاح الله وبصفاته الأخرى، كنت مخطئًا في الاعتماد على انطباعاتي المشوشة. كنت بحاجة إلى رؤية الله بوضوح، كما يكشف هو عن نفسه حقًا.

لقد غير فهمي لصلاح الله حياتي لأنه بدل نظرتي إلى الله. لقد تلاشى أكبر صراع في حياتي في غضون دقائق لأنني حصلت لأول مرة على لمحة عن صلاح الله. فماذا عنك؟ كيف ترى الله؟ ماذا تعتقد أن الكتاب المقدس يعني حقًا ما يقوله عندما يقول إنَّ الرب صالح؟

تعريف صالح الله

كلما دارت في أذهاننا تساؤلات عن صالح الله، يُمكن لتعريف واضح أن يساعدنا على التركيز على ما يمكن أن نتوقعه منه بالضبط. تُعرّف القواميس الإنجليزية الصلاح من خلال مرادفات مثل التفوق الأخلاقي، واللفظ، والتنازل من أجل صالح الآخرين. يشير صالح الله إلى الجودة العالية لعمله أو الآثار الخيرة لمعدنه الأخلاقي.

ترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس، كلمة صالح غالبًا ما تُترجم عن الكلمة العبرية «توف» و «تاف». وهما كلمتان تشيران إلى تلك السمة التي تدفعه إلى أن يبارك الناس ويخلصهم ويخزن البركات لمستقبلهم. إنها تتضمن ذلك الشعور بالفرح عند العطاء أو تقديم هدية لأحدهم. إن صالح الله هو أمر مُبهج ومرغوب ولطيف وسخي. ويُعبّر المزمور ٨٤: ١١ عن ذلك بصدق. فالأعمال التي يقوم بها الله، والعطايا التي يمنحنا إياها كلها «أشياء صالحة».

توفر لنا هذه المراجع اللغوية القاموس ودراسة الكلمة بداية جيدة، ولكن تعريفني المفضل لصلاح الله يأتي من **A. W. Tozer**:

إن صالح الله هو ما يجعله رؤوفًا، ودودًا، وخيّرًا (محبًا للإحسان)، مقاصده دائمًا حسنة تجاه الناس، إنه حنان وسريع الرأفة، وموقفه الثابت تجاه جميع الكائنات دائمًا منفتح وصريح وودود. فهو بطبيعته يميل إلى منح البركة ويُسرُّ بسعادة شعبه.

تعريف سريع

الله يكشف عن صلاحه لموسى

يتجاوز الله تعريفات القاموس ويكشف عن صلاحه بشكل شخصي. كيف ذلك؟ نجد قرب نهاية سفر الخروج واحدة من أولى المرات التي كشف الله فيها عن صلاحه بوضوح عندما ننضم إلى موسى على قمة الجبل أثناء تلقيه للوصايا العشر.

أراد موسى أن يعرف الله. كان قد سمع صوته في العليقة المشتعلة وشاهد المعجزات في مصر، وشق البحر الأحمر الذي أطلق سراح شعبه من العبودية، وحين أرسل الله لهم الماء والمن في البرية. لقد شهد موسى أدلة وافرة على قوة الله، لكنه أراد ما هو أكثر. أراد علاقة شخصية حميمة بصاحب ذلك الصوت القوي والمعجزات الخارقة. لذلك قال لله في خروج ٣٣: ١٨،

«ارِنِي مَجْدَكَ»

وبعبارة أخرى، قال لله بجرأة: «أريد حقاً أن أعرفك. أريد أن أراك كما أنت.»
رد الله:

فَقَالَ: «أَجِيزُ كُلَّ جُودَتِي (صَلاحي) فُدَّامَكَ، وَأَنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ فُدَّامَكَ، وَأَتَرَأْفُ عَلَى مَنْ أَتَرَأَفُ وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ». وَقَالَ: «لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ.»
(خروج ٣٣: ١٩-٢٠)

أراد موسى أن يرى مجد الله. ولكن الله أظهر له شيئاً أكثر سهولة وأقل خطورة، وهو صلاحه.

تصف الآيات التالية ما فعله الله. وضع موسى في شق الصخرة، ووضع يده عليه، واستجاب لطلب موسى من دون إدانته.

قَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا عِنْدِي مَكَانٌ فَتَقِفُ عَلَى الصَّخْرَةِ. وَيَكُونُ مَتَى اجْتَأَزَ مَجْدِي أَنِّي أَصْعَكَ فِي نُفْرَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ وَأَسْتُرَكَ بِيَدِي حَتَّى اجْتَأَزَ. ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ وَرَائِي. وَأَمَّا وَجْهِي فَلَا يَرَى.»
(خروج ٣٣: ٢١-٢٣).

ولكن الأمر لم يكن مجرد رؤية صامتة من دون حديث. إذ يروي موسى في لغة ملأتها الرهبة الكلمات المدهشة والمعزية التي تكلم بها الله أثناء مروره:

«فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ.
فَاجْتَاَزَ الرَّبُّ قَدَّامَهُ. وَنَادَى الرَّبُّ: «الرَّبُّ إِلَهُ رَجِيمٍ وَرَوْوُفٌ بَطِيءٌ
الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الْأَحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الْأَحْسَانِ إِلَى الْوَفِّ. غَافِرُ
الْأَثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيئَةِ. وَلَكِنَّهُ لَنْ يُبْرِيَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ أَيْمَ الْإِبَاءِ فِي
الْإِنْبَاءِ وَفِي ابْنَاءِ الْإِنْبَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ»
(خروج ٣٤: ٥-٧)

أحب تفسير **J. I. Packer** لهذا المقطع كثيرًا. «من ضمن مجموعة الصفات الأخلاقية فائقة الكمال التي لله، هناك واحدة على وجه الخصوص، والتي يشير إليها تعبير الصلاح – تلك السمة التي يتفرد الله بها عن الجميع عندما أجاز «كل جوده» قدام موسى، وعندما يتحدث عن نفسه بأنه «كثير الاحسان والوفاء»... إنها صفة الكرم»

هل سبق لك أن فكرت في أن الله ينظر إليك وإلى حياتك بكل أحمالك، وغيوبك، وصعودك وهبوطك، ثم يقول: «أريد أن أكون سخيًا معك. أشتاق إلى إعطائك بالضبط ما من شأنه أن يجعلك سعيدًا، ليس لأنك تستحق ذلك، ولكن لأن هناك شيئًا له علاقة بهويتني وطبيعتني من شأنه أن يجلب لي فرحًا لانهائيًا عندما أعبر لك عن كرمي.»

ويواصل باكر: «الكرم هو تلك النزعة إلى العطاء للأخرين بطريقة ليست وراءها أية دوافع مأجورة، ولا تعتمد على استحقاق المتلقي، بل تتخطاه باستمرار.» وبعبارة أخرى، فإن الله لا يعطي أبدًا من أجل الحصول على مقابل. وعطاؤه ليس للتلاعب.

«فَإِنَّهُ يُسْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمِطِرُ
عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ»
(متى ٥: ٤٥).

أمطارًا من البركات التي لا يستحقها أي منا. الله يعطي بسخاء. يقول باكر إن «الكرم هو تعبير عن تلك الرغبة البسيطة أن ترى الآخرين يملكون ما يحتاجون إليه لجعلهم سعداء.»

تصوّر أن الله يفكر فيك بهذه الطريقة! إنه يفعل ذلك، وأنت تعلم ذلك. تلك هي أفكار الله الفعلية عنك. هذا هو شعوره تجاهك، ليس فقط في بعض الأحيان، بل في كل وقت. إنه يفكر بهذه الطريقة لأن هذا ما هو عليه.

صلاح الله غير متناهٍ، فهو أبدي في صلاحه وقدّوس في صلاحه. وأنت موضوع محبته. وبسبب طبيعته الفريدة والالهية، فإن تعبيره عن كرمه تجاهك يأتي رحبًا وغامرًا وعلى قدر عظمة مقام الله. بمجرد أن تبدأ في التفكير في الله من هذا المنطلق، فإنك لن تريد أن تتوقف!

حاول أن تتخيل كيف سيؤثر ذلك في حياتك الروحية. إذا تصورت الله وهو يميل نحوك بابتسامة مترقبًا كل ما يتوق إليه فيك ومن خالك، ستكون الصلاة أسهل بكثير. أليس كذلك؟ وإذا كنت قد تخبطت كثيرًا، سيصبح الآن من الأسهل بكثير أن تتحدث مع شخص لديه نية أن يباركك ويشجعك لأنه صالح في جوهره.

❁

**الكرم يعبر عن
رغبة بسيطة في
رؤية الآخرين
يتمتعون بما
يحتاجون إليه
ويفرحون لذلك.**

هل نجحت في استيعاب الفكرة؟ تأمل فيها بالقدر الذي تحتاجه. الله وديع القلب وسريع التعاطف معك. إنه لا يحمل ضغينة. ولا يعقد ذراعيه. إنه ليس كما اعتقدت ذات مرة، شرطيًا كونيًا ينتظر مواجهتك بكل الجنايات والجَنح التي ارتكبتها. إنه طيب بشكل دافئ ومنفتح وودود ومتفهم ومتقبل ويشعر بصراعك. ليس ذلك فحسب، فهو يتوق إلى التعبير عن حبه وصلاحه ولطفه وتعاطفه مع البشر العاديين مثلي ومثلك. ولا يفعل الله هذا لكوننا صالحين أو لأننا نستحق ذلك، لكن لأنه هو صالح ويريد أن يفعل ذلك. إنه جزء من طبيعته ومعدنه الأخلاقي.

الله متعاطف معك بطريقة إلهية وإيجابية. إنه يبتهج ابتهاجًا مقدسًا بسعادتك. إنه لا يحتقرك لأنك تعيش في عالم ساقط، بل هو موجود لأجلك

في خضم هذا العالم. هذه هي الطريقة التي نُعرِّف بها صلاح الله.

هذه هي الطريقة التي يجب أن نفكر بها فيه. تلك هي الصور والكلمات والأفكار التي يريد الله أن تفيض في قلوبنا وعقولنا بينما نغني عن صلاحه الأفضل من الحياة! هذا جزء من العبادة الحقيقية. العبادة هي رؤية هوية (طبيعة) الله حقًا والتجاوب مع تلك الحقيقة من قلبك وحياتك ووقتك وكل كينونتك. لأنك لا تستطيع أن تفعل غير ذلك، إذ غمرتك بكرمه وأحاطك بصلاحه.

ربما تكون مثلي قد وجدت صعوبة في أن تصدق أن الله يحمل ذلك نفس هذا الشعور تجاهك، أي أنه حقًا صالح وسخي وأنه ينتظرك مبتسمًا وأنه يريد أن يقوم بما هو خير لك. إنه مفهوم غريب جدًا بالنسبة إلى الكثيرين منا ممن تسببت العائلة والخلفية الثقافية والتجارب الدينية في جعلهم يعتقدون أن الله غالبًا ما يحمّلنا فوق طاقتنا، ويطلب منا القيام بأمر صعبة من دون أن يضع مصالحنا في الاعتبار.

ينتج إدراكنا المشوه إلها يبدو وكأنه شرطي يعمل كالرادار ولا يتمتع بروح الدعابة واقفًا ينقر بعصاه في انتظار أن نخطئ، أو أنه مثل الوالد الغاضب دائم الانتقاد، والذي يغيظ النظر عن جودة علامتنا في الشهادة المدرسية، يُصر دائمًا أنه بوسعنا أن نبلي بلاء أفضل. تمنعنا تلك الصور التي تسللت إلى عقولنا من أن نثق به. ألسنا مستعدين للحصول على صورة أفضل، ولا سيما إذا كانت صحيحة؟ يمكننا أن نرى الصورة الحقيقية. هذا الإله الذي وصفت صلاحه قد أثبت بالفعل هذا الجزء من طبيعته لنا. لقد قدّم لنا أدلة قادرة على هدم الأفكار الخاطئة التي قمنا ببنائها في عقولنا.

كيف يكشف الله لنا عن صلاحه؟

كيف يكشف الله عن صلاحه للناس العاديين مثلك ومثلي؟ دعني أقدم لك ثلاث قنوات محددة يستخدمها الله لبتّ صلاحه لنا.

■ من خلال النعم الطبيعية

أولاً، يسكُب الله صلاحه علينا من خلال النعم الطبيعية. فكرت في أن أبدأ القائمة بهذا الأمر لأننا كثيراً ما نكون عرضة للتغاضي عن بعض الأشياء التي يفعلها الله لأجلنا كل وقت. هناك فخ خفي نقع فيه عندما نرى جمال العالم الذي نعيش فيه ونظامه كأمر مُسلم بها. نحن نتجاهل النعم اليومية التي تتمثل في اعتدال الطقس وتعاقب المواسم والحياة، وهي أدلة على صلاح الله.

أما العواصف وأمواج تسونامي والزلازل والكوارث الطبيعية التي نشكو منها ونصفها بأنها «قضاء وقدر»، فيفترض في الواقع أن نذكرنا بثبات الله العجيب رغم وجودنا في عالم ساقط وغير مستقر.

تحرك قلب داود بالروح ليكتب ترنيمة ثناء يحتفي فيها بصلاح الله ومحبتة الظاهرين في النظام الذي خلقه، وهي مزمور ١٤٥. لاحظ بينما تقرؤها كيف يسكب الله صلاحه ليس فقط على المؤمنين، بل على غير المؤمنين أيضاً وعلى جميع مخلوقاته.

«ذَكَرَ كَثْرَةَ صَلَاحِكَ يُبْدُونَ وَيَعْدِلُكَ يُرْمُونَ. الرَّبُّ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ طَوِيلُ
الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ. الرَّبُّ صَالِحٌ لِلْكَلِّ وَمَرَّاحِمُهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِهِ»
(مز ١٤٥: ٧-٩).

اقرأ هذا السطر الأخير مرة أخرى. من الذي تعنيه كلمة «كل»؟ إنه أنت. (اقرأه مرتين). يعني هذا أنه ما من مكان في الكون يمكنك الذهاب إليه للابتعاد عن صلاح الله. يعلن الكتاب المقدس أن الله صالح لكل وأنه حنان ولديه مشاعر اهتمام عميقة. وتترجم تلك المشاعر إلى أعمال يقوم بها ليحفظنا ويضمن راحتنا حتى في أحلك اللحظات.

• نقرأ بعد ذلك في المزمور نفسه،

«أَعْيُنُ الْكُلِّ إِلَيْكَ تَتَرَجَّى وَأَنْتِ تُعْطِيهِمْ طَعَامَهُمْ فِي حِينِهِ. تَفْتَحُ يَدَكَ
فَتُنْشِئُ كُلَّ حَيٍّ رِضَى. الرَّبُّ بَارٌّ فِي كُلِّ طَرَفِهِ وَرَحِيمٌ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ»
(مز ١٤٥: ١٥-١٧).

يا لها من صورة عظيمة ترسمها تلك الآيات لله المدبر الأمين لاحتياجاتنا! ومرة أخرى، نجد تذكيرًا في السطر الأخير أن صلاحه يشملك، كما يشمل الجميع. فأنت جزء من «كل أعماله».

تنتهي ترنيمة الثناء تلك بتعبير داود الشخصي عن العبادة في الآية ٢١:

«بِسَبِيحِ الرَّبِّ يَنْطِقُ فَمِي وَوَيْبَارِكُ كُلُّ بَشَرٍ اسْمَهُ الْقُدُّوسَ إِلَى
الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ.»

هل لاحظت أن هذه الآية تنتهي بأمر؟ تتمثل واحدة من أقوى الطرق التي يمكن بها أن تبدأ بتصديق صلاح الله واختباره في أن تستمر بالاحتفاء بصلاحه للجميع. فكل عطية جيدة وكاملة هي منه، حتى العطايا الصغيرة. لقد أعطانا الله أكثر مما نحتاج إليه للبقاء على قيد الحياة في هذا العالم. لقد أعطانا المتعة والجمال والمعنى. وكل علاقة، كل وظيفة، كل شجرة، كل زهرة، كل لحظة تعيشها علامة على رأفته. ويمكن لكل ركن من أركان العالم الخاص بك وكل لحظة في يومك أن تذكرك بصلاحه، شريطة أن تبدأ في البحث عنه.

■ من خلال إنقاذنا من المخاطر محددة

يُعبرُ الله لنا عن صلاحه من خلال إنقاذنا من مخاطر محددة. يمتلئ الكتاب المقدس بأمثلة عدّة عن إنقاذ الله لشعبه. يبدأ المقطع الشهير في المزمور ١٠٧:

«إِحْمَدُوا الرَّبَّ لِأَنَّهُ صَالِحٌ لَأَنَّ إِلَى الْإَبَدِ رَحْمَتُهُ.»

تكرر هذه الآية مثل قرار الأغنية بشكل احتفالي طوال المزمور. لا بد أن يلاحظ حتى القارئ العادي كيف تتكرر هذه الفكرة ببراعة للتركيز، ليس على تقديم الشكر لله فحسب، بل أيضًا على استيعاب الطرق المتنوعة التي يكشف الله بها عن صلاحه.

والآن، أرجو منك أن تأخذ بضعة لحظات لفتح الكتاب المقدس الخاص بك وقراءة المزمور ١٠٧ ببطء. وقد ترغب في أن تضع خطأ تحت عبارة «فَلْيُحْمَدُوا الرَّبَّ عَلَى رَحْمَتِهِ» كلما قرأتها.

ولاحظ أثناء قراءة تلك السيناريوهات الأربعة المختلفة التي يستخدمها كاتب المزمور ليشرح كيف يكشف الله عن صلاحه. ستجد أن الخيط الرابط بينها هو أن جميعها عبارة عن إنقاذ من مخاطر محددة. فالله يتدخل في الأزمات. يلتقي أناسًا مثلك ومثلي في أوقات الحاجة الشديدة. ويظهر ومعهم المساعدة لسبب واحد، وهو أنه صالح.

قمت بتلخيص طرق الإنقاذ الأربع في المزمور ١٠٧ كما يلي:

- يخلص الله الضعفاء من أعدائهم لأنه صالح.
- ينقذنا الله من ظل الموت لأنه صالح.
- يشفي الله أمراضنا لأنه صالح.
- يحمينا الله من العواصف التي تهدد بإغراق حياتنا لأنه صالح.

تشير آيات الإنقاذ تلك إلى عدد لا يحصى من المرات في تاريخ شعب الله تدخل فيها الله بقوة لينقذ الموقف. ورغم أن خطط الله لا تعمل دائمًا بالطرق التي نفضلها، إلا إنه لا يزال أمرًا غريبًا أننا كثيرًا ما نركز على الظروف الصعبة، والتي هي قليلة نسبيًا في حياتنا، ونميل إلى نسيان أعمال المحبة والإنقاذ المتكررة التي تحدث طوال الوقت. لدى قراءة كل قسم من هذا المزمور، خذ وقفة للتفكير في أمر مشابه يحدث في حياتك الخاصة، واطلب من الله أن يساعدك على تذكر كيف تدخل من أجل خيرك وكيف أنقذك أنت أو أحبائك.

ما هي الطرق التي أظهر الله بها صلاحه في حياتك على وجه التحديد؟

تتمثل واحدة من أكثر الذكريات قوة لدي عن إنقاذ الله في إنقاذه لأحد أعز أصدقائي. كان غلين يخدم كمبشر في سريلانكا. وفي خلال إحدى العطل، أخذ عائلته إلى أحد المنتجعات المطلة على المحيط ليحصلوا على قسط من الراحة والاسترخاء.

عندما كان غلين على الشاطئ مع زوجته وطفليه، بدأ شاب كان يسبح في الماء فجأة في التلويح والصراخ بأن شيئًا ما يسحبه للأسفل. لم يكن هناك منقذون، وكان من الواضح أنه إذا لم يتدخل أحد، سيغرق الصبي.

كان غلين شابًا مزارعًا من مينيسوتا وسبّاحًا ممتازًا. نزع قميصه بسرعة وانطلق نحو الماء. عبّر الحواجز ووصل إلى الضحية في الوقت المناسب. غاص عميقًا تحت الشاب وأمسك به من الخلف وانتشله من قبضة التيار السفلي المعاكس دافعًا إياه نحو السطح. كان توقيته مثاليًا. حملت موجة عالية الصبي ودفعتها في اتجاه الأيدي المنتظرة التي تلقفته عند الشاطئ.

ولكن ما حدث هو أن الأسلوب الذي اتبعه غلين تسبب في وقوعه في برائن التيار السفلي المعاكس الذي أنقذ منه الصبي للتوّ. شعر وكأنّ يدًا غير مرئية تشده نحو القاع. «لم أتمكن من التحرك على الإطلاق، وفرغ صدري تمامًا من الهواء. وصرخت، «يا يسوع، ساعدني.» رأيت صورًا تومض في ذهني. وكل ما كنت أفكر فيه هو أن زوجتي وطفلي سيرا قبونني وأنا أغرق أمامهم.

«لم أكن أعرف كيف سأموت، لكنني لم أكن أعتقد قط أنني سأموت بهذه الطريقة. استسلمت. توقفت عن المقاومة. لم يكن هناك شيء يمكنني القيام به. كنت أعرف أن الموت كان وشيكًا وأن الشهيقة التالي الذي سيدخل رثتي سيكون عبارة عن ماء، كنت متهيئًا لفقدان الوعي. وتحولت ما كنت أظن أنها آخر فكرة واعية أفكر فيها إلى صلاة: «يا يسوع، أنقذني!»

«شعرت حرفيًا كما لو أن شيئًا قد أمسكني ثم ألقى بي، برزت على السطح ثم كذفتني موجة نحو الأيدي المتلهفة. أخذني الناس إلى الشاطئ وساعدوني على أن أسعل لأخرج الماء من رثتي. وعندما أداروني لأستقر على ظهري رأيت مبشرًا آخر، روبن كوك، كان منحنيًا يتطلع إليّ. ساعدني الأدرينالين على الجلوس، لكنني كنت أرتجف بشدة.

لَقَّنِي أَحَدَهُمْ بَعْضَ الْمُنَاشِفِ. تَحَوَّلْتُ إِلَى رُوبِنَ بَعْدَ أَنْ انْتَهَى الْأَمْرُ
وَقُلْتُ لَهُ: «اللَّهُ صَالِحٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

لَا أَعْرِفُ بِشَكْلٍ وَاضِحٍ كَيْفَ يُعْطِي اللَّهُ لِبَعْضِهِمُ الْكَلِمَاتَ الصَّحِيحَةَ
فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ. لَكِنْ رُوبِنُ أَجَابَ إِجَابَةً لَا تُنْسَى. وَضَعَ يَدَهُ عَلَيَّ
كَتَفَ غَلِيْنِ وَقَالَ: «اللَّهُ صَالِحٌ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ يَا غَلِيْنِ، لَكِنَّهُ كَانَ سَيُظَلُّ
صَالِحًا حَتَّى لَوْ كُنْتُ قَدْ مُتُّ هُنَاكَ.»

هَذَا صَحِيحٌ. فَفِي النِّهَايَةِ، لَيْسَ اللَّهُ صَالِحًا لِأَنَّهُ يَمْدُنَا بِالْخَيْرَاتِ. لَيْسَ
اللَّهُ صَالِحًا بِسَبَبِ شَيْءٍ فِينَا، اللَّهُ صَالِحٌ بِسَبَبِ مَا فِيهِ هُوَ. لَا يُمْكِنُ لِلَّهِ
أَنْ يُظْهَرَ مَعْدَنًا أَخْلَاقِيًّا مُخْتَلِفَةً. اللَّهُ صَالِحٌ، كَمَا أَنَّ خِيَارَاتِهِ لَنَا هِيَ أَيْضًا
صَالِحَةٌ، حَتَّى عِنْدَمَا لَا تَبْدُو كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْكَ. إِنَّ طَبِيعَتَهُ الْأَبَدِيَّةَ
الْأَصِيلَةَ الْمُتَجَلِيَّةَ فِي كُلِّ صِفَاتِهِ هِيَ فِي الْأَصْلِ صَالِحَةٌ. بِحَسَبِ تَعْبِيرِ
تُوزَر: «إِنَّ اللَّهَ وَدُودٌ وَخَيْرٌ وَمُنْفَتِحٌ وَصَرِيحٌ وَلَطِيفٌ وَيَلْتَذُّ لَذَّةَ مَقْدَسَةٍ
بِسَعَادَةِ شَعْبِهِ.»

يَقْرُرُ اللَّهُ فِي حِكْمَتِهِ وَسَيَادَتِهِ الْأَوْقَاتَ الْمِثَالِيَّةَ الَّتِي يَسْتَجِيبُ فِيهَا
لِصْرَاخِكَ مِنَ الضِّيقِ كَيْ يَخْلُصَكَ وَيُظْهِرَ لَكَ مَدَى عَظَمَتِهِ. وَهُوَ لَيْسَ
مُضْطَّرًّا عَلَيَّ الْإِطْلَاقَ لِأَنَّ يَسْتَجِيبُ، لَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ، وَلَا بِالطَّرِيقَةِ نَفْسِهَا
فِي كُلِّ مَرَّةٍ. إِنَّهُ يَسْتَجِيبُ لِأَنَّهُ رَحِيمٌ وَلِأَنَّهُ صَالِحٌ.

إِنَّهُ يَتَوَقَّعُ إِلَيَّ أَنْ تَعْرِفَهُ وَتَتَّقَ بِهِ بِطَرِيقَةٍ تَجْعَلُكَ تَهْرَعُ إِلَيْهِ فُورًا كَلِمَا
وَقَعْتَ فِي مَشْكَلَةٍ. لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ مَوْجُودٌ لِأَجْلِكَ وَيُرِيدُ أَنْ يَبَارِكَكَ بِسَخَاءٍ.
بِمَجْرَدِ أَنْ تَبْدَأَ فِي مَحَاوَلَةِ حَصْرِ عِلَامَاتِ صِلَاحِ اللَّهِ، سَتَجِدُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُكَ
مَوَاكِبَتَهَا.

فَبِرَكَاتِهِ فِي الطَّبِيعَةِ لَا تَعُدُّ وَلَا تَحْصِي (مَز ١٤٥)؛ وَإِنْقَاذَهُ لَنَا مُسْتَمِرٌّ
(مَز ١٠٧). مَا مِنْ شَخْصٍ آخَرَ أَكْثَرَ أَمْنًا لِتَلْجَأَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ هَذَا الْكُونِ.
وَمَا مِنْ مَصْدَرٍ آخَرَ لِلخَّلَاصِ أَوْ النِّعْمَةِ يُمْكِنُكَ أَنْ تَتَّقَ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ صِلَاحِ
اللَّهِ. وَمَعَ ذَلِكَ، وَرَغْمَ كُلِّ هَذِهِ الْأَدْلَةِ، فَإِنَّ قِمَّةَ إِعْلَانِ اللَّهِ عَنْ خَيْرِهِ هِيَ
فِي ابْنِهِ.

■ من خلال ابن الله، يسوع

عندما كنت صبيًا صغيرًا، شاركت أفكارني عن الله مع والدتي في حديث القلب إلى القلب. قلت لها: «بالنسبة إلي، يسوع لا بأس به أما الله فيخيفني. يساورني شعور بأنه يقف عاقدًا ذراعيه في انتظار أن أتسبب في أي فوضى». لم تكن نشأتني في بيت مسيحي، لذلك لم أكن أعرف أي شيء عن الثالوث. كل ما أعرفه هو أن يسوع أتى بالرحمة، أما الله فلم يفعل ذلك.

وبعد سنوات، تعلمت الحقيقة. يتمثل برهان الله الأساسي والطريقة الأكثر وضوحًا التي يكشف بها عن صلاحه في ابنه. وفي واقع الأمر، فإن هذا هو النمط الذي يتبعه الله في الإعلان عن ذاته: يسوع هو خير مثال لتوضيح أي جانب من جوانب معدن الله الأخلاقي. إذ يُذكرنا كولوسي أن يسوع

«هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ»
(عدد ١٥).

وأن الله

«فِيهِ سُرٌّ أَنْ يَجِلَّ كُلُّ الْمَلِئِ»
(عدد ١٩).

فيسوع هو صلاح الله المتجسد.

يسجل مرقس ١٠ لقاءً بين الشاب الغني ويسوع. كان الشاب قد حقق نجاحًا كبيرًا في حياته، لكنه كان لا يزال مشوشًا حول مصيره الأبدي. أدرك الشاب أن يسوع رجل صالح: يقيم الناس من الأموات، ويعلم بسلطان عظيم، ويعيش حياة نقية. فجاء إلى يسوع وقال له:

«أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟»
(عدد ١٧).

حصل الشاب على رد غير متوقع:

«فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِمَادًا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا
إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ»
(عدد ١٨).

ا تسئ الفهم. لم يقصد يسوع بهذه العبارة أنه والآب ليسا واحدًا بأي شكل من الأشكال. كان ما يقصده هو أنه ليس من الدقة أن تدعو أي شخص «صالحًا». فالصلاح ميزة مطلقة يمتلكها الله وحده. حاول الشاب مجاملة يسوع بشأن صلاحه كقدرة يتمتع بها، لكن يسوع أراد منه أن يفكر مرة أخرى. هل كان الشاب الغني مستعدًا لأن يضع في اعتباره بجدية هوية ذلك الذي كان يتحدث إليه؟ لقد كشفت حياة يسوع وموته عن صلاح الله أكثر من أي شخص آخر أو حدث آخر في هذا الكون.

وأظهر رد الشاب أنه لم يكن جادًا بشأن الصلاح. كان يتباهى بمقتنياته، وأراد «الحياة الأبدية» كمقتنى آخر يرغب في امتلاكها. وكما تكشف القصة، نرى أنه رفض الصلاح المطلق الواقف أمامه من أجل التمسك بمقتنياته الدنيوية.

يكشف يسوع صلاح الله بثلاث طرق على الأقل. تأتي الأولى في شكل الصلاح المعطى لنا من دون استحقاق. وفقًا لرومية ٥: ٨

«وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ
لأَجْلِنَا»

ظلت محبة الله تتدفق من قلب يسوع حتى عندما كنا أنا وأنت عدوين له. أرسل الله المسيح للموت على الصليب فداءً لخطيئتنا. إنه الصلاح غير المستحق. أنت لا تستحقه ولا أنا أستحقه. لم يفعل ذلك لأنك قلت: «سوف أظهر نفسي. سأحاول بجد، وسأكون شخصًا أفضل. سأكون أكثر أمانة مع زوجتي. وسأكون شخصًا طيبًا في منزلي. وستكون ألفاظي حسنة، وسأكون شخصًا صالحًا.» فلا شيء من تلك الوعود الفارغة سيجلب صلاح الله، لأنه فات الأوان عليها. فقد حدث ضرر الخطيئة بالفعل.

أعلن الله عن حبه لك وأنت ما زلت خاطئاً متمرداً وفي حالة عداً مع الله. كيف؟ عن طريق السماح بموت المسيح بدلاً منك. وبيّن ما فعله يسوع على الصليب شعور الأب تجاهك. هل سبق لك أن تفكرت كم هي قيمتك لدى الله بالنظر إلى الثمن الذي دفعه فيك؟ هل سبق لك أن سمحت لعقلك بأن يحاول فهم كم أنت ثمين ومهم ومرغوب ومحبوب بشدة حتى يسمح الله الأب بموت يسوع كي يخلصك ويردك إليه؟ ومن شأن استيعابك لهذا الأمر واستقراره في قلبك أن يحدث تغييراً هائلاً في أعماقك.

وللدليل الثاني على صلاح الله في المسيح علاقة بالوعد بالبركات المستقبلية يقول رومية ٣٢: ٨:

«الَّذِي كَمْ يُشْفِقُ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَدَلَهُ لِأَجْلِنا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لَا يَهَبَنَا
أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟»

وبعبارة أخرى، لقد سبق لله أن أظهر صلاحه تجاهك بأقوى طريقة ممكنة. كيف يمكنك أن تتساءل إن كان سيهتم ببقية التفاصيل؟

يحبك الله ويريد منك أن تعرف أنه صالح. لكنك تتقاسم مشكلة أساسية مع بقية البشر: إذ لدينا جميعاً وجهة نظر مشوهة عن الله. فعندما يتعلق الأمر بصلاح الله، كما هو الحال مع كل صفاته، غالباً ما تُنتج النظرة الخطأ استجابة عاطفية سلبية قوية.

ولن نتمكن من إدراك صلاح الله طالما نحن مقتنعون بأن لديه نيّات أخرى ليست في صالحنا.

ولحسن الحظ أن الله غير خاضع لتصوراتنا الخطأ. لقد أرسل ابنه يسوع ليموت عنك وعني مقدماً بذلك الدليل النهائي على صلاحه وحبه. وهو إلى الآن يواصل لفت انتباهنا من خلال آلاف التفاصيل الصغيرة التي يعتني بها واهباً إيانا لمحات مستمرة عن صلاحه.

كانت أمسياتي في بيت المزرعة واحدة من هذه اللحظات. استخدم الله رومية ٨: ٣٢ لتحويل نظرتي إليه تمامًا. يمثل الصليب، تضحية الله الجذرية في المسيح، أوضح دليل وأقواه على أن الله يضع مصلحتي القصوى في الاعتبار. فالمنطق محكم.

إذا كان الله بالفعل قد أحبنا بما فيه الكفاية لإعطائنا أعلى ما لديه، ألا تعتقد أنه لديه الأفضل لمستقبلنا؟ وبعبارة أبسط، إذا كان شخص ما قد دفع مليون دولار فدية لتحريرك من خاطف، فهل تعتقد حقًا أنك ينبغي أن تقلق بشأن من سيشتري لك الغداء في اليوم التالي؟

والنقطة التي أريد إيصالها هي أن كرم الله في الصليب يذكّرنا بأنه لم يكن صالحًا تجاهنا في وقت الصلب فحسب، بل إنه ملتزم بأن يكون صالحًا تجاهنا في المستقبل أيضًا. هذا هو السبب الذي يجدر أن يجعلنا نثق به في القرارات المصيرية. يمكننا أن نسلّم أنفسنا له لأنه صالح جدًا!!

كيف ينبغي لنا أن نتجاوب مع صلاح الله؟

يتطلب صلاح الله منا تجاوبًا. ولكن إذا كنا قد عشنا مع وجهة نظر غير مكتملة عن الله لفترة طويلة، فربما لا نعرف حتى من أين نبدأ. هناك خطوات محددة يجب علينا اتباعها لتغيير حياتنا والبدء في اختبار كرم الله بشكل كامل.

■ تب عن عدم الإيمان ونكران الجميل

تقول رومية ٢: ٤

«أَمْ تَسْتَهَيِّنُ بِيغْيَ لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنْاتِهِ غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ
اللَّهِ إِمَّا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟»

كان بولس يسأل: «هل تعتقد أن كل الخير الموجود في حياتك سببه أنك شخص لطيف بشكل مذهل؟ هل كان الله يفعل ذلك لك لأنك تستحق؟» والجواب على هذين السؤالين هو لا!

يريدك الله أن تعرف أنه كان صالحًا ولطيفًا وودودًا، ومُحبًا وكرِيمًا معك ليقودك إلى التوبة. لقد كان يجتذبك إليه من خلال صلاحه، وليس من خلال التهديدات. تعني كلمة التوبة «تغيير اتجاه الفكر»، أو «الاستدارة»، أي أنك تسير في الطريق وتدرك فجأة: «أنا ماضٍ في الاتجاه الخاطئ. أنا أقوم بالأشياء طيِّفًا لطريقتي. أنا بحاجة إلى تغيير فكري والذهاب في اتجاه جديد. أحتاج إلى أن أذهب في طريق الله.» فتقوم بتهدئة السرعة، وتأخذ أقرب منعطف لتسير في الاتجاه المقابل.

هذه هي التوبة؛ إنها تحوُّل في مسار الحياة. علينا أن نرى صلاح الله وأن نقوم بتغيير فكرنا، الأمر الذي يؤدي إلى تغيير الاتجاه والذي بدوره يؤدي إلى تغيير الحياة.

يتحدث الكتاب المقدس عن التوبة والإيمان معًا. فهما يسيران جنبًا إلى جنب. إذا لم تكن مؤمنًا بالمسيح الآن، فإن صلاح الله يمكن أن يقودك إلى النقطة التي تقول فيها: «يا رب، أنا آسف لأنني لم أدرك أن كل الخير واللطف الذي يأتي في حياتي هو منك أنت. أرجوك أن تغفر لي خطاياي. أريدك أن تعرف أنني عائد للسير في طريقك لأتبع خطوات ابنك. إنني أطلب منك يا يسوع أن تأتي إلى قلبي الآن وتغفر لي خطيئتي وتخلصني إلى الأبد.» لقد اجتذبك صلاح الله نحوه، وسيقبل صلاتك.

ولكن حتى بالنسبة إلى المؤمن، لا تزال التوبة والإيمان من الأمور حاسمة. ربما دخلت الحياة المسيحية، مثلي، حاملاً وجهة نظر ملتوية ومشوهة عن الله. قد تؤمن به ولكنك لا تثق به حقًا بعد. وإلى الآن ما زلت أجد أن حياتي في بعض الأحيان موبوءة بالاستياء وعدم الشكر. فعندما يعطيني الله تسعة، أريد عشرة. وعندما يعطيني تسعة وتسعين، أريد مائة. وبغض النظر عن حجم البركة، فإننا نبدي الجحود. فبغض النظر عما يفعله الله لأجلنا، نظل نقول له: «أريد أكثر قليلاً.»

عندما يُظهر لنا الله حالتنا تلك من خلال صلاحه، ينبغي أن يقودنا ذلك إلى التوبة والإيمان. يجب أن نقول: «يا رب، لقد كنت أفكر في الحياة بشكل خطأ.

لقد انشغلت تمامًا بالعطايا عن مانح العطايا. أريد من كل قلبي أن أصبح شيئًا فشيئًا واحدًا من أكثر الناس تقديمًا للشكر على وجه الأرض. أريد أن أتوجه بالشكر إليك في الصباح، وأريد أن أقدم الشكر لك في الظهيرة، وأريد أن أتوجه إليك بالشكر بين أنفاسي. أريد أن أتمتع بالزهور والأشجار والطبيعة، وبالعلاقات التي في حياتي، وبكل ما لدي. لا أن تستحوذني فكرة ما لا أملكه. أريد أن أشكرك من أجل خلاصي. أريد أن أشكرك من أجل كلمتك ومن أجل روحك وخطتك الرائعة لحياتي. يا رب، أريد أن أكون ذلك المؤمن الذي يمكن أن يجعلك تبتسم في بهجة مقدسة عندما ترى أنني أدرك أن كل ما لدي هو منك.»

■ ارتح في صلاحه عندما تواجهك الشدائد

نحن نعلم أن الحياة صعبة. لم تكن بحاجة إلى هذا الكتاب ليخبرك أننا نعيش في عالم ساقط. فهناك أمور سيئة تحدث للطيبين، وأمور جيدة تحدث للسيئين.

مزمو ٣١: ١٩-٢٠ يقول:

«مَا أَعْظَمَ جُودَكَ الَّذِي ذَخَرْتَهُ لِحَاثِيكَ وَفَعَلْتَهُ لِلْمُتَكِلِينَ عَلَيْكَ
تُجَاهَ بَنِي الْبَشَرِ. تَسْتَرْهُمُ بِسِتْرٍ وَجْهَكَ مِنْ مَكَائِدِ النَّاسِ تُخْفِيهِمْ فِي
مَظَلَّةٍ مِنْ مَخَاصِمِ الْأَلْسُنِ»

يواجه معظمنا في أية لحظة ظروفًا خارجة عن سيطرتنا. فنحن نسير عبر وادي ظل الموت. نرى أحد أحبائنا راقدًا في فراش المرض في انتظار الموت. وكل ما يمكننا القيام به هو الانتظار والصلاة.

كيف يساعدنا صلاح الله إذا؟ لا يمكننا أن ننكر أنه عالم ساقط. نحن نعرف أن الموت قد يأتي.

ورغم أننا نعرف أن لله القدرة على الوصول إلى أحبائنا وإقامتهم، لكن ربما لا تكون هذه هي خطته الصالحة.

ومع ذلك، فإننا مدعوون إلى الراحة في صلاحه على أية حال. لقد وعدنا بأن صلاحه يكمن وراء كل ظرف يسمح بمرورنا فيه. يتمثل أحد أهداف حياتي في أن أجعل من الشكر عادة أمارسها في جميع الظروف وجميع العلاقات في ضوء إيماني بصلاح الله وسيادته. ولديّ طريق طويل لأقطعه في هذا المضمار، لكن هذا هو هدفي. أريد ذات يوم أن يصبح العرفان بالجميل رد الفعل الطبيعي لدي من دون تفكير، بغض النظر عما هو الخبر الذي يصلني أو مدى صعوبة الظروف التي أمر بها. أريد أن أعرف بشكل غريزي أن كل ما سمح بأن يأتي في حياتي هو من يديه الحنونين الودودين الصالحين.

أنا لا أعرف كل تفاصيل إرادة الله، ولكنني أعرف مدى عظم ذلك الجود الذي ذخره لي ولبيتي، ولكل أولئك الذين يلجؤون إليه. ففي وسط محنتك، استرح في صلاحه. فهو إله أبدي ولديه خطة أبدية. إنه لا يقوم بالأمر بالطريقة التي تريدها تمامًا، لكن يمكنك الاعتماد على هذه الحقيقة: إنه صالح.

■ **خاطِرٌ باتخاذ خطوات إيمان غير مسبوقَة**

عندما نكتشف مدى صلاح الله، نجد أنّ خطواتنا في الإيمان تزداد اتّساعًا. وبالنسبة إلي، كان الاعتراف بالمسيح ربًا وسيّدًا على حياتي يشكل خطرًا كبيرًا. ولكن ما إن قمت بهذا الاختيار حتى بدأت في اكتشاف صلاح الله بطرق لم أكن أتمكن من رؤيتها من قبل. عزّز الله بصلاحه خطوات الثقة الصغيرة التي كنت أخذها. لم يضعني على ظهر سفينة ذاهبة إلى مكان ناءٍ حيث لا أود الذهاب، ولا ورّطني في حياة مملّة.

وعلى العكس من ذلك، كلما ازدادت ثقفي بأن الله يحتفظ لي بمستقبل رائع، ازددت حماسًا بخصوص أيام جديدة وفرص جديدة لأختبره. قادني هذا القرار الشجاع بسيادة المسيح على حياتي إلى تكريس مستقبلتي كله له. بدلت ثقفي في صلاح الله تغيير من تعريفي للخطر. لقد سمحت لي أن أتخذ خطوة محفوفة بالمخاطر برفض وظيفة كبيرة من أجل التحرك والبدء بالخدمة داخل الحرم الجامعي

ففي ذلك الحرم الجامعي التقيت امرأة رائعة تدعى تيريزا أصبحت زوجتي فيما بعد ولدينا اليوم أربعة أولاد وعشرة أحفاد يختبرون بدورهم صلاح الله. وبعد أكثر من ثلاثين عامًا من الخدمة، صار إدراكي لصلاح الله أوسع وأعمق. أدرك الآن أنه حتى تلك الأشياء التي كنت أخاف أن يطلب مني الله أن أفعلها، كان يمكن أن تكون إيجابية. إذ أظهر لي الله باستمرار أنه لا يمكن أن يطلب مني شيئًا لأفعله إلا إذا كان في صالحني في نهاية المطاف. عندما تؤمن أنت وأنا بأن الله صالح، سنتمكن بطريقة لم يسبق له مثيل أن نخوض مغامرة الحياة بالإيمان.

أنا لا أعرف ما هي خطوات الإيمان المحددة التي يدفعك الله إلى أن تأخذها الآن، ولكن هناك مقطعًا واحدًا في الكتاب المقدس يعبر بشكل خاص عن صلاح الله في وقت القرارات التي تنطوي على خطورة. نجد هذا المقطع في مزمور ٨٤: ١١. وهو أحد المقاطع المفضلة بالنسبة إليّ لدرجة أنني أحمله معي على بطاقة لتذكرني بهذه الحقيقة التي لا تقدر بثمن:

«الرَّبُّ اللهُ شَمْسٌ وَمَجَنٌّ. الرَّبُّ يُعْطِي رَحْمَةً وَمَجْدًا. لَا يَمْنَعُ خَيْرًا
عَنِ السَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ.»

لنتأمل لحظة في تلك الكلمات. الرب الإله شمس. فما هي الشمس؟ إنها مورد وقوة، طاقة خالصة. الرب مجنّ. فما هو المجنّ؟ إنه الدرع التي تحمي. ما رأيك لو حصلت على مصدر غير محدود وبلا نهاية من الموارد والحماية، كلي الحكمة والمحبة واللطف؟ إنّه «الرب الإله. هذا هو اسم إله العهد ولقبه، اسمه الذي يستخدمه لتوقيع عهوده.

«الرَّبُّ يُعْطِي رَحْمَةً وَمَجْدًا.»

وهذا شامل. فهو يخدمنا بسخاء من فضله ولطفه وصلاحه وبركاته.

ثم تأتي بعد ذلك النقطة الفاصلة. يا له من وعد!

«لَا يَمْنَعُ خَيْرًا عَنِ السَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ.»

لن تفوت عليك أي بركة إذا كنت تعيش الحياة وفق طريقة الله. أسلك بالكمال في حياتك الجنسية. في علاقتك بالآخرين، في أمورك المالية، وفي حياتك الروحية. وبعبارة أخرى، إذا كنت تعيش الحياة في مخافته، فإنَّ الإله الموجود دائمًا إلى جانبك مع قوّته وحكمته ورأفته غير المحدودة يمنحك ضماناً: إنه لن يدع أية بركة تفوتك.

عندما ترى صلاح الله بوضوح، عليك أن تبدأ في اتخاذ خطوات الإيمان. قد تقوم بأشياء مجنونة مثل التخلي عن عطلتك والذهاب إلى رومانيا لمساعدة الأيتام، أو أن تبدأ في إعطاء المال لأشخاص في حاجة إليه أكثر بكثير منك، أو أن تحاول القيام بأشياء كانت في ما مضى تخيفك كثيرًا، مثل التحدث إلى الآخرين عن صلاح الله. ثم ماذا سيفعل الله بعد ذلك؟ سيسكب صلاحه على حياتك وعلاقاتك وأمورك المالية. فعندما تمارس الإيمان ستبدأ في اختبار صلاح الله على مستوى جديد كلياً.

تجربتي الشخصية مع صلاح الله

كنت قسماً شاباً لا تتعدى خبرتي بضع السنوات، وكان الناس يأتون إليّ للحصول على المشورة. وفي كثير من الأحيان كنت أقع في حيرة غير عارف ماذا ينبغي أن أقول لهم. وفي إحدى المرات، وجدت نفسي أتحادث مع امرأة شابة كانت قد خاضت للتو تجربة طلاق تسببت في كثير من الفوضى في حياتها. كان زوجها قد تركها من أجل امرأة أخرى. وقد أضرت تصرفاته في أثناء الطلاق بزوجته وأطفالهما كثيرًا. كنت أمل أن تكون كنيسةنا قادرة على مساعدتها بطريقة ما، ولكنني لم أكن على يقين من أنه يمكنني أن أقدم لها الكثير من الراحة.

فاجأني الهدوء الذي أظهرته المرأة كثيرًا بينما كنت نتحدث عن مستقبلها. كانت حديثة الإيمان ولم تكن لديها معرفة كبيرة في الكتاب المقدس. وقد مرت بتجارب متكررة من الألم الشديد وخيبة الأمل. ولكن عندما سألتها عن وجهة نظرها وما يدور بالها من جهة أطفالها، أجابت بطريقة غير متوقعة. قالت: «أنا أعرف أن الحياة قد تكون صعبة، ولكن الأمور ستكون رائعة بالنسبة إلي ولأطفالي. أنا لا أفهم كل شيء، ولكنني أعرف هوية الله. وأنا أعلم أنه لن يفعل أي شيء ليؤذيني، وأنا أعلم أن لديه خطة عظيمة بالنسبة إلينا».

لم تكن الكلمات نفسها التي قالتها هي التي أثرت فيّ، مع أنها كانت عميقة، بل الشعور بالثقة الذي فاض مع كلامها. لم تكن قد تعلمت «الكليشيات» المسيحية ولم تشعر بأنها مجبرة علي أن تخبرني كيف يجب أن تفكر. كانت تبدو كما لو أنها قد خرجت للتو من غرفة مجاورة حيث كانت تتمتع بمحادثة شخصية مع الله الذي أكد لها أن كل شيء سيكون علي ما يرام. كان موقفها ونبرة صوتها يحملان هدوءًا حقيقيًا. كانت مقتنعة، بناءً علي فهمها لمعدن الله الأخلاقي، بأن مستقبلها يبدو مشرقًا رغم أن حاضرها كان ممتلئًا بالألم والأسئلة غير المجابة. كانت تعرف في أعماقها شيئًا أكثر واقعية من معاناتها الحالية.

أتذكر تلك المحادثة بوضوح، رغم أنها حدثت قبل ثلاثة عقود. أصبح ردها هذا من أهم ما أكد لي مرارًا وتكرارًا أن الطريقة التي نرى بها الله هي أهم مقياس في حياتنا.

ربما كانت المعرفة التي لدى تلك الشابة من الكتاب المقدس محدودة، ولكن ما عرفته كان كالذهب الخالص. لقد وعت بكل قلبها أن الله صالح. إنني أراها وكثيرين مثلها وكأنهم أشجارٌ جميلة تقف في وسط صحراء قاسية. قد يبدو كل شيء من حولهم خراباً، ولكنهم يزدهرون. إنهم مفعمون بالحياة حتى إنهم يبدون وكأنهم ليسوا من هذا المكان. لن تدرك أنها ممتلئة بالحياة إلا عندما تقترب من تلك الأشجار، لأن جذورها تتغذى من نهر يجري تحت الأرض - نهر صلاح الله.

عش ما تعلمت

يستخدم الله ثلاث ممارسات أساسية في حياة كل مؤمن لكي يساعده على النمو والنضج. عندما تحرص على تنفيذ تلك الممارسات باستمرار من قلب صادق، لن تنمو روحياً فحسب بل ستعيش حياة ذات معنى وأكثر أهمية.

■ **اقض بعض الوقت يومياً مع الله:** التق باله يومياً بشكل شخصي من خلال قراءة كلمته والصلاة لكي تستمتع بحضوره. استمع إلى توجيهاته واتبع مشيئته.

■ **اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين:** قم بتنظيم وقتك خلال الأسبوع بحيث تسنح لك الفرصة للتواصل مع المؤمنين الآخرين في علاقات آمنة توفر الحب والدعم والشفافية والتحديات والمساءلة.

■ **كن مخلصاً للمهمة الموضوعة عليك:** اجعل من توصيل محبة يسوع إلى الآخرين من خلال الخدمة وأعمال التضحية أسلوب حياة في منزلك وعملك وكنيستك وأيضاً في أوقات المرح واللعب.

■ ١- اقض بعض الوقت يومياً مع الله

اكتب التعريف التالي على ورقة ملاحظات أو على هاتفك الذكي أو لוחتك الذكية واقرأه عندما تستيقظ في الصباح وقبل ذهابك إلى الفراش. لا تحاول حفظه، فقط اقرأه بروح الصلاة واسمح لحقيقة صلاح الله أن تنساب بلطف إلى روحك.

«إن صلاح الله هو ما يجعله رؤوفًا، ودودًا، منانًا، ومقاصده دائمًا حسنة تجاه الناس. إنه حنان وسريع الرؤفة، وموقفه الثابت تجاه جميع الكائنات دائمًا منفتح وصريح وودود. فهو بطبيعته يميل إلى منح البركة ويسرُّ بسعادة شعبه»

قد تتغير طريقة تفكير البشرية جمعاء إذا استطعنا جميعًا أن نؤمن أننا نعيش في أمان، وأنَّ إله السماء، مع كونه عظيمًا في الجلال والسلطان، يحرص على أن يكون صديقًا لنا. **أ.و. توزير**

إلى جانب هذا التعريف، اكتب مزمو ٨٤: ١١ وتأمل في هذا الوعد. سأل نفسك في كل مرة تقرأه: «ما الأمر الصالح الذي أطلقه الله اليوم في حياتي؟»

«لَأَنَّ الرَّبَّ اللَّهَ شَمْسٌ وَمِجَنٌّ. الرَّبُّ يُعْطِي رَحْمَةً وَمَجْدًا. لَا يَمْنَعُ

خَيْرًا عَنِ السَّالِكِينَ بِالْكَمَالِ.»

مزمو ٨٤: ١١

انضمَّ إليَّ في جعل الصلاة الآتية صلاتك الخاصة خلال السبعة أيام القادمة:

ربي وإلهي، يا كامل الصلاح والرحمة، ساعدني بينما أنظر إلى وجه يسوع وأفكر في صلاحك على الصليب أن:

– أتوب عن عدم إيماني ونكراني للجميل.

– أجد الراحة في صلاحك حتى في وسط التجارب.

– أغامر باتخاذ خطوات إيمان كما لم أفعل من قبل.

إنني أحمذك لأنني أعيش في أمان لأنك موجود دائماً لأجلي، ولأنني لست بحاجة إلى أن أخاف من المستقبل لأنك صالح. في اسم يسوع، آمين.

ما هي الكذبة التي اعتدت أن تصدقها عن صلاح الله؟

■ ٢- اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين

♦ اكتب قائمة بالأمور التي تشعر بالامتنان بشأنها. خذ بضع دقائق كل يوم خلال هذا الأسبوع لكتابة الطرق التي اختبرت بها صلاح الله بشكلٍ محدد. اشكر الرب من أجل كونه صالح ومن أجل كل النقاط الأخرى على قائمتك.

♦ شارك أحد أصدقائك أو أفراد عائلتك ببعض من الطرق التي أظهر الله بها صلاحه لك.

■ ٣- كن مخلصاً للمهمة الموضوعة عليك

عندما تدرك صلاح الله بوضوح، سيكون عليك أن تبدأ في اتخاذ خطوات الإيمان. ما هي خطوة الإيمان الخطيرة التي دفعك الله إلى أن تأخذها؟

استخدم الله عائلة في ولاية فرجينيا الغربية لمساعدتي على رؤية صلاحه.

♦ اذكر شخصاً استخدمه الله ليساعدك على رؤية صلاحه؟

♦ ما هي الطريقة الملموسة التي يمكنك أن تظهر من خلالها صلاح الله إلى شخص ما هذا الأسبوع؟



5

سيادة الله



«هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَقَادِيهِ رَبُّ
الْجُودِ: «أَنَا الْأَوَّلُ وَأَنَا الْآخِرُ وَلَا إِلَهَ غَيْرِي. وَمَنْ مِثْلِي
يُنَادِي فَلْيُخْبِرْ بِهِ وَيَعْرِضْهُ لِي مُنْذُ وَصَعْتُ الشَّعْبَ
الْقَدِيمَ. وَالْمُسْتَقْبَلَاتُ وَمَا سَيَأْتِي لِيُخْبِرُوهُمْ بِهَا. لَا
تَرْتَعِبُوا وَلَا تَرْتَاعُوا. أَمَا أَعْلَمْتُمْ مُنْذُ الْقَدِيمِ وَأَخْبَرْتُكُمْ؟
فَأَنْتُمْ شُهُودِي. هَلْ يُوْجَدُ إِلَهٌ غَيْرِي؟ وَلَا صَخْرَةٌ لَا
أَعْلَمُ بِهَا»

(إشعيا ٤٤: ٦-٨)

«لماذا تعتقد أن إلهك أفضل من الآلهة الأخرى؟»

سيادة الله

كان سؤالاً صادقاً ومقبولاً، لم يكن المقصود منه إثارة الجدل على الإطلاق. كنت مسافراً على متن طائرة من هونغ كونغ إلى بكين، محاطاً بأشخاص لا أستطيع فهم لغتهم. كانت زوجتي وابنتاي جالسات على بُعد حوال عشرين صفًا مني، عندما فوجئت بالسؤال بلهجة بريطانية صريحة يخرج من المرأة ذات الملامح الصينية التي تجلس في المقعد المجاور لي. فبدأت أتحدث معها عن علاقتي بالمسيح. كانت امرأة مثقفة وذكية ومرتبّة للغاية، وأرادت أن تعرف ببساطة وصراحة: «لماذا إلهك أفضل من البقية؟»

بينما كنا نتحدث، عرفت أنها نشأت في ظل الشيوعية الإلحادية، وأنفقت السنوات العشرين الأولى من حياتها تتعلم أنه لا يوجد إله على الإطلاق. وكانت واحدة من النخبة.

فمن ضمن واحد أو اثنين في المئة من أصل مليار صيني أو أكثر حصلوا في الاختبارات الأكاديمية على علامات عالية كفاية للتأهل لأرقى مستوى تعليم توفره بلدها. وبعد تخرجها من المدرسة الثانوية في لندن، بدأت بالعمل في إنكلترا في شركة متعددة الجنسيات، وهي عائدة الآن إلى الصين في رحلة عمل. خرجت من الشيوعية، وكانت تقرأ على مدار السنوات العشر الماضية عن مختلف الديانات والمعتقدات. ولم تكن تعرف شيئاً على الإطلاق عما تعتقده الديانات المختلفة عن الله.

ما الذي يمكن أن تقوله لشخص لا يعرف أي شيء بالكاد عن إلهك؟ كان لديها سؤال مشروع، وأعطيتها أفضل ما عندي. شاركتها مدة ساعتين بمقاطع من الكتاب المقدس وأبحاث من علم الآثار والفلسفة ومقارنة الأديان لمساعدتها على فهم التفرد المطلق الذي لشخصية الله في الكتاب المقدس.

قلت لها كل شيء استطعت أن أفكر فيه لأشرح لها لماذا إله المسيحية هو في الواقع رب الأرباب وملك الملوك وخالق الكون.

وكما اكتشفت هذه المرأة، فإننا نعيش بالفعل في ثقافة تعددية تتطلب منا أن نكون متسامحين مع كل مفاهيم الحقيقة. وأنا شخصياً أرى أن التسامح هو أمر جيّد جدًّا، ولكن سوء تطبيقه هو المشكلة. فللتسامح كما هو مُعرّف في القاموس، علاقة بقبول الآخرين من الأعراق والخلفيات والثقافات وغيرها من العناصر الخارجية، والتأكد من أن هذه الأشياء لن تكون عائقًا أمام تعاملنا معهم. وهذا مهم جدًّا في مجتمعنا. ولكن التسامح اتّخذ معنىً فلسفيًا في السنوات الأخيرة؛ فقد تطور ليعني أنّه لا يمكن لأي رأي أو فكرة أن تكون صحيحة أكثر من غيرها.

ورغم أن هذا المفهوم يروّج لأجواء معينة من التطور الفكري والانفتاح، لكن تخيل كيفية تطبيقه على مجالات أخرى من الحياة. فعلى سبيل المثال، ماذا لو كانت لديك عدوى تهدد حياتك وذهبت إلى الطبيب للحصول على مساعدة، فقام الطبيب بوصف البنسلين، ولكن إحدى الممرضات اقترحت عدة بدائل! ما هو شعورك إذا نصحت الممرضة الطبيب بأن يكون منفتحًا أمام جميع الخيارات؟ فرغم كل شيء، فإن الكوميديين والسياتوكسان والمورفين كلها أدوية فعالة جدًّا. ألا يُعَدّ تعصّبًا من الطبيب أن يصف دواءً واحدًا فحسب؟ ربما، ولكنك لا تريد له أن يكون متسامحًا عندما يكون هنالك دواء واحد بعينه قادرًا على أن ينقذ حياتك والآخرين، أليس كذلك؟

«من فضلك، أود أن أشرب كوبًا من ماء مكون من ذرّتي هيدروجين وذرّتي أكسجين»

«عذرًا، هذا بيروكسيد الهيدروجين - وهو لا يروي العطش.»

«حسنا، ماذا عن كوب من ذرّتي هيدروجين فحسب؟»

«لماذا؟»

«لأنك على وشك استنشاق بعض الغاز شديد قابلية للاشتعال.

«ماذا عن ثلاثة ذرات هيدروجين مع ذرة واحدة من النيتروجين، هل سيروي ذلك عطشي؟»

«ليست هنالك أية مشكلة.»

«حقًا؟»

«نعم، إذا كنت تحب الأمونيا.»

يتكون الماء من اتحاد ذرتي هيدروجين مع ذرة أكسجين واحدة.

بغض النظر عن تفضيلاتك الشخصية أو درجاتك العلمية أو التركيبات البديلة أو الانزعاج أو حتى الازدراء، لا يمكنك تغيير العناصر التركيبية الأساسية للماء. فبمجرد تغيير أي شيء، تصبح لديك مادة مختلفة تمامًا.

وفي مختبر ثقافة التسامح الخاص بنا، يريد الناس خلط الأفكار ومطابقتها مع التي لديهم عن الله، أملين أن ينتج ذلك لهم الله في نهاية الأمر. بالنسبة إلى كثيرين، لا يمكن أن تنسجم فكرة الإله كلي القوة والسلطان مع الإله الذي يسمح بوجود الشر وحرته.

ولسوء الحظ، بغض النظر عن تفضيلاتك الشخصية أو درجاتك العلمية أو التركيبات البديلة أو الانزعاج أو حتى الازدراء، لا يمكنك تغيير العناصر التركيبية الأساسية لله. فبمجرد تغيير أي شيء، يصبح لديك إله مختلف تمامًا.

أليس هذا ضيق أفق وتعصّبًا؟ وبطبيعة الحال، نحن نعلم أن رأيًا كهذا قد يكون كارثيًا

لكن عندما يتعلق الأمر بالواقع الموضوعي، فإن التسامح لا يفيد. فبعض الأشياء ببساطة ليست نسبية.

ولكن كان هذا هو نوع الثقافة الذي نشأت فيه رفيقتي الصينية، مثلها مثل الكثيرين في بلدي. قيل لها إن جميع الحقائق متساوية وصالحة. وجدت نفسي أخبرها عن قصة الله الذي أنقذ حياتي وعن الإله الإنسان يسوع الذي كانت له بعض الآراء الثورية الجسور. وكان لها كل الحق في أن تسألني: «كيف تعرف ذلك؟»

أعتقد أن الكثير من الناس يسألون السؤال نفسه الذي سألته رفيقتي الآسيوية. كنت آمل وأصلي من كل قلبي آنذاك أنني تمكنت من إعطائها بعض الأجوبة المتماسكة. ولكن لو قُدِّر لي أن أخوض هذا المناقشة مرة أخرى، فسأتحدث بشكل مدروس أكثر عن الإله كَلِّي السيادة.

لماذا تعبد هذا الإله؟

إذا أتيت لي فرصة أخرى للإجابة على سؤال تلك المرأة التي كانت منفتحة جدًا وحساسة، فسأقول: إنني أؤمن بإله الكتاب المقدس وأعبده لأنه كائن قبل كل شيء وخالق كل شيء وحافظ كل شيء. إنه قبل كل شيء، ويعلم كل شيء، وينجز كل شيء. إنه يسود على كل شيء ويتحكم في كل شيء. هذا هو سبب إيماني به وتسليمي حياتي له بالكامل مع إيمان وثقة بأنه متفوق على كل ادعاءات الحقيقة في العالم. فليس مجرد مذهب آخر لأعتنقه أو اعتقاد لأضعه في اعتباري. إنه لانهاضي وأبدي، وهو فوق الكل ومستحق فوق الكل. وأنا أعبده لأنه متسيد.

لم نخرج في بوفيه أديان العالم بطبق من نظام فلسفي لطيف التقطنا منه شيئًا قليلًا لذيذًا من كل صنف على المائدة. إذ ليس إلها خيارًا من ضمن عدة خيارات. فنحن نعبد إلهًا له مطالب حاسمة وجادة وحصرية. إنه يُصرُّ على أنه هو وحده من يستحق العبادة.

فكر في ما يقوله الله عن نفسه. (تمّت إضافة مراجع الكتاب المقدس لمزيد من الدراسة، وأشجعك على الجلوس منفردًا مع فنجان من القهوة وقراءتها واحدًا تلو الآخر).

- هو موجود قبل كل الأشياء، وفيه يقوم الكل، كائن من قبل أن تولد الجبال، وهو أوجد الأرض، هو الألف والياء، الذي وحده له عدم الموت. (مزمو ٩٠: ٢؛ كولوسي ١: ١٧؛ تيموثاوس الأولى ٦: ١٦؛ رؤيا ١: ٨)
- خالق كل الأشياء، في السماء أو على الأرض، ما يرى وما لا يرى (تكوين ١: ١؛ يوحنا ١: ٣؛ كولوسي ١: ١٦).
- هو يحمل (يدعم تماسك) كل الأشياء، ويحفظ (يثبت) كل الأشياء معًا من خلال كلمته (كولوسي ١: ١٧؛ عبرانيين ١: ٣).
- هو فوق شيء، على نحو محدد ليعرفه الناس في كل المسكونة، في الصين والولايات المتحدة الأميركية وأميركا الجنوبية، وفي كل مكان في العالم (إشعيا ٤٥: ٥-١٢؛ أفسس ٤: ٦).
- هو يعرف كل شيء، إنه ليس إلهاً محدودًا. يعلم الله كل شيء تمامًا قبل أن يحدث (مزمو ١٣٩: ٤، ٦؛ إشعيا ٤٦: ١٠).
- هو قادر على كل شيء. لا يعسر عليه أمر! ما من مستحيل لديه على الإطلاق (إرميا ٣٢: ٢٧؛ لوقا ١: ٣٧).
- ينجز الله كل شيء. فهو ينظم ويحدّد ما سيفعله في حياتك وحياتي وحياة الرؤساء وفي البلدان التي مزقتها الحروب ومع الحكام المتمردين في كل مكان! هو يفعل كل ما يخطّط له في عالمنا هذا وفي الكون بأكمله (إشعيا ١٤: ٢٤؛ ٤٦: ١٠؛ أفسس ١: ١١).

• يسود على كل شيء. هذا هو المقصود بالسيادة.
كل القوة والسلطة هما في يديه (كورنثوس الأولى
٢٩: ١١-١٢؛ دانيال ٤: ٣٤-٣٥).

• هو المسيطر على كل شيء. يظلّ الله مسيطرًا
مهما ساءت الأحوال الاقتصادية أو خرج غضب الحكام
وملوك الأرض عن السيطرة. حتى إذا أراد الشيطان أن
يفسد حياتك، سيكون عليه أن يطلب الإذن من الله
أولاً. (أيوب ٤: ٢؛ رومية ٨: ٢٨).

إذا كنت تريد أمثلة محدّدة عن الأمور التي يسيطر الله عليها بالضبط،
فألقي بنظرة على الآيات التالية:

• ملوك الأرض (أمثال ٢١: ١؛ رؤيا ١٩: ١٦)

• الأحداث البشرية (مزمو ٣٣: ٩-١١؛ دانيال ٢: ٧)

• الملائكة الخدّام (كولوسي ١: ١٥-١٦؛ رؤيا ٤: ٨)

• الشيطان والملائكة الساقطة (أيوب ١: ٦؛ أفسس ١: ٢١؛ فيلبي ٢: ١٠)

• قرارات الإنسان (أعمال ٢: ٢٣؛ ١٣: ٤٨؛ رومية ٨: ٢٩-٣٠؛ أفسس ١: ١١)

يقدم الله في الكتاب المقدس تصريحات عديدة عن نفسه لا يمكن
أن تنافسها أو تحاول ذلك النظم الدينية الأخرى، فعندما يعلن الله
عن سيادته، فإنه يشير إلى نفسه باعتباره المصدر النهائي لكل قوة
وسلطان على كل ما هو موجود.

فما الذي يعنيه هذا؟

لا أدري بشأنك، لكن المرة الأولى التي سمعت فيها كلمة سيادة لم أفهم معناها جيّدًا. كنت لا أزال مؤمنًا مسيحيًا حديثًا في مجموعة دراسة الكتاب المقدس في الكلية. وتناهت إلينا وقتها بعض الأخبار الأساسية لأحد الأعضاء في مجموعتنا. قالت إحدى الفتيات في اجتماع دراسة الكتاب المقدس: «أنا أعلم أن الوضع فظيع، لكنني أعرف أن الله متسيد»، وكوني شابًا حاذقًا وذكيا وروحيا، فكرت في نفسي: ما الذي يمكن أن يعنيه ذلك؟ لم أسمع قط بعبارة «سيادة الله» من قبل. ذهبت بعدها إلى صديق مقرب وطلبت منه أن يشرحها لي.

قد يفاجئك ذلك، ولكن واحدة من أعظم أدوات دراسة الكتاب المقدس هي القاموس. يُعرّف قاموس وبستر صاحب السلطان أو السيادة **sovereign** كالتالي:

١. أعلى من الآخرين أو متفوق على الكلّ؛ الرئيس؛ الأعظم؛ الأسمى
٢. الأعلى في النفوذ والرتبة أو السُلطة
٣. يحتل منصب الحاكم؛ ملكي. مهيمن (سائد)
٤. مستقل عن كل الآخرين
٥. ممتاز؛ المتميز
٦. الشخص الذي يملك نفوذًا أو سلطة سيادية، وعلى وجه التحديد، ملك أو حاكم.

عندما يكون لشخص ما السلطان يكون هو صاحب القرار، ويكون هو المسؤول وبيده السلطة. كل ما يقوله يحدّث. إنّه «الملك»، يقول الله إنه هو الملك، وليس ملكًا على هذا الكوكب فحسب، بل على الكون كله. إنه خارج نطاق الزمن، وهو لانهائي. ليست له بداية ولا نهاية. إنه يحكم كل شيء.

أكثر عبارة أفّضلها عندما أفكر في سيادة الله هي أن «كل الأمور هي تحت سيطرة الله». يا له من شعور مريح! عندما يرقد أحد أفراد الأسرة مريضًا على سرير في المستشفى، يكون الأمر تحت سيطرة الله. وعندما نواجه وقتًا عصيبًا في أثناء تربية الأطفال، يكون الأمر تحت سيطرة الله. وعندما يرقد صديق مقرب في وحدة العناية المركّزة، يكون الأمر تحت سيطرة الله.

عندما يكون الاقتصاد القومي أو الحالة المادية الفردية على المحك، يكون الأمر تحت سيطرة الله. لا يمكن لشيء أن يدخل إلى حياتك إلا إذا كان الله قد خطَّط له أو سمح به. وإذا كنت مستعدًا لأن تثق به، فلن يحدث شيء في حياتك لا يستطيع أن يحوِّله لخيرك. هذا هو المقصود بأنَّه صاحب السيادة.

لا نظير لله، لأنه هو صاحب السلطان: ملك الملوك، رب الأرباب، لا يحده أية محدوديات بأي شكل من الأشكال. إنه الوحيد الحرّ بشكل مطلق في الكون. وأنا أحب تفسير توزر للسيادة في كتابه «معرفة القدوس»:

إن سيادة الله هي الصفة التي يحكم بموجبها خليقته بأكملها. ولكي يكون الله هو صاحب السيادة، يجب أن يكون كليّ المعرفة وكليّ القوة وحرًا تمامًا. وفي ما يلي أسباب ذلك:

إذا كان هناك قدر من المعرفة، مهما كانت ضآلته، مجهولًا لدى الله، فسينهار حكمه عند هذه النقطة. فلكي يكون ربًا على كل الخليقة، لا بد أن يمتلك كلّ المعرفة. وإن كانت لدى الله نقطة ضعف متناهية الصغر بشكل لا يذكر من القوة، لانتهى حكمه وانهار ملكوته عند تلك النقطة. ولو كانت هنالك ذرة واحدة من القوة تنتمي إلى شخص آخر، فسيجعله حاكمًا محدودًا، وبالتالي غير كليّ السيادة.

علاوة على ذلك، فإن سيادة الله تتطلب أن يكون الله حرًا تمامًا، وهو ما يعني ببساطة أنه لا بد أن يكون لديه مطلق الحرية ليفعل ما يشاء في أي مكان وفي أي وقت يشاء لتحقيق مقاصده الأبدية في كل التفاصيل الصغيرة من دون أيّ تدخل خارجي. ولو كان أقل حرية، لصار أقل سيادة.

عندما تحني رأسك للصلاة، عندما تكون في ضيق وتحتاج إلى أن تطلب من الله شيئًا، هل تدرك من الذي تتحدث إليه؟

إن الشخص الذي تصلي له يملك السلطان على الكون بأكمله، وعلى كل ذرة فيه، وهو مع ذلك يحبك بلا حدود ويهتم بك. هذا هو الذي تتحدث إليه. ولهذا السبب نحن نعبد.

هل يمكنك أن تتخيل ما قد تفكر فيه صديقتي الصينية بخصوص هذه الفكرة؟ يُعَد هذا مفهومًا غريبًا تمامًا بالنسبة إليها. لقد سمعت قلبها من خلف حوارها المهدب وأسئلتها الجادة وهو يقول: «أنا أعلم أنك تؤمن بما أخبرتني به للتو، ولكنني في حاجة إلى مزيد من الأدلة، أكثر قليلًا مما أعطيتني، إذا كان لي أن أؤمن».

كنت أشعر في صوتها بالتوق إلى المعرفة ممتزجًا بالخوف من ارتكاب خطأ، أو الإيمان بالشيء الخاطئ أثناء حديثنا الذي دار على ارتفاع حوالى ٣٣٠٠٠ قدم. أرادت أن تترك عالم طفولتها الذي كان بدون إله، لكنها لم تكن متأكدة من أن الإله المعروض عليها سيكون أفضل أو سيوفر لها بديلًا حقيقيًا. فهمت الآثار المترتبة على الإيمان، إذ سيؤدي إلى الطاعة والعبادة. عندما نظرت إلى عينيها، كان بإمكانني تقريبًا أن أسمعها تقول، «إذا كان ما تقوله لي صحيحًا، فهناك شخص يحبني ويجب على كل أسئلتني، إنني أريد أن أعرفه ولكنني بحاجة إلى مزيد من الأدلة. كيف كشف إله الكتاب المقدس، إن وجد، عن سيادته؟»

■ كيف كشف الله عن سيادته؟

لم تكن لدى رفيقتي أية مشكلة فكرية مع سيادة الله. فمن يريد أصلًا أن يؤمن بإله عاجز. قد يهتم ولكنه لا يستطيع أن يفعل أي شيء لمساعدتنا لأنه غير متحكم بالأمر؟ لكنها من ناحية عاطفية وروحية، أرادت أن تطلع على أوراق اعتماد الله المتسيد. كانت تسألني إذا كان لدى إله الكتاب المقدس أية هوية شخصية يمكننا أن نراها مثل أوراقنا الثبوتية التي يُطلب منا أن نبرزها في المطار قبل أن نصعد الطائرة.

الكتاب المقدس هو أوراق هوية الله ووثائقه التي تثبت سيادته. ستجد بين صفحاته بحرًا من المعلومات التي من شأنها تعميق فهمك حول هويته وطبيعته. لكن اسمح لي بأن أشير إلى خمسة محاور رئيسية كشف فيها الله عن سيادته.

■ من خلال ألقابه

كشف الله عن سيادته أولاً من خلال ألقابه. إن العالم ممتلئ بالنظم والأفكار الدينية المتنافسة. لكن خذ خطوة إلى الخلف وفكر لحظة في الطريقة التي تقدم بها الديانات الأخرى آلهتها. تُصوّر بعض الديانات الإله على أنه قوَى كونية أو آلية غير شخصية تتحكم بالبشر مستخدمة أساليب مثل تناسخ الأرواح لإعادة تدويرنا إلى أن نتلاشى تمامًا.

وعلى النقيض الآخر، نجد الآلهة الشخصية من «بوفيه الأديان» في نهاية المطاف عبارة عن نسخ مكبّرة قليلاً من الشخص الذي يؤمن بها. ويمكن تغييرها بسهولة من قبل هذا المؤمن إذا لم يرضه ذلك الإله.

قارن بين هذا وبين التصريحات الجريئة والشخصية والمعقدة الصادرة من إله الكتاب المقدس. هذه التصريحات غريبة جدًا لدرجة أنها إما أن تكون أكاذيب بحتة أو حقائق أساسية على الجميع أن يعيها. يقول الله عن نفسه:

- أنا صاحب السلطان.
- أنا الأعلى.
- أنا الألف والياء.
- أنا ملك الملوك ورب الأرباب.
- أنا الذي أنا، الأبدي، ذاتي الوجود.
- أنا مستحق التبجيل لأنني عظيم.

إنها مطالبات واضحة لا لبس فيها، تمنحه وضعًا متفردًا لا يسمح لنا بأن نراه كواحد من ضمن آلهة عدّة.

■ من خلال وعوده

والطريقة الثانية التي يكشف الله بها عن سيادته هي من خلال وعوده. يمكن لأي شخص كان أن يقدم وعودًا. لكن ليس الجميع يحفظها. لا يمكن أن تتحقق وعود الله، حيث إنها شاملة ونهائية، إلا إذا كان بالفعل له كل السيادة. لنلقي نظرة إلى الوعدين التاليين على سبيل المثال. **الوعد الأول** هو الوعد الذي نعول عليه أنا وعائلتي كلما واجهنا أزمة. ونحن نردده ونقتبسه باستمرار.

«وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ
الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوعُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ».
(رومية ٨:٢٨).

يا له من وعد! كم هو مثير للدهشة كيف أن الله يمكنه بطريقة أو بأخرى أن يأخذ جميع الأحداث والمواقف والناس والأطباء والأدوية والصلوات والعلاقات وكل شيء له علاقة بأي وضع صعب نمر فيه، ويحوله للخير لصالح هؤلاء الذين يثقون به. لم يكن بإمكانه قط أن يضمن وعدًا كهذا إلا إذا كان بالفعل يعرف كل شيء، ويملك سلطة غير محدودة، وكان كلي الحكمة وخالقًا كل الأشياء ويمكنه أن يقرر ما سيحدث لكل ذرة وكل جزيء في الكون. وببساطة، لا يمكنك أن تحوّل كل شيء إلى الخير إلا إذا كنت ملك الكون وصاحب السلطان. ولكن الله يعد بذلك الوعد، وقد شهد على صدقه ملايين البشر عبر التاريخ. إنه ادعاء قابل للاختبار، وقد أثبت الله قدرته على تحقيقه مرارًا وتكرارًا.

نجد **الوعد الثاني** في فيلبي ٢: ٩-١١. سيأتي اليوم الذي ستسجد فيه لاسم يسوع كل ركبة ممن في السماء (الملائكة) ومن على الأرض (نحن) وسوف يعترف كل لسان بأنه الرب. الله يعد بهذا الوعد. كيف يمكنه أن ينطق بهذا الوعد العجيب بأن كل لسان سيعترف وكل ركبة ستسجد إلا إذا كان يملك سلطناً على التاريخ بأكمله، بجوانبه المرئية وغير المرئية؟ هذا الوعد هو في حد ذاته تعبير عن سلطانه الكامل الذي يجعله قادرًا على حماية تاريخ الكون كله وتوجيهه نحو نهايته التي عينها هو طبقًا لغاياته الخاصة.

■ من خلال التاريخ


ثالثًا، يعلن الله عن سيادته من خلال التاريخ الذي يحكي عن قصته، الذي هو التاريخ. عندما تفتح صفحات كلمة الله، ترى قصة أمة إسرائيل. يكشف الله في صفحات سفر التكوين أن تاريخ العالم بأسره هو تحت سلطانه وسيادته. وللحصول على لمحة مذهلة عن كيفية عمل الله، حاول العثور على ركن هادئ لقراءة الأصحاحات ٣٧-٥٠ من سفر التكوين. يخصص الله أكثر من خمسة وعشرين في المئة من السفر الأول من الكتاب المقدس لقصة رجل واحد ظل يلقي معاملةً مجحفةً المرة تلو الأخرى، لكنه يكتشف في النهاية أن الرب كان يدير كل الأمور في سيادته، مستخدمًا حتى أشد الظروف ألمًا وغير العادلة في حياته لصالحه لتحقيق مقاصد الله.

سمح الله بأن يجتاز يوسف بالعديد من المشقات، بما في ذلك بيعه كعبد ووضعه في السجن، وتعرضه للخيانة، وتركه منسيًا. لكن الله نقل يوسف إلى مكانة فريدة من نوعها في مصر من خلال تلك الصعوبات: خيانة إخوته، والسجن غدراً بسبب زوجة فوطيفار، حتى يتمكن يوسف من تفسير أحلام فرعون والترقي إلى ثاني أعلى منصب في الأرض. لماذا؟ لأنه قبل سنوات كثيرة سابقة، كان الله قد أعطى وعدًا لإبراهيم. قال الله إنه سيجعل أحفاد إبراهيم مثل رمل البحر ونجوم السماء في الكثرة.

وقال إنه سيضاعف عدد أحفاد ذلك البدوي البالغ من العمر مئة عام والمتزوج بامرأة تبلغ من العمر تسعين عامًا. (يَحْسُنْ بِكَ أَنْ تَكُونَ كَلِيًّا السيادة إذا كنت ستعد بوعدها). رزق إبراهيم بابن كما وعد. ويلتقط الأصحاح ٣٧ من التكوين يوسف عندما نتعرف إلى تاريخ عائلته أكثر.

اعتنى الله بعائلة يوسف عندما كانت على وشك الموت في كنعان بسبب المجاعة، واستخدم الله كل الظلم والشر المتكررين لكي يعين يوسف في موقع إستراتيجي في أرض مصر حتى يتمكن أفراد الأسرة السبعون من الذهاب إلى هناك ويجدوا الطعام والحياة.

ومن خلال سيادة الله في حياة يوسف، أصبحت مصر حاضنة لهذه العائلة حتى تضاعفت ليصل عددها إلى مليونين أو ثلاثة ملايين شخص تحقيقاً لوعده الله. كان إخوة يوسف قلقين للغاية بعد وفاة والدهم، وكان لديهم سببٌ وجيهٌ لذلك. فبالنظر إلى خيانتهم ليوسف، كانوا يفترضون أنه سيقتلهم لا محالة. لكننا


**انْتُمْ قَصِدْتُمْ لِي
 شَرًّا أَمَا اللَّهُ فَقَصِدْ
 بِهِ خَيْرًا لِكَيْ يَفْعَلَ
 كَمَا الْيَوْمَ لِيُحْيِيَ
 شَعْبًا كَثِيرًا.**

نقرأ في سفر التكوين ٥٠: ٢٠ أنه التفت إلى إخوته وقدم لنا شهادة الكتاب المقدس الممتازة على سيادة الله على التاريخ الشخصي والعالمي: انْتُمْ قَصِدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَا اللَّهُ فَقَصِدْ بِهِ خَيْرًا لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا.

كان الرب متسيّدًا. حتى عندما بيغ يوسف، وألقي به في السجن، وتعرّض للخيانة والنسيان، كان الله مسيطرًا على كل الأمور.

يريدك الله أن تعرف أنه صاحب السيادة على تاريخك. فعندما يقول زوجك السابق شيئًا يزعجك، أو عندما يفعل أطفالك شيئًا يزعجك، أو عندما تكون هناك مشكلة في العمل، أو عندما يتعثّر الاقتصاد، ستجد دائمًا أن الله مسيطر بشكلٍ كاملٍ. إنه كليّ المعرفة والحكمة وهو سخيّ في عطائه ولا نهايةً لحبه. إنه الملك، وأنت ابنه.

لا يكشف الله عن سلطانه في التاريخ الشخصي فحسب، بل يكشفه بتفاصيل متناهية الصغر على مرّ التاريخ أيضًا. ونحن نجد أمثلة عظيمة لذلك في الأصحاحين ٢ و ٧ من سفر دانيال وأيضًا في سفر الرؤيا. سترى الله وهو يكشف عن سيادته على التاريخ من خلال إخبار أنبيائه عن الممالك التي ستأتي.

يقول الله لدانيال على وجه التحديد: «أريدك أن تعرف أن بابل سوف تسقط. وبعد ذلك سوف تقوم مادي وفارس. وبعد ذلك سيتسلم اليونانيون زمام الأمور. وبعدها ستسيطر روما. وبالمناسبة، أريد أن أعطيك بعض التفاصيل: سوف يملك الإسكندر الأكبر، وعندما يموت

ستكون هناك أربع ممالك.» وكشف الله أسرار الأربع الممالك المقبلة بكل دقة قبل أن تحدث. إنه المسؤول عن التاريخ. لا تعني سيادة الله أنه يجب أن نختار أن نعيش في جهل وسلبية تجاه الظلم والقسوة اللذين في العالم، لكنه يعني أنه يمكن أن نملك إحساسًا بالسلام والثقة لأن العالم لا يدور خارج سيطرة الله.

■ من خلال تحقق النبوات

تتمثل واحدة من أكثر الشهادات المدهشة لسيادة الله في قدرته على معرفة المستقبل بنسبة مئة بالمئة من الدقة، في مئة بالمئة من الوقت. انظر الى إشعياء ٤٤: ٦-٨:

«هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَقَادِيهِ رَبُّ الْجُنُودِ: «أَنَا الْأَوَّلُ
وَأَنَا الْآخِرُ وَلَا إِلَهَ غَيْرِي. وَمَنْ مَنِّي يُنَادِي فَلْيُخِرْ بِهِ وَيَعْرِضْهُ لِي
مُنْذُ وَصَعْتُ الشَّعْبَ الْقَدِيمَ. وَالْمُسْتَقْبَلَاتُ وَمَا سَيَأْتِي لِيُخِرُوهُمْ
بِهَا. لَا تَرْتَعِبُوا وَلَا تَرْتَاعُوا. أَمَا أَعْلَمْتُمْ مُنْذُ الْقَدِيمِ وَأَخْبَرْتُمْ؟ فَأَنْتُمْ
شُهُودِي. هَلْ يُوجَدُ إِلَهٌ غَيْرِي؟ وَلَا صَخْرَةٌ لَا أَعْلَمُ بِهَا.»

هل لاحظت المكتوب على البطاقة التعريفية الخاصة بالله؟ «الملك والفادي، رب الجنود.» ثم يثبت ذلك من خلال إخبارنا بالمستقبل. ليس الله دينًا بديلًا قد ترغب في اتباعه بشكل شخصي بدلاً من الهندوسية أو البوذية أو الإسلام أو شهود يهوه أو المورمونية.

إنه يضع تحديًا لا يمكن لأحد أن ينافسه: «دعهم يتنبؤوا بما سيأتي إن استطاعوا، ألم أعلن أنا هذا وتنبأت به من قبل أن يحدث؟»

يشكل ثلث الكتاب المقدس نبوات تحققت عدة مئات منها في المسيح. ويريدك الله أن تعرف أنه ليس عليك أن تضع عقلك على الرف لتصبح قادرًا على الوثوق بالكتاب المقدس. يمكنك أن تعرف وبشكل موضوعي أن كل ما قيل قد تحقق أيضًا.

لقد حقق يسوع مئات النبوءات المحددة في ما يتعلق باليوم الذي ولد فيه، والمكان الذي ولد فيه، ومن ستكون والدته وأي نوع من النساء ستكون، وأكثر من ذلك أن هذا كله لإثبات أنه هو الملك المتسيد.

هناك مجموعة أخرى من الوعود التي نحتاج إلى أن نتذكرها عن مجيئه ثانية. لقد قال إنه سيجلب التاريخ إلى نهايته. فبدلاً من أن يكون الخادم المتألم الذي مات مكانك على الصليب، سيكون الفارس علي حسان أبيض، وسيحقق العدالة. وهو يريد من شعبه أن يعيش مترقبًا يوم مجيئه.

■ من خلال يسوع المسيح، «المسيّا»

كما توقعت، يُظهر الله أوضح مظاهر سيادته من خلال ابنه يسوع. فكر في العبارة الواردة في غلاطية ٤: ٤ على سبيل المثال، أن يسوع جاء «في ملء الزمان». عندما وُلِد يسوع، وجدت مجموعة فريدة من الشروط التي حقّقها الله في التاريخ. أصبحت اليونانية لغة عالمية، وكان تطور السفر والاتصالات في أعلى مستوياته، وسمح السلام الروماني **Pax Romana**، أو السلام الذي فرضه الرومان، بالتبشير السريع. كانت المعابد منتشرة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، فسمحت للكنيسة بأن تكون عند مولدها مراكز إستراتيجية للعمل.

عرّف يسوع بنفسه بوضوح أنه الملك المتسيد (متى ٢٨: ١٨؛ رؤيا ١٩: ١٦). حتى عند موته، لم يقتله أحدٌ رغماً عنه. لا يمكننا أن نخضب من الرومان أو اليهود. فبحسب ما قاله يسوع، فإن أحدًا لم يأخذ حياته منه بل هو من وضعها باختياره (يوحنا ١٠: ١٨). لم تكن المسامير هي التي قيّدت به إلى ذلك الصليب، بل اختياره هو الذي فعل ذلك، لأنك مهم لديه ولأنه يحبك.

وبعد ذلك كانت القيامة. كانت الحدث الذي يتفوق على كل ما سواه في عالم الأدعاءات الدينية. مات يسوع ثم قام القبر، وظل على الأرض لأربعين يومًا بعد القيامة. لم يُخبر يسوع شاهد عيان واحد، ثم بعد ذلك طلب ذلك الشاهد من الجميع أن يصدّقوا رؤيته ويؤمنوا بمعتقداته، بل ظهر يسوع لخمسة من الشهود الذين رأوه ولمسوه وسمعوه يتحدث،

وما لا يقل عن مئة وعشرين شاهدًا رأوه وهو يصعد إلى السماء في السحاب. فالقيامة ليست قصة لطيفة اختيارية للمسيحيين، بل حقيقة تاريخية تثبت سلطان يسوع. المسيح هو المجد المتوج لإعلان سيادة الله.

لو كان بإمكانني أن أجري تلك المحادثة مع صديقتي الصينية مرة أخرى، لكنت قد أوضحت لها بعض الأشياء بشكل مختلف. إذا كان بإمكانها قراءة الصفحات الأخيرة المكتوبة هنا، أظن أنها كانت ستقوم ببعض الأبحاث الشخصية مع الكثير من الشغف، ولبحثت عن المقاطع التي تعطي أدلة على سيادة الله. تجربتي هي أنه، خلافًا لأولئك الذين نشأوا نشأة مسيحية وغالبًا ما قبلوا تلك الأدلة كأمر مسلم بها، نجد أن هؤلاء الذين يأتون بعقل مفتوح ويبحثون بأنفسهم في حقيقة الكتاب المقدس، يكتشفون أن الله يتحدث لهم شخصيًا وبقوة. وتتحقق القناعة عندما يكون لديك ذلك الجوع في قلبك وتلك الرغبة في البحث في كلمة الله. إذ يأخذ روح الله كلمة الله ويحدث في داخلك تغييرًا يشكّل بذرة إيمانك.

إن كنت ستخصّص الوقت لتتحرّى دقة الأدلة التي يقدمها الله، فسيزرع ذلك في داخلك الإيمان. وسيكشف الله لك أنه أكبر بكثير وأكثر قوة ومحبة وسلطانًا بكثير مما كنت تتصور. وستبدأ برؤية الله كما يتوق إلى أن تراه. وستتغير صلاتك، وسيتحول إيمانك، وستختبر سلاّمًا لم تختبره من قبل.

سؤالان تثيرهما سيادة الله

سيواجه كل من يفكر في سيادة الله لفترة كافية سؤالين مهمين جدًّا.

السؤال الأول هو: إذا كان الله مسيطر حقًا ومتسلط على كل شيء، بما في ذلك الأحداث والظروف التاريخية.

فلماذا يسمح بالشر والألم والمعاناة؟ ولماذا لا يفعل شيئًا حيال كل تلك الأحداث التي لا تُوصف والتي يفعلها البشر بعضهم ببعض طالما أنه يرى، وطالما أنه قادر؟ لماذا لا يوقف معاناة العالم قبل أن تبدأ؟

هذا سؤال ضخم تناولته أعداد هائلة من الأعمال الأدبية على مر القرون. وببساطة، لا توجد طريقة لمناقشة هذه المسألة العميقة بطريقة مُرضية تمامًا في مثل هذه المساحة القصيرة. بالنسبة إلى أولئك الذين يرغبون في استكشاف المزيد عن تلك القضية قد يساعدهم الاطلاع على كتاب جيد عن مسألة الشر.

مثل كتاب «مشكلة الألم» من تأليف سي. أس. لويس على سبيل المثال. لكن، رغم خطورة التبسيط الشديد، اسمح لي بأن أشارك معك ما أعتقد باختصار أنه خلاصة ما يقوله الكتاب المقدس حول هذا الموضوع.

لماذا لا يمنع الله المعاناة؟ لأنه خلقنا على صورته. إن أغلى ثمن تدفعه في علاقة محبة بين الناس هو أن تعطي الحرية لمن تحبه. تعني حرية الإنسان أن لدينا فرصة لنقول «نعم» ونحب الله. لكن لدينا أيضا فرصة مماثلة لنقول «لا» ونفعل ما هو خطأ.

رأى الله أنّ من المهم جدًا أن يحفظ لنا كرامتنا عن طريق منحنا الحرية لنقبله أو نرفضه، ورغم علمه بأن حريتنا ستؤدي بنا إلى الألم، لكنه سمح بها، مع علمه من قبل تأسيس الأرض أن العلاج الوحيد لهذا الألم سيكون يسوع الذي قال إنه سيأتي ويموت كي يدفع ثمن استرداد تلك العلاقة.

ويتعلق السؤال الثاني المتعلق بسيادة الله بالمسؤولية البشرية. إذا كان الله هو المسيطر على جميع الناس والأحداث في التاريخ، ألا يجعل ذلك من المسؤولية البشرية مجرد خدعة؟ فهل يحركنا الله كالدمى واهمًا إيانا بأن قراراتنا إنما نتخذها بأنفسنا؟ هل كل قراراتنا محددة سلفًا، وكل ما يفعله هو تحريك الخيوط وجعلنا نظن أننا أصحاب القرار؟

بالطبع لا. يُعلّمنا الكتاب المقدس بوضوح أن الله هو المتسيد، لكن منبع اتخاذ القرارات إرادتنا الحرة. وسوف نكافأ أو نُدان بناءً على تلك القرارات، لكن هناك توازنًا. ونحن لا نفهم بالضبط كيف يعمل ذلك، والذين يحاولون شرح ذلك يتم تصنيفهم عمومًا

في واحد من معسكرين مسيحيين كبيرين، الكالفينية أو الأرمينية (جاءت التسمية نسبة لاثنين من أعمدة الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر، جون كالفن من فرنسا و جاكوبوس أرمينوس من هولندا). داخل هذين المعسكرين، يأخذ الكثير من الناس تفسيرات كالفن أو أرمينوس بطريقة أكثر تطرفاً مما قصده أصحابها الأصليين. سأقول ببساطة، من دون الدخول في درس حول هذين الشخصين المهمين في تاريخ الكنيسة،

إن هناك وجهات نظر متطرفة وغير كتابية داخل هذين المعسكرين. فبعض الأشكال المتطرفة من الكالفينية، رغم حسن النية، تدافع بحماس عن سلطان الله حتى إنها تقضي عملياً على المسؤولية البشرية. ولا أحد من معتنقي هذا المعتقد سيقولها على هذا النحو، لكن هذا هو ما يحدث.

فهو يجعل من الله بمثابة محرك عرائس كوني وينكر أن لدينا أية خيارات حقيقية، وهذا غير كتابي. وعلى النقيض الآخر توجد أشكال متطرفة من الأرمينية، أيضاً مع النيات الحسنة، يحاول معتنقوها الانتصار للإرادة الحرة والمسؤولية البشرية الكاملة بشكل يصور الله وكأنه جالس في السماء متوتراً آملاً أن يجري كل شيء على ما يُرام، وفي انتظار قراراتنا حتى يتمكن من معرفة ما يجب القيام به. ويتعارض كلا النقيضين مع الكتاب المقدس.

يعلّمنا الكتاب المقدس الفرق بين الرأيين. فالله هو كليّ السيادة. لا يمكن إحباط أية خطة له، وهو مسيطر على جميع الناس والأحداث وعلى التاريخ. لكن الكتاب المقدس يعلّمنا أيضاً أننا كائنات حرة وأخلاقية قادرة على اتخاذ القرارات، ويمكن لهذه القرارات أن تُحدث تأثيراً أبدياً في بعض الأمور.

أما كيف يسير هذين الواقعيين جنباً إلى جنب معاً فهذا لغز. (للقراء المهتمين، يتعامل كتاب «مختارون لكن أحرار» **Chosen But Free** لنورمان جيسلر مع هذه المسألة بطريقة متوازنة وكتابية).

أما الآراء المتطرفة فسوف تهبط بك في خندق لاهوتي. لكن ما يدهشني حقًا هو أن الرسول بولس الذي كتب الكثير عن سلطان الله، فلم يبد أنه كانت لديه مشكلة في هذا التوازن.

ففي الأصحاح الأول من رسالة فيلبي، عندما ظن بولس أنه قد يموت، قال إنه على يقين من أنه سيعيش بفضل صلاة الكنيسة (المسؤولية البشرية) وبمعونة الروح في المسيح يسوع (سلطان الله). ويطلب لهم في الأصحاح الثاني أن يتمموا خلاصهم بخوف ورعدة (المسؤولية البشرية) لأن الله هو الذي يعمل فيهم أن يريدوا وأن يعملوا من أجل المسرة (سيادة الله).

■ كيف نتجاوب مع الإله المتسيد؟

■ السجود أمام ملك الكون

لنفكر في الأمر. إذا كان هناك ملك متسلط على كل الكون، سيكون أول رد فعل طبيعي هو الانحناء أمامه. سوف يأتي اليوم الذي فيه سيعترف به كل لسان وتسجد له كل ركبة. وبالنسبة إلى أولئك الذين وضعوا ثقتهم في المسيح بينما كانوا أحياء على هذا الكوكب، سوف يكون ذلك اليوم بهيئة ومدعاة للاحتفال العظيم، في الوقت الذي سيكون فيه يومًا رهيبة لأولئك الذين أشهروا أسلحتهم في وجه الله فائلين له، بشكل سلبي أو بتمرد صريح، «سنكون نحن ملوكًا على حياتنا، ونحن أصحاب القرار». لماذا؟ لأنه الملك المتسيد الذي بيّن لنا الطريق الذي ينبغي أن نسلك فيه، والشخص الذي اختار عمدًا أن يرفض ذلك الطريق قد رفض الله. واحترامًا لكرامتنا، فإن رد الله على أي شخص يقول «أريد أن أسير في طريقي الخاص» سيكون بالموافقة: «لك ما طلبت.»

ما هو التطبيق العملي لما قرأناه؟ إنه الاستسلام التام له بكل كيائك وبكل ما لديك. ولهذا الاستسلام تضمينات عميقة لكل من المؤمن وغير المؤمن.

ويعني هذا بالنسبة إلى غير المؤمن، الاعتراف بكل خطاياك وعنادك وكبريائك وعدم قدرتك على معرفة محبة الله بشروطك الخاصة. ويعني هذا تسليم حياتك للمسيح واتباعه كربّ.

يعني الإستسلام المطلق للمؤمن، أن تعترف بأن كل شيءٍ اعتقدت أنه ملكك، مثل وقتك وأموالك ومواهبك وحياتك المهنية وحياتك الجنسية ومصالحك، هو في الحقيقة ملك لله. ويعني هذا أن تسلمه أفكارك وفلسفاتك وخططك ومستقبلك وأحلامك وقدراتك، فلا تعود لك. فلقد اشترك ذاك الذي صنعك أصلًا.

هل في حياتك ما لم تقدمه للرب المتسيد؟ هل يملك في قلبك كما يملك في السماء وفي الكون وكما سيملك إلى الأبد؟

هل من حاجز بينك وبين الملك؟ هل سلّمته وقتك ومستقبلك وعلاقاتك ومالك وإرادتك؟ إن ما يريده الله منك هو ذبيحة حية.

هل شاهدت أفلامًا تاريخيةً؟ وعندما يأتي موكب الملك تجد العبيد ينحنون أمامه في إجلال. لماذا يفعلون ذلك؟ لأنهم يعلمون أن لدى الملك القدرة على أخذ حياتهم إذا أراد. لا يجرؤون على الإساءة إليه. لكننا هنا لا نتحدث عن إنسان، نحن نتحدث عن الرب المتسلط، ملك المجد. والخطوة الأكثر حكمة وذكاء التي يمكن أن تخطوها في حياتك هي الاستسلام الكامل بكل كيائك وبكل ما لديك لمن يحبك كما لم يحبك أحد من قبل والذي له السيادة على كل شيء.

صدق أنّ كل أمر يحدث في حياتك هو إما بسماع أو بتخطيط من الله الصالح الذي سيستخدمه لمصلحتك.

رد الفعل الثاني المناسب الذي نتجاوب به مع الله صاحب السلطان هو الإيمان. فكل فيما يعنيه سلطان الله بالنسبة إلى ظروفك: كل أمر يحدث في حياتك هو إما بسماع أو بتخطيط

من الله الصالح الذي سيستخدمه لمصلحتك. هل هذا الصراع الذي تمرّ به حاليًا هو في زواجك؟ سيحوّله الله إلى الخير. هل هو في مشاحنات بينك وبين أولادك؟ سيحوّلها الله إلى الخير. هل هو الوضع الحالي لسوق الأسهم والتقاعد الخاص بك والألم العاطفي والشعور بالإساءة والاكْتئاب الذي تمرّ به؟ صدّق أن كل أمر ظهر في حياتك، أي ظرف أو علاقة، هي إما بسمّاح أو بتخطيط إلهي منه من أجل خيرك، والخير الذي يريده لك هو أكبر من ظروفك أو سعادتك. يريدك أن تكون مطابقًا لصورة ابنه. كل تلك الأشياء التي تبحث عنها - الحب والفرح والسلام والصبر - هي ثمر الروح الذي يعمل فيك ومن خلالك في خضم ظروف حياتك. ويضمنها الله لك في سيادته.

حوّل أوزوالد تشامبرز (**Oswald Chambers**) سيادة الله إلى مبدأ أساسي في الحياة: ارفض القلق تمامًا. هل تواجه مشاكل في العمل ولا تسير ترتيبات التقاعد الخاصة بك على ما يُرام؟ استمرّ في العمل ولكن ارفض القلق.

هل تعمل على حلّ مشاكل زواجك بجدّ من دون أن تحرز أي تقدم؟ صلّ بلجاجة، ولكن ارفض القلق. هل يرقد أحد أحبائك في وحدة العناية المركزة؟ ارفض القلق.

لقد عايشت ظروفًا مدمّرة، وبعض أسوأ الحالات التي يمكن تخيلها، وشاهدتها وهي تتحول إلى قفزات خارقة للطبيعة في العلاقات، وتفتح فرصًا للناس لمشاركة رسالة المسيح بسلطان وفاعلية.

يفعل الله الأشياء بطريقة ربما لا نفهمها، طريقة أعمق وأفضل وأروع مما كنت تتخيل، ولكن يجب أن تؤمن! ارفض القلق. يمكنك التوقف عن محاولة التعامل مع الأمور ومحاولة حلها لأنك تعرف من هو المسيطر عليها. يمكنك أن تستريح في ظل صلاحه وسيادته.

تأمل في خشوع وإجلال كيف يتحكم هذا المتسيد العجيب الرؤوف الرحوم العادل في كل ما كان وما يكون وما سوف يأتي.

التطبيق العملي الثالث هو أن تتأمل قوة سيادة الله في خشوع وإجلال. هذا شيء لا نفعله في كثير من الأحيان. نميل أكثر لأن نقول: «أنا لا أفهم ذلك، لا أستطيع أن أعرف ذلك»، ولكن الحقيقة هي أن سلطان الله إنما يُفترض به أن يدفعنا إلى العبادة.

أتعجب دائماً عندما يجادل الناس بعضهم بعضاً حول سيادة الله، ويعامل المؤمنون بعضهم بعضاً وكأن الآخر زنديق لأنه لا يؤمن بالضبط بالطريقة نفسها حيال ذلك الأمر. ماذا يقول بولس الذي أوحى له روح الله ليكتب الأصحاحات ٩-١١ من رسالة رومية، عندما يصل إلى نهاية هذا المقطع العظيم الذي يتحدث عن سيادة الله؟ هل أعلن موقفه اللاهوتي مُخبراً الجميع في الكنيسة أنهم بحاجة إلى الاتفاق معه؟ لا، لقد عاين بولس السر العجيب لسيادة الله، فقال:

«يَا لَعْمَقِ غَتَى اللّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفُحْصِ
وَطُرْقِهِ عَنِ الْإِسْتِفْصَاءِ! «لَأَنَّ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ
مُشِيرًا؟ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيَكْفَأُ؟». لَأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ.
لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ.»

(رو ١١: ٣٣-٣٦)

دفعه الأمر إلى عبادة الله. وانفجر في تسبيح له. لا يجلب الفهم السليم لسيادة الله الحجج والمجادلات، بل يجلب الرهبة والاندهاش والسجود الذي من القلب الذي يقول «أنا صغير، شخص صغير ومحدود».

لا أستطيع أن أفهم ماهية كل شيء، وأنا أتألم في عالم ساقط، ولكنني أعبد الخالق الملك المتسيد الذي جعلني هدفاً لمحبهته.»

ما زلت أفكر في تلك السيدة التي قابلتها على تلك الطائرة من هونغ كونغ إلى بكين. لا يزال بإمكانني أن أذكرها في بزتها الرسمية ومجوهراتها الجميلة واعتنائها بمظهرها.

لا يزال بإمكانني سماع لغتها الإنجليزية الفصيحة وتعليقاتها الذكية والصدق الذي في صوتها، ولا يزال بإمكانني أن أسمع سؤالها: «لماذا تعتقد أن إلهك أفضل من كل الديانات الأخرى الموجودة؟» إنه سؤال منطقي، وأتمنى أن أعود مرة أخرى وأجيب عليها بطريقة تعكس ذلك الكم الهائل من الأدلة التي أعطانا إياها الله على مر التاريخ ومن خلال كلمته: أنه كائن قبل كل شيء وفوق كل شيء، وأنه كلي الحكمة وغير محدود، وكلي المعرفة والقوة، وأنه صاحب السيادة.

تجربتي الشخصية مع سيادة الله

في العام ١٩٩٠، كان عليّ اتخاذ أحد أصعب القرارات في حياتي. كنت وقتها قسًا في منطقة رورال بولاية تكساس خارج دالاس على مدى السنوات الثماني السابقة، وكنت أعرف أن لدى الله شيئًا جديدًا لمستقبلنا كعائلة. صليت أن يرسلنا إلى الشرق، لنكون أقرب إلى عائلتنا وللدعم الذي يمكن أن نحصل عليه منهم، إذ كان أحد أبنائي المراهقين يمر بحالة من التمرد.

وجاءت دعوة الله، لكنها كانت إلى الغرب وليس الشرق. انتقلنا لنعيش على بعد ألفي ميل إضافية بعيدًا عن جميع أفراد عائلتنا. كانت تيريزا والأطفال الأربعة سيكون طوال الرحلة الطويلة في سيارتنا في الطريق الطويل نحو حياتنا الجديدة. لم يتوقفوا عن البكاء حتى بلغنا منطقة أماريلو. كنا نطيع أوامر واضحة من الملك، ولكن من ناحية عاطفية، اعتراني شعور فظيغًا. بصفتي ربّ لهذه الأسرة، كنت آخذهم بعيدًا عن الأصدقاء والعائلة وكل ما كان مألوفًا لهم.

فكيف يسمح الله الطيب بأن تُسبب طاعته شعورًا مؤلمًا
 هكذا؟ كانت التغييرات صعبة، وكانت الكنيسة الجديدة
 تواجه تحديات لم أكن قد واجهتها من قبل، وأصبح
 ابني المتمرد أكثر تمرّدًا. فأين هو الإله الطيب المحبّ
 المتسيد الآن؟ شعرت بوحدة شديدة وتشويش، وكنت
 محبّطًا أغلب الوقت.

عندما أنظر إلى تلك الأحداث بعد عشرين عامًا، أرى
 كيف طوّرت الكنيسة الجديدة وتحدياتها مهاراتي
 وشخصيتي وخدمتي بشكل لم أكن لأحلم به. جلبت
 المحنة لعائلتنا وحدة أعمق وترابطًا، وأخذت زواجنا إلى
 مستوى جديد كليًا. تغيّر ابني المتمرد بشكل كامل،
 وسنحت له فرص لدراسة الموسيقى لم تكن موجودة
 في تكساس. بنى الله الأسرة ونمّى الكنيسة وسمح
 بإطلاق خدمة إذاعية، وتحول الابن المتمرد إلى كاتب
 للأغاني المسيحية وقائد عبادة لشعب الله. فما ظننت
 أنّه كارثة، وما بدا غير عادل على الإطلاق، كان في الواقع
 اليد القديرة للإله المتسيد وهي تعمل لخيري ومن أجل
 أفضل الأهداف لي ولأسرتي.

وماذا عنك؟ ما الذي تمرّ به الآن ويبدو صعبًا ومستحيلًا
 ويسبب لك الشعور بالظلم والاكْتئاب؟ ما رأيك في أن
 تتوقف عن القتال والمقاومة والشكوى وتبدأ في الثقة
 بأبيك السماوي المتسيد؟

عش ما تعلمت

يستخدم الله ثلاث ممارسات أساسية في حياة كل مؤمن لكي يساعده على النمو والنضج. عندما تحرص على تنفيذ تلك الممارسات باستمرار من قلب صادق، لن تنمو روحياً فحسب بل ستعيش حياة ذات معنى وأكثر أهمية.

■ **اقض بعض الوقت يومياً مع الله:** التقى بالله يومياً بشكل شخصي من خلال قراءة كلمته والصلاة لكي تستمتع بحضوره. استمع إلى توجيهاته واتبع مشيئته.

■ **اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين:** قم بتنظيم وقتك خلال الأسبوع بحيث تسنح لك الفرصة للتواصل مع المؤمنين الآخرين في علاقات آمنة توفر الحب والدعم والشفافية والتحدى والمساءلة.

■ **كن مخلصاً للمهمة الموضوعة عليك:** اجعل من توصيل محبة يسوع إلى الآخرين من خلال الخدمة وأعمال التضحية أسلوب حياة في منزلك وعملك وكنيستك وأيضاً في أوقات المرح واللعب.

■ ١- اقض بعض الوقت يومياً مع الله

اكتب التعريف التالي على ورقة ملاحظات أو على هاتفك الذكي أو لوحتك الذكية واقراه عندما تستيقظ في الصباح وقبل ذهابك إلى الفراش. لا تحاول حفظه، فقط اقراه بروح الصلاة واسمح لحقيقة سيادة الله أن تناسب بلطف إلى روحك.

«سلطان الله هو تلك السمة التي تفصل إله الكتاب المقدس عن كل آلهة الأديان والفلسفات والأفكار الأخرى»

عندما نقول إنّ الله هو صاحب السلطان، فإننا نعلن سيادته على كل ما في الحياة والواقع، وأنّه كلي المعرفة، وكليّ القوة، وأنّه هو ملك الملوك ورب الأرباب وله السلطان المطلق على الزمن والخلود. لا شيء سيحدث في حياتي اليوم إلا إذا كان هو قد قرّر حدوثه أو سمح به من أجل خيري في نهاية الأمر.

إلى جانب هذا التعريف، اكتب رومية ٨: ٢٨ وتأمل في هذا الوعد المدهش. ثم اكتب الآية من سفر التكوين ٥٠: ٢٠ في الورقة نفسها كتذكير لك بأن الظروف والصعوبات الحالية ليست هي القصة الكاملة. في كل مرة تقرأ هذه الآيات، سل نفسك: «ما الأمر الصالح الذي أبرزه الله في حياتي اليوم؟»

«وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ

الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ»

رومية ٨: ٢٨

«أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَا اللَّهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا لِي كَمَا يَفْعَلُ كَمَا الْيَوْمَ

لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا.»

تكوين ٥٠: ٢٠

انضمّ إليّ في جعل الصلاة الآتية صلاتك الخاصة خلال السبعة أيام القادمة:

سيّدي الرب، ملك كل الخليقة ورب كل ما هو مرثي وغير مرثي في كل مكان وزمان،

– أريد أن يملك سلطانك على قلبي كما يملك على كل الكون. علمني أن أخضع لقيادتك ومشورتك الحكيمة كما تخضع لك ملائكة السماء بفرح وبهجة.

- ساعدني أن أؤمن أنك صالح وأنك صاحب السلطان حتى أرفض القلق، عالمًا أنك ستجعل كل الأشياء تعمل معًا لخيري بما فيها تلك الأشياء التي لا أفهمها أو تلك التي تبدو غير عادلة.

سيدي الرب، شكرًا لك من أجل يسوع، الذي هزم الموت والخطيئة والشيطان من خلال موته وقيامته الخارقة للطبيعة. إنني أعتز بك ربي يسوع كملكي وإلهي ومخلصي وصديقي الأمين! آمين.

♦ ما هي الظروف الحالية التي تسبب لك القلق والهم؟

♦ هل تحاول التعامل مع الوضع والتحكم به؟ بأي طريقة؟

♦ دع قلقك بين يدي ملك الكون واستسلم له. اطلب من الله الصالح أن يساعدك حتى تؤمن في أنه قد سمح بهذه الظروف وأنه سيستخدمها لخيرك في نهاية المطاف.

■ ٢- اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين

اقرأ كولوسي ١: ١٦-١٨.

«فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءً كَانَ عَرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبِدَاءُ، بِكْرٌ مِنَ الْأُمُوتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مَتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ.»

♦ ما الذي نتعلمه عن سيادة المسيح وسلطانه من هذا المقطع؟

♦ الاستسلام للمسيح هو أحد الطرق التي نستجيب بها لسلطان المسيح. من الذي تحتاج إلى أن تطلب منه مساعدتك في رحلتك لتعيش حياة الاستسلام الكلي؟ شارك أحد أصدقائك واطلب منه المساعدة ثم اقضوا بعض الوقت في الصلاة معًا.

■ ٣- كن مخلصاً للمهمة الموضوعة عليك

♦ هل يوجد أي أمر يطلب الله منك القيام به يتطلب منك أن تستسلم له؟

اقض بعض الوقت في الصلاة والتفكير في هذا السؤال. ثم طع ما يكشف الله لك.



6

قداسة الله



«اتَّبِعُوا السَّلَامَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي
يَدُونَهَا لَنْ يَرَى أَحَدُ الرَّبِّ.»

(عبرانيين ١٢: ١٤)

قداسة الله

ربما تُفكر في الرهبان والشموع. وربما يتبادر إلى ذهنك السير على الأقدام منفردًا في الغابة أو على محاذاة شاطئ المحيط. كانت الصورة الذهنية التي تتبادر إلى ذهني كلما تحدّث شخص ما عن القدااسة هي لكتب مقدسة كبيرة سوداء وأثواب الكهنة الفضفاضة. التقيت أناسًا يقولون عن أنفسهم إنهم قديسون، بينما اعتقدت أنهم غريبو الأطوار. لست متأكدًا من مدى وضوح هذا المفهوم عند الكثير من الناس.

وتكمن المشكلة مع هذا الأمر في أننا إذا كنا لا نعرف ماذا تعني قداسة الله، فلن نعرف أبدًا من أين نبدأ عندما يقول لنا إننا يجب أن نكون قديسين كما أنّ هو قدوس. وسأشارك أربع قصص محددة من طفولتي من شأنها أن تسلط بعض الضوء على مفهوم القدااسة. لا تحاول أن تجد التشابه الدقيق بين هذه القصص والحقائق الروحية المعروفة. فما أريد منك أن تلاحظه هو بعض القواسم المشتركة التي ساعدتني على استيعاب هذا المفهوم السامي والنبيل.

■ قميص الفريق

قادني بهدوء في الممرّ المظلم أسفل صالة الألعاب الرياضية حيث رددت الجدران صدق حديثنا. كان يأخذني في جولة في أعماق مدرسة لينكولن الثانوية حيث مررنا بقاعة مهجورة أدت بنا إلى باب ذي أسلاك كالحقفص تقبع خلفه غسّالة ملابس ومجفف ورائحة قوية صادرة عن سوائل التبييض والمنظّفات.

كان هذا هو قدس الأقداس الناصع النظافة والمحروس بعناية. لم يكن مسموحًا لأي شخص بالتواجد هناك، ولكنني كنت بصحبة مدرّب فريق المدرسة لكرة السلة. وكان على الحائط البعيد هناك رفّان أعلاه مغطى بمجموعات مرتبة وأنيقة من قمصان اللعب الزرقاء، بينما كان الرف الأسفل مخصّصًا للقمصان البيضاء.

تمّ طي كل قميص بحيث يظهر رقم اللاعب المكتوب باللونين الأزرق والذهبي. اختار المدرب أحد القمصان وفك طيّاته وسمح لي بأن ألمسه.

كان القميص مصنوعًا من خامة خفيفة تسمح بمرور الهواء. «إنها ماركة ساندينايت» همس المدرب «إنّه أفضل إنتاج لهم». قال لي بينما كانت أصابعي تتحسس الرقم على القميص، إنه من أصل ألف وخمسمئة طالب، ينال اثنا عشر طالبًا فقط كل عام شرف ارتداء هذا الزي وتمثيل فريق الأسود العظيم.

حظت عيناوي من الرهبة بينما واصل المدرب حديثه: «إذا كنت تنوي أن تعمل بجد وتكرّس نفسك للتدريب بتركيز، فستكون لديك فرصة جيّدة لتحصل على واحد من هذه القمصان.» توقّف المدرب عن الحديث لبرهة ليدعني أتخيل الأمر ثم قال ما كنت أعرفه مسبقًا: «هذا الزي يعني الكثير هنا». ثم أخذ الزي وقال وهو يطويه ويعيده لمكانه بطريقة بدت وكأنه يضيف مزيدًا من السحر إلى تلك اللحظة: «بعد ارتداء هذا الزي، لا يمكنك أبدًا أن تأخذه معك إلى المنزل. ففي اللحظة التي تذهب فيها إلى الدش، نأخذ نحن الزيّ لنغسله ونطويه ونعيده إلى هذا الرف.

وهذه القمصان هي محفوظة لأولئك المختارين لينالوا شرف ارتدائها، ولا يمكن أن تغادر مبنى المدرسة أبدًا.»

■ الممر الذي لا يمكن عبوره

كانت أطراف مدرج الكنيسة مرصعة بالزجاج الملوّن، بينما علّق صليب ضخّم مصقول بعناية بأسلاك تدلّت من السقف. كان ارتفاع الصليب حوالي ثمانية أمتار، وكان معلقًا فوق المذبح. أما أمام المذبح، فقد كانت المقاعد مقسومة إلى قسمين يفصل بينهما ممرٌ واسع في المنتصف متعامدًا مباشرة مع الصليب.

كنت ألاحظ في كل مرة أخذني والديّ إلى الكنيسة طقسًا معتادًا. كانت والدتي تتجه إلى بداية الممر في اتجاه الصليب ثم تتوقف وتحنني باحترام قبل أن تتجه يمينًا أو يسارًا لتجلس على أحد المقاعد وتركع لتصلي.

ولأنني كنت صبيًا صغيرًا فطينًا، كنت ألاحظ كل شخص يمرّ في الممر، وينظر إلى الصليب ثم ينحني ويرسم علامة الصليب. وحتى في يوم السبت، عندما كان عامل النظافة ينظف المقاعد، كان في كل مرة يصل فيها إلى الممر يتوقف وينحني، ثم يستأنف التنظيف.

قررت أن في هذا الممر شيئًا مميّزًا.. لا يمكنك أبدًا عبوره من دون أن تنحني أمام المذبح والصليب. فلا بد أنه أمر جيّ. كان الأمر يكتنفه الغموض حتى إنه أثار في فتى صغير وعنيد مثلي.

وفي بعض الأحيان، عندما لم يكن والديّ منتبهين، كنت ألعب الغميضة مع أصدقائي في حرم المذبح، وبينما كنا نركض كالمجانين في أنحاء الكنيسة، كنا نتوقف لوهلة بشكل غريب قبل أن نتوجه إلى المذبح في كل مرة نعبر فيها هذا الممر. لم نجرؤ على أن نخطو خطوة عبر الممر من دون تقديم الاحترام الواجب لأسباب لم نكن نفهمها.

■ كأس شراب واحد كل عام

وصلنا إلى المنزل في وقت متأخر بعد منتصف الليل عائدين من خدمة ليلة الميلاد. وكانت أناشيد الميلاد ما تزال ترنّ في أذنيّ، وكنت قد استمتعت بالزينة وأجواء الميلاد على ضوء الشموع في الكنيسة. وكنت مندهشًا لقدرتي على فهم كلمات الأناشيد.

عند دخولنا إلى المنزل، كانت والدتي قد أعدت أكوابًا من الكعك والخبز الطازج، لإضافة إلى صوانٍ ممتلئة بالجبن واللحوم وجميع أنواع الحلويات الخاصة بالمناسبة. كانت الهدايا مكدّسة تحت الشجرة، في انتظار أن تُفتح. كان الشعور بالبهجة والإثارة يملأ المنزل.

من بين كل هذه التقاليد العائلية المتوقعة من خدمات الكنيسة والأطعمة الخاصة وتبادل الهدايا، ظل تقليد واحد يشغل بالي باستمرار. ففي كل عام، كانت أمي تُخرج صينية صغيرة عليها كؤوس طويلة ممتلئة بالشمبانيا. كنت أبلغ أحد عشر أو اثني عشر عامًا في ذلك الوقت، وكان الذهول يتملّكني لتمكّني من شرب بعض الكحول بشكل فعلي.

كان الأمر ممتعًا، لكنني تساءلت بينما كنت أشرب كأسني: أين تذهب تلك الكؤوس بقية السنة؟ لم تُستخدم تلك الكؤوس قط في أية مناسبة أخرى. كنت أحصل على جرعة الشراب الخاصة تلك مرة واحدة فقط كل عام مع عائلتي في عشية عيد الميلاد مع الأطعمة اللذيذة والهدايا المغرية. لم يمائل أي وقت آخر من السنة تلك اللحظة القصيرة.

■ ضربة خاتم في الفم

كنت في السادسة أو السابعة من العمر، مستقلًا السيارة مع أسرتي في رحلة طويلة. شعرت بالملل بسبب المسافة الطويلة وتعكّر مزاجي. كان ذلك قبل انتشار مقاعد الأطفال المزوّدة بأحزمة الأمان، ولهذا كنت حرّ الحركة في السيارة. وبينما كنت أنحني على المقعد الأمامي وأزعج أمي وأبي، طلب مني أبي للمرة العاشرة أن أجلس. فجاء ردّي بـ «لا» بطريقة شديدة الوقاحة. كنت أتطلّع لأشاهد ردّة فعل أبي، الأمر الذي جعلني غافلاً عن الحركة التي تحدث على يميني. طارت يد أمي في استجابة غريزية لوقاحتي الشديدة لتصفعني على وجهي فاصطدم الخاتم الذي كان ترتديه بأصبعها بأسناني الأمامية وشفتي.

هزّني هول المفاجأة أكثر من الألم الذي سبّبه الصفع فنجلست والدموع في عيني وآثار الصدمة على وجهي، لقد كان عقابًا فورًا. عليّ هنا أن أوضح لك أمرًا هامًا: كانت أمي امرأة رائعة وطيبة وحنونًا. لم أنتعرض لسوء المعاملة على الإطلاق في عائلتي قبل هذا الحدث أو بعده، ما جعل ردّ فعلها في ذلك اليوم أمرًا لا يُنسى.

لم يكن هناك أي شك في ذهني في أنني قد أثرت غضبها حقًا وأنتني استحق هذا الرد. وأنا متأكد من أنها كانت متضايقه جدًا. لم نتحدث مدة حوالي الساعة، لكنني تعلمت للتو أن هناك حدودًا واضحة لكيفية التحدث مع والدي، وأنه لن يتم التسامح أبدًا مع عدم الاحترام. كنت قد انتهكت هذا الحد غير المرئي وتلقيت عواقب فورية مؤلمة. لم أتجاوز ذلك الخط مرة أخرى في ما يتعلق بالتمرد والاحترام.

■ كيف نفهم القداسة

ما هي النقطة المشتركة بين القصص أعلاه؟ أي منها تسلط الضوء على مفهومك للقداسة؟ سواء أكنت قد فكرت في مفهوم القداسة بشكل جدي أم لا، فمن المؤكد أن لديك تصورًا جزئيًا عنها على الأقل. هل القداسة هي الثوب الفضفاض والشموع والطقوس الغريبة؟ هل تتعلق القداسة بالقوانين والقواعد الصارمة؟ هل تتعلق بأشخاص وأماكن ومناسبات خاصة؟ ما الذي نعنيه عندما نقول إن الله قدوس، أو إنه يريد منا أن نكون قديسين؟

يقدم القاموس تعريفات لكلمة «مقدّس» على أنه يشير إلى شيء «مميّز»، «منفصل»، و«المقدّس» هو عكس المباح أو الشائع أو العادي. تعني القداسة أن تكون مختلفًا ومتميزًا وفريدًا من نوعك. وتشير جذور كلمة مقدّس أي «هولي» **holy** في اللغة الإنجليزية إلى كل ما هو صحّي وسعيد وعادل وكامل وبلا فساد. وتعني كلمة مقدس حاليًا «ذا نقاء الروحي، مكرّسًا، غير ملوَّث بالبشر، بلا خطيئة».

وعند تطبيق تلك المعاني على الله، فإن القداسة هي التي تميّزه عن الجميع وعن كل شيء آخر. إنها تلك السمة التي يكتنفها الغموض الرهيب في طبيعة الله الجوهرية وكيونته ومعدنه الأخلاقي، وهي صفة أساسية فيه تجعله مختلفًا ومتميزًا وفريدًا عن كل شيء آخر وعن كل شخص في الكون.

نرى هذا بشكل واضح في الكتاب المقدس بعد أن شقَّ الله البحر الأحمر ونظم موسى أغنيةً لتذكير شعبه بهذا الإله غير المرئي الذي خلَّصهم. لقد رأى الشعب بالفعل السحابة وعمود النار وجدران المياه التي سمحت لهم بالمرور، ثم رأوا تلك الجدران تنهار وتغطي أعداءهم. استعرض موسى هذه الأحداث المذهلة في أغنيته ووصل إلى ذروة التسبيح من خلال الأسئلة البلاغية:

«مَنْ مِثْلُكَ بَيْنَ الْإِلَهَةِ يَا رَبُّ؟ مَنْ مِثْلُكَ مُعْتَزِّلاً فِي الْقَدَاسَةِ مَخَوْفاً
بِالتَّسْبِيحِ صَانِعاً عَجَائِبَ؟»
(خروج ١٥: ١١).

الجواب على أسئلة موسى، بطبيعة الحال، هو «لا أحد!» ولكن لاحظ بعض الكلمات التي استخدمها لوصف تفرّد الله. الأولى هي معترز. تعني الكلمة في الأصل العبري حرفياً «متوسّع» في القداسة. فكل ما نراه أو نعرفه عن الله يتضخم عندما ننظر إليه من خلال عدسة القداسة.

هناك أشياء أخرى قد تعكس قداسة الله، تمامًا كما يقول انعكاس صورتك في المرآة شيئاً ما عنك، ولكن انعكاسك ليس أنت.

ولا يمكن أن يتخطى أي شيء نستخدمه لتوضيح قداسة الله الطريقة التي نستخدم بها مرآة لتحصل على صورة لنفسك. إن قداسة الله، مثل صفاته الأخرى، في فئة خاصة بحد ذاتها. فهو ليس أكثر قداسة ست أو عشر أو مائة أضعاف من أفضل شخص تعرفه. فالله نفسه هو فئة مختلفة تمامًا، وهو العضو الوحيد في هذه الفئة.

تشير قداسة الله إلى جلاله ونقائه الأخلاقي، إضافة إلى عظمته و«تفرّده». تشمل القداسة الغياب المطلق للشر في شخصيته. تشمل قداسة الله كل ما هو نقيّ وكامل وبارّ وصحّي في الكون وتعطي تعريفًا له. وتستحق قداسة الله منّا الإجلال والتبجيل والاحترام. يصف توزر هذه الصفة الإلهية بهذه الطريقة:

ما من شيء نعرفه يشبه القداسة الإلهية. إنها تقف بمعزل عن كل شيء غيرها، وهي فريدة من نوعها، ولا يمكنك الاقتراب إليها أو استيعابها، ويتعذر اكتسابها أو الوصول إليها. لا يمكن للإنسان الطبيعي أن يراها. قد يخشى قوة الله وقد يُعجب بحكمته، ولكن لا يمكن له حتى أن يتخيل قداسته

يذكرنا توزير بأننا لا نستطيع، بمواردنا المحدودة، أن نفهم نقاء خالق الكون الرائع والمطلق الذي لم تلوثه خطيئة. وحتى مع مساعدة الله، سنجد أن قداسته تسحقنا بسرعة أكبر بكثير من قدرتنا على الاستيعاب.

الله قدوس، وهو مختلف ومتفرد. وهو في تفردّه هو الحبّ المحض، وهو كمال الأخلاق، وبلا خطيئة. يأتي كل ما يمكننا تخيله أو فهمه عن الصحة والحياة والسلام والجمال في مرتبة متدنية بالنسبة إلى قداسة هذا الإله الذي يختلف كثيرًا عن أي شخص أو أي شيء نعرفه.

هذا هو الجانب التصوريّ من الأمر. فكيف يمكن لقداسة الله، إذا كانت غير مفهومة في نهاية المطاف، أن تؤثر في حياتك وحياتنا؟ تترك لنا حقيقة القداسة السامية تلك سؤاليين حاسمين نسعى إلى حلّهما في ما تبقى من هذا الفصل:

- كيف يكشف الله عن قداسته كيما يتسنى لي ولك أن نفهمها؟
- كيف يمكنني أن أُعبّر عن قداسة الله في العالم؟

كيف يكشف الله عن قداسته؟

ليس استكشاف قداسة الله مجرد وسيلة لطيفة لمعرفة المزيد عن الله. فهناك مسؤوليات تنتج عن الفهم الأعمق لها. إذ ينبغي لمواجهتنا لقداسة الله أن تؤدي إلى انعكاسها على حياتنا بشكل واضح. فكل شخص يمتلك الوعي الكافي ليطلب من المسيح أن يسكن قلبه يمكنه أن يسمع الله يقول:

«كَأَوْلَادِ الطَّاعَةِ لَا تُشَاكِلُوا شَهَوَاتِكُمْ السَّابِقَةَ فِي جِهَاتِكُمْ، بَلْ نَظِيرِ
الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ. لِأَنَّهُ
مَكْتُوبٌ: «كُونُوا قِدِّيسِينَ لِأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ».
(بطرس الأولى ١: ١٤-١٦).

يعلن الله عن قداسته من خلال سبع طرق على الأقل: الناس، والأماكن،
والناموس، والأنبياء، غضبه ودينونته، وابنه، وكنيسته.

■ إعلان الله عن قداسته من خلال الأشخاص

يقدم لنا ثلاث من أعظم الشخصيات في الكتاب المقدس، وهم
موسى وداود وإشعيا، أمثلة عظيمة للطريقة التي تؤثر بها قداسة
الله في حياة الأشخاص.

دعا الله موسى من البرية، حيث كان يقضي فترة تدريبه، كي يقود
الشعب لاجتياز تلك البرية نفسها. سمع موسى صوتاً من داخل
العليقة المشتعلة يقول: «اخلع حذائك لأنك على أرض مقدسة»،
وقبلها بلحظات، كانت تلك البقعة الصغيرة من الصحراء مجرد رمال
عادية، والآن أصبحت مكاناً مقدساً. ما الذي أحدث الفرق؟ إنه وجود الله.
في تلك اللحظة مع موسى، لم يكن الله «كليّ الحضور» فحسب مثلما
هو حاضر في كل مكان وزمان. بل كان الله حاضرًا بشكل شخصي
بطريقة استدعت من موسى أن يعترف بوجود الله ويتصرف على هذا
الأساس. وتسري رعشة في جسدي عندما أدرك أن الله موجود. وينبغي
أن نتجاوب مع هذا الامتياز بخلع أحذيتنا وإحناء رؤوسنا والهمس
بعبارات التسبيح.

يوصف داود بأنه رجل حسب قلب الله. لقد تلقى وعوداً ليس لفترة
حياته فحسب، بل تمتد إلى الأبد. قيل له إن واحداً من أحفاده سيكون
دائماً على العرش، بما في ذلك المسيح الذي سيحكم بشكل دائم.
ونحن نجد ابتداءً من صموئيل الثاني || المثل تلو الآخر لقداسة الله
في مواجهة خطايا داود المتكررة ونقائصه.

حفظ الله قداسته مع داود في الطريقة التي حمّل بها الملك مسؤولية أخطائه كما في الطريقة التي تعامل بها مع داود بكرم ونزاهة على حد سواء. لا يخون الله نفسه عندما يتعامل مع شعبه. فبغض النظر عن نحن، سيكون علينا أن نتحمل العواقب عندما نكون غير مخلصين وعندما نتعدى على قداسة الله. وفي الوقت نفسه، تضمن قداسة الله أن تأتي هذه العواقب دائمًا ومعها العدل والنعمة والحب.

وإشعياء شخصية أخرى من شخصيات العهد القديم الكلاسيكية. كانت حياة الاستقرار في طريقها للانهايار بالنسبة إلى مملكة يهوذا عندما توفي عزّيّا الملك. وكان الأنبياء صارمين أثناء تلك الفترة الانتقالية. إذ كان الأنبياء ممثليّ الله بالنسبة إلى شعب كما كانوا يمثلون الشعب أمام الله. توجّه إشعياء إلى الله في صلاة من أجل التوجيه والإرشاد، فحصل بدلاً من ذلك على شيء لم يكن ليحلم به. جلبه الله وجهًا لوجه مع قداسته.

يصف النبي ذلك اللقاء المغيّر للحياة في إشعياء ٦: ١-٧. لم يحاول إشعياء أن يصف ما رآه من الله نفسه. بل وصف فقط رداء الله والملائكة الذين تجمعوا حول العرش. صرخت الملائكة «قدوس، قدوس، قدوس رب الجنود!» يمثل التكرار في اللغة العبرية القدر الأقصى من الصفة المذكورة، أو منتهى التوكيد عليها. الله قدوس، قدوس، قدوس، ولا يضاھيه أحد. وفجأة، لم يعد يهم إن كان إشعياء نبيًا أو مستشارًا للملوك أو كاتبًا عظيمًا. لقد انكشف عنه الغطاء فصرخ، «الويل لي! لا أستطيع أن أكون هنا!» أزمة موت الملك عزّيّا هي لا شيء مقارنة مع هذا الموقف! فلا يمكن أن يُعد لقاء الله حدثًا عارضًا.

عندما نبدأ برؤية الله كما هو حقًا، وليس كما نتخيله، تبدأ التجربة صعودًا ثم تتجه إلى الداخل، نرى الله ثم نرى أنفسنا. عندما نحصل على نظرة واضحة لله، نتوقف عن مقارنة أنفسنا بالآخرين لأننا ندرك كم نحن فاشلون أمامه. وبدلاً من محاولة معرفة إلى أي مدى يمكننا الاقتراب من الخطيئة من دون أن نخطئ فعلًا، نبدأ بمحاولة معرفة كيفية الاقتراب من نقائه أكثر.

بقدر ما هو أمر مبهج أن نرى الله حقا كما هو، إلا أن رؤيتنا لأنفسنا على حقيقتها عادة ما يكون أمرا مرعبًا. ولهذا نحتاج إلى معرفة صلاح الله، إضافة إلى قداسته. عندما ندرك أنه يرانا بوضوح وبثبات، يرى البثور والجروح والشور، تصدنا هذه الحقيقة فنصرخ مثل إشعياء، «الويل لي! لا أستطيع أن أكون هنا! ولكننا هناك بالفعل! والله العظيم في قداسته هو عظيم أيضًا بنفس المقدار في صفاته الأخرى. وهو يتيح لنا أن نعرف قداسته حتى نتمكن من إدراك مدى حاجتنا إلى حبه ورحمته. هذا هو بالضبط ما شهده إشعياء.

«فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا مِمْلَقٍ مِنْ
عَلَى الْمَذْبَحِ وَمَسَّ بِهَا فَمِي وَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ
فَأَنْتُزِعَ إِيْمُكَ وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيئِكَ».
(إشعياء ٦: ٦-٧).

وبمجرد أن حصل النبي على الإدراك الداخلي لقداسة الله ولخطيئته تلقى تحولًا داخليًا. لكن العملية لم تكتمل تمامًا. لم يكن تحول إشعياء يهدف إلى أن يظل في الداخل.

«ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ: «مَنْ أَرْسَلُ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟»
فَأَجَبْتُ: «هَتَّنَدَا أَرْسَلِنِي».
(إشعياء ٦: ٨).

ولهذا فإن من المهم جدًا أن نرى الرب بوضوح. إذ تؤدي رؤية دقيقة إلى الله إلى الأعلى، وهو عالٍ وقدس، إلى رؤية داخلية ودقيقة لنفسك وإدراك نقائصك، فتدرك احتياجك الشديد إلى غفران الله، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى رؤية خارجية إلى حياتك طبقًا لخطط الله بدلاً من خطئك أنت، فتدور حياتك حول احتياجات الناس بدلاً من أن تدور حول عالمك الصغير.

إعلان الله عن قداسته من خلال الأماكن

عندما يكشف الله عن نفسه في مكان معين، يصبح هذا المكان مقدّساً. رأينا هذا في زيارة الله لموسى من خلال العليقة المشتعلة، وأثناء فترة الخروج. ملأ الله البرية بالعديد من الأماكن المقدسة مراراً وتكراراً، وكشف عن نفسه من خلال عبور البحر الأحمر، وعمود النار المشتعل ليلاً وعمود السحاب نهاراً، إضافةً إلى لقائه المطوّل مع الشعب عند جبل سيناء. كان الشعب يخيم حول الجبل المقدس بينما يصعد موسى للقاء الله. أعطى الله تعليمات موسى لبناء خيمة كبيرة، قابلة للنقل لتمثل حضور الله وسط شعبه. كانت الخيمة مكاناً مقدّساً تمّ تخصيصه لاستخدام الله وحده. لم يُسمح لأي شخص بالدخول من دون إذن خاص. فالاستهانة بحضور الله أو التجاسر على قداسته أمر خطير. كان مسموحاً لأولئك الذين هم على استعداد لاتخاذ قداسة الله على محمل الجد فقط بالدخول إلى أجزاء معينة من الخيمة.

وبعد سنوات، عندما بنى سليمان الهيكل في أورشليم، كان عليه أن يتبع نظاماً صارماً في أثناء التحضير والبناء، نظاماً من شأنه أن يؤدي إلى نزول الله وحضوره في ذلك الهيكل الرائع. تلاشت روعة الهيكل وجماله في الخلفية عندما حلت قداسة الله في المكان.

وعندما تنتقل إلى العهد الجديد، نقرأ عن الكنيسة التي تجتمع لغرض واحد هو العبادة (أعمال ٤). كان التلاميذ يشكرون الله لامتياز الألم من أجل اسمه عندما بدأ المكان الذي كانوا يجتمعون فيه يهتز. ملأت قداسة الله المكان، ومنحتهم الجرأة ليجاهروا بكلمة الله أمام العالم.

وأخيراً، في رؤيا ٤ تأتي إلى وصف الله في السماء، المكان مطلق القداسة. يحاول الرسول يوحنا أن يصف ما لا يوصف. تتجمع المخلوقات المذهلة والعجيبة حول عرش الخالق هاتفة.

«فُدُوسٌ، فُدُوسٌ، فُدُوسٌ، الرَّبُّ إِلَهُهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي

كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي»

(رؤ ٤: ٨).

وتتكرّر الترنيمة اللانهائية مثلما سمعها إشعياء في رؤيته، ولكن هذه المرة تصدح في جو السماء النقي، حيث يتردد صداها في داخل كل من يستمع إليها.

وهنا على الأرض، تسمّى الأماكن التي أظهر فيها الرب ذاته بالأماكن المقدسة، لأن الله جعل نفسه معروفاً هناك. أما السماء فهي أكثر من مجرد مكان مقدس؛ إنها بيئة مقدسة. ومعاينة قداسة الله في تلك الأماكن الصغيرة من هذا العالم جزء من إعدادنا للأرض المقدسة الحقيقية في السماء. فأينما حضر الله وأينما كشف عن نفسه، سواء أكان معبداً جميلاً، أم نبتة صحراوية، أم في السماء، يصبح هذا المكان مقدساً بشكل تلقائي.

■ إعلان الله عن قداسته من خلال الناموس

أعلن الله عن قداسته من خلال الناموس. تتحدث الوصايا الأربع الأولى من الوصايا العشر تحديداً عن قداسة الله. وبما أن الله هو وحده القدوس بالحق، لا يمكن أن يكون لنا آلهة أخرى أمامه. لا يمكننا أن نستعين بقداسة الله بإعطاء مكان الله لأي شيء في حياتنا. ينبغي أن نذكر اسمه بأقصى قدر من الاحترام والتقدير. وعندما يقول الله عن أحد الأيام أنه يوم مقدس (السبت)، إذًا يكون مقدساً. وملخص ناموس الله هو تركيز اهتمامنا على قداسته.

يتجلى هذا المبدأ في تفاصيل مُضنية في الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس، ولا سيما سفر اللاويين، حيث يشرح الله تفاصيل العبادة. من السهل أن نتخطى اللاويين عندما نقرأ الكتاب المقدس. لم أهتم بدراسة أمور الغسل التطهيري والذبائح وقواعد الختان وتعليمات الطهو وتناول الطعام إلى أن بدأت في التعامل مع قداسة الله على نحو جدي. لقد اكتشفت أن هذه القوانين ليست تعسفية، بل أعطيت لهم لسبب. فالخالق يعرف أشياء عن الحياة لن يكتشفها البشر سوى بعد قرون. أعطى الله لشعبه القواعد التي منعت الأوبئة الخطيرة قبل فترة طويلة من اكتشافنا بكتيريا الإيكولاي وأنواع البكتيريا الأخرى وطرق انتشار الأمراض.

كشفت دراسة حديثة عن حقيقة غريبة: يصل دم الطفل حديث الولادة إلى قدرة عالية من التخثر في اليوم الثامن بشكل خاص، وهو اليوم الذي عينه الله للختان. فمن كان ليعرف هذا؟ وحده الله القدوس.

كل قوانين الله هي انعكاسات لقداسته. لماذا تعتقد أنه يعطي المؤمنين في يومنا هذا تعليمات صريحة جدًا حول النقاء في الحياة الجنسية؟ لأننا نهمه. نحن نجول في برية ثقافية وأخلاقية حقيقية وخطرة لا تقل خطرًا عن التي اجتازها شعب الله. وكما فعل الله معهم، أعطانا المبادئ التوجيهية والحدود للتأكد من أننا نحصل على حياة جنسية جيدة، وللتأكد من أننا لا نصاب بالأمراض، وأنها تبقى ضمن حدود واضحة. يقول الله رجل واحد وامرأة واحدة في علاقة واحدة مدى الحياة. نجح الأمر وسيظل ينجح. ولكننا نعيش في عالم (وجزء كبير من الكنيسة) تخلى عن التصميم الذي وضعه الله. وها هو يواجه عواقب مأساوية.

غالبًا ما ألتقي مؤمنين بالمسيح يقولون: «أنا لا أفعل هذا الأمر»، فأسأل: «ماذا تعني بقولك إنك لا تفعل هذا الأمر؟» فيجيبني «أنا أؤمن بالكتاب المقدس كما تعلم، وطلبت من المسيح أن يدخل إلى حياتي، لكنني أرى مسألة النقاوة الجنسية وكأنها ممارسة رجعية من العصر الفيكتوري. لا يمكنني أن أطيع ذلك.» هل تدرك ما يعنيه هذا في علاقتنا بالله؟ لقد وصلنا إلى اليوم الذي فيه نختار أي الوصايا سنطيع وأيها سنرفض، لأننا جنس متفوق جدًا ومختلف وفريد من نوعه، ونحن حكماء جدًا حتى إنه يمكننا أن نخبر الله بما هو أفضل لنا! ربما لا نقول ذلك بكلماتنا، لكننا كثيرًا ما نقوله بأفعالنا.

■ إعلان الله عن قداسته من خلال الأنبياء

إشعياء هو واحد من مجموعة مميزة اختارها الله لتضم ممثلين له. لم يكشف الله عن قداسته للأنبياء فحسب، بل كشف عن قداسته من خلالهم أيضًا. كانت مهمّة النبي بسيطة: أن يحصل على الحقيقة من الله في ما يتعلق بقداسته وصلاحه في المقام الأول، ومن ثم توصيلها إلى الناس بمحبة وقوة.

قد تختلف رسائل الأنبياء، ولكن موضوعاتهم تظل ثابتة. لقد وقفوا في مواجهة انحراف شعب الله إلى عبادة الأصنام. فكان النبي تلو الآخر ينتهر الشعب منادياً «توقفوا عن الذهاب وراء آلهة أخرى!»

ما الذي تنتهكه الوثنية؟ إنها تتعدى على قداسته الله. يُعامل الوثنيون الله بطريقة بوفيه الأديان. لكن الله لن يتأقلم مع الولاءات المقسّمة والعبادة بدوام جزئي. لن يقبل الله أن يكون له دور معين يؤديه من بين عدة أدوار وعدة آلهة. لن يقبل حتى أن يكون الأفضل بين كثيرين. إنّه في فئة مقدسة بحد ذاته. وكما يتوقع الأزواج والزوجات الالتزام والتفرغ بعضهم لبعض، فإن الله يتوقع التزام شعبه به بدوام كامل. هذا هو السبب في وصف الوثنية في كثير من الأحيان في الكتاب المقدس بالزنى الروحي. هكذا ينظر الله إلى عدم الإخلاص الروحي. وقد كان ذلك هو موضوع رسالته المتكررة من خلال الأنبياء.

■ إعلان الله عن قداسته من خلال غضبه ودينونته

عندما يرفض الناس الاستماع إلى تحذيرات الأنبياء، يكشف الله عن قداسته مباشرة من خلال الغضب والدينونة. وعادةً ما تكون الآثار التي تترتب على ذلك مفاجئة ومدمرة وشبيهة بما واجهته مع والدتي عندما ردت بطريقة غريزية على عدم احترامي الصارخ لوالدي. كانت تلك ضربة مدوية لأنني لم استجب لعلامات التحذير، وبالتالي فإن الحكم كان سريعاً. حتى عندما جلست مشدوهاً، كنت أعرف أنها فعلت ذلك لأنها تحبني ولأنها ببساطة لن تسمح لأي شيء بإفساد علاقة الاحترام بيني وبين والدي. وبطريقة مماثلة، فإن غضب الله هو غضب تجاه أي شيء من شأنه أن يدمر أو يضر بمن خلقهم وأحبهم. فعندما نرى الدينونة في الكتاب المقدس، علينا أن نكون متأكدين من أنها تحدث لأن الله يهتم كثيراً ولأنه يحمي ويعزز قداسته.

وفي سفر يشوع، أعطى الله شعبه تعليمات واضحة تتعلق بما يجب القيام به بشأن الغنائم من أريحا بعد سقوط أسوار المدينة. فطمع رجل يدعى عخان في بعض الفضة والذهب ورداء اختلسها من المدينة. رغم أنه كان يعرف تعليمات الله، إلا أنه عصاها شكل صارخ

وسرق ما يريد. ونتيجة لذلك، انهزمت الأمة وتوفيت أسرة عخان بالكامل. إذا نظرنا إلى الجزء الأخير بعيدًا عن السياق، قد يبدو غضب الله قاسيًا ودينونته غير عادلة. ففي مثل هذه اللحظات، ناطر بوضع أنفسنا في موضع الحكم على الله. فقداسته تختلف عن صفاته الأخرى في أنها قد تسبب الخوف والرهبه بالفعل، ولها الحق في أن تكون هكذا. فمن دون الفهم الصحيح لقداسة الله، لن نُقدّر تدخل نعمته ورحمته للدفاع عنا.

ونحن نرى هذا النمط نفسه في العهد الجديد مع حنانيا وسفيرة في أعمال ٥. لقد اختارا أن يسخرنا من المؤمنين الآخرين ومن قداسة الله وامتياز العطاء عندما كذبا بخصوص تقدمتهما. تعاملنا مع الله كشخص يُمكن خداعه قبل أن يكتشف الجميع أن الله لن يكون أبدًا موضع سخرية.

يحبنا الله كثيرًا حتى إننا عندما نختر أن نخطو خارج حدود القداسة. ونواجه العواقب التي تعمل كملزمة الحداد (كأداة تقويم) تساعدنا على تصحيح مسارنا حتى نقول، «إني مستسلم». وإذا كنت عنيديًا مثلي، فقد تكون التجربة صعبة لأن الملزمة (أداة التقويم) قد تصبح مُحكمة أو مشدودة جدًا قبل أن أبدأ في الانتباه. وغالبًا ما يستخدم الله مواردنا المالية وظروفنا وعلاقاتنا، وقد يستهدف مشاعرنا ووظائفنا وعائلتنا. وسيفعل كل ما يلزم للحصول على أكبر قدر من اهتمامنا إلى أن نعي ما يقصده عندما يقول: «كونوا قديسين، لأني قدوس.»

ربما لم يدرك مدرّب كرة السلة أنه كان يساعدني على فهم قداسة الله من خلال الطريقة التي علمنا بها احترام الزي الذي نرتديه. كان هذا الزي يُحفظ من أجل استخدام خاص ويُعامل بكل احترام، وكان المدرّب يغضب كثيرًا إذا استعار أيّ منّا قميص الفريق لارتدائه في المدينة. إذ كان يرى في هذا الفعل إهانة بالغة لاسم المدرسة. وكان عقاب اللاعب الذي يفعل ذلك هو الجلوس على دكة الاحتياط أو الطرد من الفريق. لماذا؟ لأنه إذا أصبحت هذه القمصان زبًا عاديًا للخروج والتنزه، ستفقد قيمتها ودورها الذي تلعبه في تذكيرنا بالامتياز والمسؤولية اللذين نتحلى بهما كأعضاء في الفريق.

تتضمن إحدى الطرق التي يصف بها الكتاب المقدس حياة المؤمن بالرب يسوع تعبير «وتلبسوا» الإنسان الجديد (راجع أفسس ٤: ٢٠-٢٦). نحن كمؤمنين بالمسيح نحمل اسمه. وهو مكتوب على ظهر القميص الخاص بنا «من أتباع يسوع». وتخبر الطريقة التي نعيش بها كممثلين عنه الآخرين بما نفكر حقًا بخصوص الله وكلمته، كما أنها تساعدنا على الاقتراب من المسيح أو الابتعاد عنه. ويأخذ الله الأمر على محمل الجد عندما يرانا الناس نعيش بطريقة لا تتفق مع كلمته. فسمعة ابنه على المحك. فحياتنا إما أن تكرمه أو أن تجلب العار على اسمه. ويؤدي عدم احترام قداسة الله إلى الغضب والدينونة، لأن معدن الله الحقيقي لا بد أن ينكشف بطريقة أو بأخرى.

■ إعلان الله عن قداسته من خلال ابنه

كما هو الحال مع صفات الله الأخرى، يأتي الكشف أو الإعلان الأكثر اكتمالاً عن قداسة الله من خلال ابنه يسوع. فقد أعلنت حياة يسوع بوضوح، منذ بدايتها وحتى نهايتها، قداسة الله. فعلى سبيل المثال، اقرأ عن حادثة التجلي في مرقس ٩: ٢-١٣ التي كشفت المسيح خلالها عن مجده وسطع منه ضوء مقدس. رأى التلاميذ مجد الله وأدركوا أن المسيح كان إنساناً كاملاً وإلهاً كاملاً.

كان الجزء الوحيد الذي لم يكن مقدسًا في حياة يسوع كلها موته. فعندما عُلق على الصليب، كان مغطى في تلك اللحظة بكل نجاستنا. هل سبق لك أن تساءلت لماذا صرخ، «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟» كان تخلي الله عن يسوع في تلك اللحظات من أجلنا نحن.

يحمي الله قداسته. فالغضب المقدس والدينونة ينتظران أولئك الذين لم يأخذوا معدن الله الأخلاقي على محمل الجد. لقد وُضع على يسوع خطيئتك وخطيئتي وخطايا جميع الناس في كل زمان ومكان. بل أصبح هو خطية من أجلنا وحوّل الأب وجهه بعيدًا عنه. وتتطلب تعديتنا ضد الإله القدوس تسوية مقدسة لا يمكننا أن ندفعها أبدًا، وما ترتب عليها كان موتًا غير مقدس، لأننا مهتمون جدًا لدى الله حتى إنه كان مستعدًا لدفع ثمننا. ولن يتنازل الله عن قداسته

لكنه من خلال المسيح أصبح راضيًا. لقد سمح لابنه أن يحمل خطايانا، ثم غطى خطايانا بدمه المسفوك كي نتمكن أنا وأنت غير المقدّسين من التمتع بعلاقة بالإله القدوس.

إعلان الله عن قداسته من خلال كنيسته

هنالك طريقة أخيرة يعلن بها الله عن قداسته، وهي من خلال كنيسته سواء أجمعت أم تشتتت. تذكر كورنثوس الأولى ٣: ١٦:

«أَمَا تَعَلَّمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللَّهِ وَرُوحُ اللَّهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟»

يتحدث الكتاب المقدس في هذه الآية بصيغة الجمع مخاطبًا الكنيسة. فجماعة المؤمنين المجتمعين لعبادة الرب هم هيكل الله وروح الله يسكن بينهم.

تتضمن الآية التالية تحذيرًا قويًا.

«إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللَّهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللَّهُ لَأَنَّ هَيْكَلَ اللَّهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ.»
(كورنثوس الأولى ٣: ١٧).

هيكل الله، أي شعبه، مكان مقدس تعهد الله بأن يحميه. أما أولئك الذين يؤذون الكنيسة فيطالهم الأذى. لكن يُحَسِّنُ بأولئك الذين ما زالوا ضائعين في العالم أن يكونوا قادرين على الاندماج في أي تجمع للمؤمنين كي يختبروا الإحساس بوجود الله وقوته وقداسته، لأنه يسكن وسط شعبه. وتستمر قداسة الله حتى عندما لا نجتمع معًا.

تقول آية أخرى في الرسالة نفسها:

«أَمْ لَسْتُمْ تَعَلَّمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمْ الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ؟ لِأَنَّكُمْ قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنِ. فَمَجِّدُوا اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمْ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ.»
(كورنثوس الأولى ٦: ١٩-٢٠).

تخاطبنا هذه الآية في النص الأصلي بصيغة المفرد. فقداسة الله تسكن في جسدي وجسدك في الوقت نفسه، حتى عندما نكون منفصلين. ويسكن روح الله الحي في داخل كل مؤمن بالمسيح عندما يذهب إلى العمل، أو عندما يبقى في المنزل، أو يلعب كرة القدم، أو يعمل على الانترنت، أو عندما يخرج للتسوق.

كيف نتجاوب مع قداسة الله؟

قبل أن يكون بمقدورنا الحديث بجديّة عن المقصود بالتجاوب مع قداسة الله، يجب علينا التغلب على اثنتين من العقبات الرئيسية أولاً. العقبة الأولى هي: إن كان الله قدوساً لدرجة أنه لا يمكنه النظر إلى الخطية، فكيف يمكن لأشخاص خطاة مثلنا أن يتمتعوا بعلاقة به؟ والحقيقة هي أننا كثيراً ما نشعر نفس شعور إشعياء قبل أن يدخل إلى محضر الله. إننا نعلم بشكل غريزي أنّ رؤية الله تعني المتاعب بالنسبة إلينا. فنحن نحب الظلام أكثر من النور، كما يقول الكتاب المقدس. نحن نعرف أن رؤية الله بوضوح تعني أنه بدوره سيرانا بوضوح، ولا يمكن لهذا أن يكون لصالحنا. لكننا مخطئون.

الجواب الذي يتغلب على العقبة الأولى بيننا وبين قداسة الله هو صليب المسيح. لقد اتُّخِذَت الترتيبات لكي نقترب إلى الله القدوس. لقد تم دفع ثمن باهظ تصريح بالاقتراب تحمّل يسوع ثمنها بالكامل كي يسلمه إليك مجاناً واسمك محفور عليها. لقد غطى يسوع خطيئتك بدمه عندما مات بدلاً عنك على الصليب. ولديك الآن تصريح مرور لا يُقدَّر بثمن للدخول إلى محضر الله القدوس. يمكنك أن تقبل تلك الهدية وتصير جزءاً من عائلته، أو يمكنك رفضها والبقاء خارجاً، بعيداً عن قداسة الله إلى الأبد، تائهاً في خطيئتك. إذا كنت قد قبلت تلك الهدية بالفعل، فستكون لديك الأبدية بأكملها لتكتشف العديد من الأسرار المثيرة عن نفسك وعن هذا الإله القدوس.

وعندما يبدأ المؤمنون بالتحمس لاكتشاف قداسة الله، تظهر عقبة أخرى في طريقهم على الفور تقريباً: إذا كانت الثقة بعمل المسيح على الصليب قد غطت خطايانا أمام الله وصرنا قديسين في عينيه،

فلماذا نواصل ارتكاب الخطيئة؟ الله قدوس ولا يخطئ أبداً، ونحن ندعى قديسين، ومع ذلك نرتكب الخطايا طوال الوقت. فكيف يمكن أن يكون هذا؟

قبل أن أجيب على السؤال، اسمح لي بأن أشجعك على الرجوع إلى بعض المراجع التي من شأنها أن تعطيك إجابات أكثر بكثير من المساحة المتاحة لدينا في هذا الكتاب. سيساعدك كتاب «معرفة الله» للمؤلف جي. آي. باكر كثيرًا. كما كتبت كتابًا بعنوان «معجزة تغيير الحياة»، وهو يشرح هذه العملية كما هي موضحة في أفسس ٤.

وباختصار، هناك ثلاث مراحل للقداسة كما نعرفها.

■ التبرير

في اللحظة التي تدرك فيها أن الله قدوس وأنتك أخطأت، وتتحول عن خطاياك، وتتكل على عمل المسيح على الصليب في دفع ثمن خطيتك، وتصلي لتقبل المسيح، تتبرر على الفور. هذه هي القداسة المركزية (كمقام). لقد أصبحت قديسًا بناءً على مكانتك في المسيح. إذ ينقر الله على زر «اشطب» فتختفي كل قائمة خطاياك. ثم ينقر على «لصق» فيلتصق بك بر المسيح. وهكذا كلما فتح الله الملف الخاص بك، يجد بر ابنه يخطيك.

■ التقديس

لكن إذا كنت مثلي، واستيقظت صباح اليوم التالي وأدركت أنك تزال تواجه الصراعات والإغراءات بالخطية (التجارب)، فهنا يأتي دور المرحلة الثانية من القداسة العملية، أو التقديس. فبمجرد وضع ثقتك في المسيح، يأتي روح الله ليسكن في داخلك. لكنك الآن تواجه معركة، فلديك أعداء هم ميولك وعاداتك، والعالم، والافتقار إلى معرفة بالكتاب المقدس، وغياب الشركة مع المؤمنين حولك، والشيطان نفسه. وسيستخدم الله الكتاب المقدس والروح الساكن في داخلك

والعلاقات مع المؤمنين الآخرين من أجل مساعدتك على النمو في معرفة حقيقية بالمسيح. ومع مرور الوقت، ستصبح مثله أكثر فأكثر. إنها عملية لا يمكن قياسها إلا بوحدات زمنية طويلة نسبيًا. ويمكننا أنا وأنت أن نتابع تطور القداسة في حياتنا من شهر إلى شهر أو من سنة إلى سنة. إنها رحلة صعود وهبوط، وأهم ما فيها هو التقدم الذي نحززه (تيموثاوس الأولى ٤: ١٥).

■ التمجيد

المرحلة الثالثة من القداسة هي أبدية. سنموت أنا وأنت ما لم يأت الرب ثانية قبل ذلك، وفي اللحظة التي نلتقيه فيها ستتوقف عملية التقديس فجأة. تُسمى هذه اللحظة بالتمجيد. سوف تكون مقدسًا بشكل دائم وإلى الأبد. وإذا كان لديك خلط بين هذه المراحل الثلاث للقداسة، فقد يُشعرك هذا بالإحباط الشديد.

رغم أن هناك عقبات أمام ممارستنا للقداسة، إلا أنه لدينا كل ما نحتاج إليه من أجل المضي قدمًا. هناك أمور لا بد أن تفهمها لكي تنمو في القداسة:

• إنها التزام نعيشه.

• إنها طريقة تفكير.

• إنها أمر علينا أن نطيعه.

• إنها موقف نطوّره.

تغطي هذه الاستجابات الأربع العملية التي تشارك فيها من لحظة قبولك للمسيح حتى اللحظة التي يلقانا فيها في السماء ويكون نمونا قد اكتمل. تذكّر بينما تقرأ أن لدى الله الكثير على المحك لأجل حياتك، فكن على استعداد لاستشعار توجيهاته. فخطه الله الخالدة للكون هي أن يُظهر صورته الحقيقية للعالم من خلالك بشكل فردي ومن خلال كل شعبه بشكل جماعي.

■ إنه التزام نعيشه

ليس الوصول إلى حياة القداسة سهلاً. فالقداسة ليست بنداً ضمن قائمة من الميزات الروحية الاختيارية في حياتنا كمؤمنين بالمسيح.

يقول في العبرانيين ١٢: ١٤

«اتَّبِعُوا السَّلَامَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بَدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ.»

اتبعوا السلام والقداسة، يبدو هذا وكأنه إزام. تقودنا هذه الآية إلى بعض الأسئلة الهامة:

♦ هل تبذل كل جهدك لكي تكون في سلام مع الجميع ولكي تعيش حياة القداسة؟

♦ هل تبذل جهدًا كافيًا لتعيش حياة القداسة مثل الذي تبذله لتكون والدًا جيّدًا أو زوجًا جيّدًا أو صديقًا جيّدًا؟

♦ هل تبذل الجهد نفسه الذي تبذله لكسب لقمة العيش لتكون مقدسًا كمؤمن بالمسيح؟

إذا كنت لا تستطيع الإجابة بنعم على تلك الأسئلة، فإنني أشجعك على أن تصلي اليوم صلاة تكريس وتقول لله: «يا رب، سألتزم بالتعامل بحسم مع أي أمر يجعلني أكون أقل طهارة وإرضاء لك. سأكون مؤمنًا يعكس قداستك في حياتي.»

■ إنها طريقة تفكير

ستؤثر هذه الحياة المقدسة الثورية الخلابة سوف تؤثر في دماغك وطريقة تفكيرك. لاحظ كل الكلمات التي لها علاقة بما يدور في ذهنك بينما تقرأ المقطع التالي:

«فَأَقُولُ هَذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ، أَنْ لَا تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْأَلُكَ سَائِرُ الْأُمَمِ أَيْضاً يَبْطُلُ ذَهْنُهُمْ، إِذْ هُمْ مُظْلِمُوا الْفِكْرَ، وَمَتَّجِبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللَّهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلَاطَةِ قُلُوبِهِمْ. الَّذِينَ إِذْ هُمْ قَدْ فَقَدُوا الْحِسَّ، أَسْلَمُوا نُفُوسَهُمْ لِلدَّعَاةِ لِيَعْمَلُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ فِي الطَّمَعِ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَمْ تَتَعَلَّمُوا الْمَسِيحَ هَكَذَا -إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمُوهُ وَعَلَّمْتُمْ فِيهِ كَمَا هُوَ حَقٌّ فِي يَسُوعَ، أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصْرِيفِ السَّابِقِ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذَهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الْإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللَّهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ.»

(أفسس ٤: ١٧-٢٤)

يتطلب التجاوب مع قداسة الله طريقة جديدة للتفكير. وما يحدث بداخل عقلك هو أمر مهم جداً لنموك. فما هي الأمور التي تسمح بمرورها إلى عقلك من خلال عينيك وأذنانك، أو من خلال المواقع التي تزورها، والبرامج التي تتابعها، والكتب التي تقرأها، أو الموسيقى التي تستمع إليها؟ إلى أي أمور يجوع عقلك وأنت تحجبها عنه؟ هل تغذي عقلك من كلمة الله؟ وبأي قدر؟

تشرح الآيات أعلاه أن الخيارات التي نتخذها إما تؤدي بنا إلى القداسة أو إلى الابتعاد بعيداً عنها، لأن ما نكرس عقولنا له هو ما يصنع الفرق كله.

إنه أمر علينا أن نطيعه

كنت قد ذكرتُ في موضع سابق كلمات الرسول بطرس لأولئك الذين دعاهم «أولاد الطاعة»، لنفكر فيها ملياً.

«كَأَوْلَادِ الطَّاعَةِ لَا تُشَاكِلُوا شَهَوَاتِكُمْ السَّابِقَةَ فِي جَهَاتِكُمْ، بَلْ نَظِيرَ الْفُدُوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قَدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ. لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «كُونُوا قَدِّيسِينَ لِأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ.»

(بطرس الأولى ١: ١٤-١٦)

يضع بطرس هنا معيارًا إلزاميًا من خلال عبارة «نظير القدوس الذي دعاكم» ثم يأمرنا قائلاً «كونوا قديسين». وينسحب تنفيذ الأمر على هذا المدى: «في كل سيرة»، هذا هو السبب في أن تفاصيل الحياة التي نعيشها بأكملها تُعَدُّ أمورًا ثانوية مقارنة مع الدافع الأساسي الذي نعيش لأجله. لا يمكننا أن نكون قديسين بشكل انتقائي. لا يمكننا أن ننحاز إلى قداسة في ناحية واحدة من نواحي الحياة مقابل التساهل مع الشر في ناحية أخرى. ويرتبط هذا بمدى فهمنا لمبدأ أن الله هو مختلف ومتميز وليس مثله أحد، وهو يتوقع منا أن نكون مختلفين ومميزين أيضًا.

أتحدث هنا عن اعتراف متسم بالتواضع بأنه امتياز كبير لنا أن نُدعى أولاد الله. علينا أن نصلي له من دون تحفظ قائلين: «يا رب، إني أمنحك الحق في أن تفعل كل ما يتطلب الأمر في حياتي كي تقدّسني؟» لقد ضحى بابنه الوحيد من أجلك، فما الذي سيمنعه من الاستجابة لصلاتك تلك؟

عالمنا في احتضار. إذ تتفشى عمليات إطلاق النار الجماعي، والاتجار بالأطفال، والتفكك الأسري، والدعوات إلى تجنّب الزواج، وإجهاض الأجنة، وإدمان المخدرات، والأمراض المعدية. ويحدث هذا كله في نهاية الأمر لأنهم لم يسمعوا أسبابًا مقنعة، ولا شاهدوا أمثلة مقنعة بما يكفي لثيهم عما يفعلون! لا يوفر المؤمنون بالمسيح في حياتهم الملح الكافي لحفظ العالم ولا النور الكافي لإنارته بالرحمة والسلام.

يشكل المال والحياة الجنسية أكبر التحديات أمام نقاء الكنيسة وطهارتها منذ بدايتها وحتى اليوم. يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين مخاطبًا المؤمنين البعيدين عن الحق:

«لِيَكُنِ الزَّوْاجُ مُكْرَمًا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَالْمَصْجَعُ غَيْرَ نَجِسٍ. وَأَمَّا الْعَاهِرُونَ وَالزَّانَاةُ فَسَيَدِينُهُمُ اللَّهُ. لِتَكُنْ سِيرَتُكُمْ خَالِيَةً مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ. كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ، لِأَنَّهُ قَالَ: «لَا أَهْمُكَ وَلَا أَتْرُكُكَ»

(عبرانيين ١٣: ٤-٥).

تعني الكلمات التي يستخدمها الكاتب لوصف الفراش الزوجي بأنه «غير نجس» حرفياً أن «يظلُّ مُقدَّساً». وسيدينُ الله الزناة لأنهم ينتهكون سمة القداسة التي هي جزء من طبيعته ويدمرون مؤسسة الزواج التي صمّمها لكي تعكس جمال عروس المسيح ونقاءها.

لا ينبغي أن نندهش لغياب تأثير المؤمنين وانعدام سلطة الكنائس اليوم، حيث أصبحت أمورٌ مثل العيش تحت سقف واحد من دون زواج، والطلاق غير الكتابي، والعلاقات الجنسية العابرة، ومشاهدة المواد الإباحية، أموراً شائعةً بين شعب الله. وتظهر بعض الإحصائيات في الولايات المتحدة أن ثمانية وستين بالمئة من الرجال المؤمنين بالمسيح، وخمسين في المئة من القساوسة يقومون بزيارة المواقع الإباحية مرة واحدة أسبوعياً على الأقل.

ربما يكون الجنس هو العَرَض، لكن المرض الأساسي وراء الممارسة الجنسية غير الأخلاقية هو عبادة الأوثان (البعد عن الله). وتشكل الشهوة والأنانية الدافع وراء الجنس. ويستخدم الناس التصميم الذي وضعه الله في الأساس بغرض الحب والحميمية الناتجين عن الثقة والاتكال على الله، من أجل أغراض أخرى. والنقاوة الجنسية شرط أساسي للنمو والتأثير الروحيين.

تحارب الآيات المذكورة أعلاه محبة المال التي أصبحت وباءً حديثاً في ثقافتنا المعاصرة أيضاً. وتخبرنا الآية ه بالمشكلة (محبة المال) وبالحل (الاكتفاء). قد تنصدر الخطايا الجنسية عناوين الصحف، ولكن محبة المال هي «البقرة المقدسة» في الكنيسة.

وما من مؤشر على حالة قلوبنا أوضح من الطريقة التي نتعاطى بها مع أمورنا المالية. يُعطي المؤمن بالمسيح في المتوسط أقل من ثلاثة في المئة من دخله من أجل عمل الله، بينما يُحرق نفسه في الديون من أجل استهلاكه الشخصي. علّمنا يسوع بوضوح أن قلوبنا موجودة حيث يكون كنزنا، وأنها لا نستطيع أن نخدم الله والمال معاً.

لا أقصد أن أبدو قاسيًا، ولكن الواقع هو أنّ سلوكنا وعدم قداستنا يجلب لنا ألمًا لا يُصدّق وخللاً في حياتنا وأسرتنا ويعيق في الوقت نفسه شهادتنا للإنجيل. نحن أغنى أمة في العالم، ومع ذلك لا يمكننا أن ندعم مرسلينا الذين يذهبون في رحلاتهم التبشيرية بلا تمويل. وبينما ينتظرون التمويل، وبينما يتعطل انتشار ملكوت الله، ننفق أموالنا على ألعاب جديدة لأطفالنا وعلى ملابسنا الجديدة ومجوهراتنا وبيوتنا الثانية والثالثة، ونبدو وكأننا غافلون عن دعوة الله وعن عمله. وحياتنا سريعة ومشغولة بالعمل وجمع المال وممارسة الرياضة والسعي وراء الحلم الأميركي.

نحن نلوم هوليوود ووسائل الإعلام وألعاب الفيديو والمجتمع ونظام التعليم، ولكن لو عاش المؤمنون بالمسيح كما ينبغي، فإن الأمور ستكون مختلفة بشكل ملحوظ. وإذا أخذ الأربعة مليونًا أميركيًا من المؤمنين بالمسيح قداسة الله على محمل الجد، فستتغير البلاد بأكملها في خلال عشر سنوات. تذكر أن الطريقة التي نتصرّف بها كمؤمنين وكنيسة تعبر بوضوح عما نفكر به فعلاً بخصوص الله. فما هي أعمالنا وكلماتنا التي تخبّر العالم عن هوية الله وطبيعته؟ نحن نعرف المشكلة، وهي في الغالب نحن. لكن الكتاب المقدس يأمرنا بأن نتوقف ونتحول ونواصل طريق القداسة. سيكون علينا أن نتّخذ موقفاً جديداً كلياً.

■ إنه موقف نتّخذه

«مَخَافَةُ الرَّبِّ بَغْضُ الشَّرِّ. الْكِبْرِيَاءُ وَالْتِعَظُمُ وَطَرِيقَ الشَّرِّ وَقَمَّ
الْأَكَاذِبِ أَبْغَضْتُ.»
(أمثال ٨: ١٣).

ليس الهدف من اتخاذ موقف القداسة الخطرسة ولا التعالي على الآخرين، بل هو رفض جريء للسلوكيات الشريرة. فالقداسة هي بالتأكيد موقف لا يحظى بشعبية في زمن التسامح والفردية المطلقة وتفشّي الفجور.

ورغم أنه يتم الاستشهاد بعبارَة

«لَا تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ»

(٢ كور ٦: ١٤)

غالبًا ما في النقاشات حول الزواج بين المؤمنين وغير المؤمنين، إلا أن السياق الذي ذُكرت فيه يشمل كل مناحي الحياة. فالشركة تستحيل بين النور والظلام.

إذ يؤثر تفاعلنا مع العالم في وضعنا الروحي. يُظهر بولس العديد من التناقضات بين المسيح وبلعالي، وبين المؤمنين وغير المؤمنين، وبين هيكل الله ومعبد الأصنام، وتهدف كلها إلى تسليط الضوء على أهمية القِدَاسَة. ويؤكد طلبه من خلال تذكيرنا بأن هيكل الله ليس مبني:

«وَأَيُّهُ مُوَافَقَةٌ لِهَيْكَلِ اللَّهِ مَعَ الْأَوْثَانِ؟ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللَّهِ الْحَيِّ، كَمَا قَالَ اللَّهُ: «إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. لِذَلِكَ اخْرُجُوا مِنْ وَسْطِهِمْ وَاعْتَزَلُوا، يَقُولُ الرَّبُّ. وَلَا تَمَسُّوا نَجَسًا فَأَقْبَلَكُمْ، وَأَكُونُ لَكُمْ أَبًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ» يَقُولُ الرَّبُّ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»

(٢ كو ٦: ١٦-١٨)

نجد الإجراء العملي نجد في الآية الأولى من الاصحاح التالي

«فَإِذْ لَنَا هَذِهِ الْمَوَاعِيدُ أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ لِنُظَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكْمِلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللَّهِ»

(٢ كو ٧: ١).

والهدف هو الانفصال عن العالم، أي أن نكون في العالم ولكن ليس منه. وليس هذا الأمر دعوة إلى الإساءة إلى الآخرين بجعلهم يشعرون أنهم أقل شأنًا منا، بل هو دعوة إلى السعي نحو القِدَاسَة الشخصية من منطلق العرفان لذلك الذي قام بالكثير من أجلنا.

ضيت السنوات الأولى من حياتي المسيحية محاولاً البقاء قريباً من الخطية قدر الإمكان من دون الوقوع فيها. كان التزامي جزئياً ولم يكن فكري قد تغير. لم أكن أستمع إلى الروح القدس، وكانت حياتي السابقة ما زالت تهيمن على موقفي. لم أكن قادراً على رؤية قداسة الله على شاشة الرادار الروحي الخاص بي. ، كنت، شأني شأن كثيرين من المؤمنين اليوم، مشغولاً جداً في المساومة.

وكانت النتيجة شعوراً بالإحباط والذنب. كما أظهرت حياتي تناقضاً مُخجلاً. ثم جاءت نقطة التحول عندما بدأت في رؤية الشر كما يراه الله. إذا كنت تريد أن تكون مقدساً، يجب عليك تطوير موقف وسلوك يُعزز القداسة، أي أن تكره الشر وتطلب الله من كل قلبك ولا تشك. اتبع خطوات المسيح ونقاءه قائلاً: «يا رب، لا أريد أن أضيع وقتي في مقارنة ما تعدني به الخطيئة مقابل ما تعدني به أنت. أنا أعلم أن طريق القداسة هو أفضل لكثير لحياتي ولمستقبلي.» يشناق الله إلى أن يريك قداسته وأن يراها تنعكس على حياتك. ولا يأتي تسديد احتياجك إلى الحب والحميمية والإشباع والرضا إلا من خلال الطريقة التي صنعها هو وفي وقته هو. وأفضل الأشياء في الحياة هي مُغلّفة في قداسة الله.

تجربتي الشخصية مع قداسة الله

كان آندي يخفي سرّاً مدة تزيد عن عشرين عامًا. بدأ سرّه في مرحلة ما قبل المراهقة عندما كان يتصفح صور عارضات الملابس الداخلية في كتالوج سيرز، ثمّ تطور الأمر به لاحقاً إلى تصفح المجلات الإباحية في سن المراهقة والجامعة.

عرف آندي المسيح في أواخر سن المراهقة، وتغيرت كل نواحي حياته تقريباً بشكل معجز في السنوات الخمس عشرة التي تلت ذلك، كلها باستثناء ذلك السر الصغير. ورغم أنّه أصبح قائداً في الخدمة في الجامعة، وأصبح بعد ذلك أباً ملتزماً وشماساً في الكنيسة،

استمر سر أندي وتطوّر إلى ارتياد المحلات الخاصة بالكتب والمجلات الإباحية، إلى جانب تصفّح الإنترنت في وقت متأخر من الليل. جلب الشعور بالذنب والحياة المزدوجة التي كان أندي يعيشها الصراع الداخلي والشعور بالعار حتّى اعتقد أنّه سينفجر. جرب كلّ شيء: صلّى، وحفظ آيات من الكتاب المقدس، وصام وتوسّل إلى الله لكي يُخلّصه، وتعهد عدة مرات وبإخلاص حقيقيّ أنّه سيكسر هذا الإدمان ويعيش حياة القداسة أمام الله، لكنه فشل مرارًا وتكرارًا.

وفي أحد الأيام، وبينما هو في قمة يأسه، سافر إلى مدينة أخرى. ولأول مرة تقاسم سره مع مجموعة من الرجال الذين يتفهمون الأمر. كانت تلك الخطوة الحاسمة هي بداية عودة أندي إلى إلهه وإلى زوجته وأصدقائه، وإلى نفسه.

عندما يتم جلب النور إلى حيث توجد الظلمة، تفقد الظلمة قوّتها. شارك أندي تفاصيل رحلته المؤلمة مع الإدمان الجنسي على المواد الإباحية وخلص الله له في الكنيسة التي كنت أرهاها في كاليفورنيا. وبتواضع وتعلّق كبير دعا أندي إخوة الكنيسة إلى أن يأتوا «إلى النور» لتدمير قوة السر وللسير معًا في القداسة - بقوة المجتمع الأصيل.

وفي الأسبوع التالي، بدأنا عددًا من مجموعات المشاركة الصغيرة للرجال الذين يعانون من الإدمان الجنسي. شاهدنا الله وهو يفعل المعجزات. تعلمنا أن الطريق السريع إلى القداسة لا يمكن أبدًا أن يُقَطع وحيدًا. إذ يحتاج بعضنا إلى بعض.

«اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات، وصلُّوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفوا»

(يعقوب ٥: ١٦).

ما هو سرّك؟ أية معركة تخوض؟ ما الذي يمكنك أن تبوح به من أجل كسر قوة السر والسماح لنور الله بفضح الخطيئة وتطهيرك، ومن ثم ردّك إلى مجده؟

يحبك الله محبة عميقة، وستجد في قداسه السلامة الكلية والسلام. وأنا أشجعك على اتخاذ خطوة جريئة بصدق. فاطلب من الله أن يكشف لك عن أية مسألة غير طاهرة أو غير مقدسة في حياتك. سيُر في النور لكي تكون حياتك خالية من الذنب والعار.

عش ما تعلمت

يستخدم الله ثلاث ممارسات أساسية في حياة كل مؤمن لكي يساعده على النمو والنضج. عندما تحرص على تنفيذ تلك الممارسات باستمرار من قلب صادق، لن تنمو روحياً فحسب بل ستعيش حياة ذات معنى وأكثر أهمية.

■ **اقض بعض الوقت يومياً مع الله:** التق باله يومياً بشكل شخصي من خلال قراءة كلمته والصلاة لكي تستمتع بحضوره. استمع إلى توجيهاته واتبع مشيئته.

■ **اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين:** قم بتنظيم وقتك خلال الأسبوع بحيث تسنح لك الفرصة للتواصل مع المؤمنين الآخرين في علاقات آمنة توفر الحب والدعم والشفافية والتحدي والمساءلة.

■ **كن مخلصاً للمهمة الموضوعة عليك:** اجعل من توصيل محبة يسوع إلى الآخرين من خلال الخدمة وأعمال التضحية أسلوب حياة في منزلك وعملك وكنيستك وأيضاً في أوقات المرح واللعب.

■ ١- اقض بعض الوقت يومياً مع الله

اكتب التعريف التالي على ورقة ملاحظات أو على هاتفك الذكي أو لوحتك الذكية واقرأه عندما تستيقظ في الصباح وقبل ذهابك إلى الفراش. لا تحاول حفظه، فقط اقرأه بروح الصلاة واسمح لحقيقة قداسة الله أن تنساب بلطف إلى أعماقك.

«ما من شيء نعرفه يشبه القداسة الإلهية. إنها تقف بعيداً، فهي فريدة من نوعها، من الصعب تصديقها، غير مفهومة وغير قابلة للتحقيق. لا يمكن للإنسان الطبيعي أن يراها. قد يخشى قوة الله وقد يُعجب بحكمته، ولكن لا يمكن له حتى أن يتخيل قداسته. وحده الروح القدس يمكنه أن ينقل الروح الإنسانية إلى معرفة القداسة.» أو توزر

إلى جانب هذا التعريف، اكتب بطرس الأولى ١: ١٤-١٦ وتأمل في تلك الوصية. في كل مرة تقرأها، سل نفسك: «كيف يمكنني اليوم أن أعكس طبيعة الله؟»

«كَأَوْلَادِ الطَّاعَةِ لَا تُشَاكِلُوا شَهْوَاتِكُمُ السَّابِقَةَ فِي جَهَالَتِكُمْ، بَلْ نَظِيرَ
الْقُدُوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قَدِيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ. لِأَنَّهُ
مَكْتُوبٌ: «كُونُوا قَدِيسِينَ لِأَيِّ أَنَا قُدُوسٌ».

بطرس الأولى ١: ١٤-١٦

انضم إليّ في جعل الصلاة الآتية صلاتك الخاصة خلال السبعة أيام القادمة:

يا سيدي الرب، القدوس الطاهر، العظيم الجلال، امنحني
بينما أنظر إلى كمالك أن:
- التزم بطرقك المقدسة.
- تكون أفكارى مقدسة.

– أعيش في طاعتك المقدسة.

– أرفض الشر بموقف مقدس.

ساعدني أن أنصت إلى روحك في داخلي يساعدني أن أتذكر كم أنك غيور على قداستك. أنت تتوق إلى أن تنقذنا من الألم الذي تسببه لنا الخطية لأنك تحبنا. إني أعطيك الحق في أن تقوم بكل ما يلزم في حياتي حتى تجعلني قديسًا، حتى لا يهان أسمك أبدًا في حياتي. في اسم يسوع، آمين.

٢- اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين

اقرأ غلاطية ٥: ١٦-١٨.

«وَأَمَّا أَقُولُ: اسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلَا تُكْمَلُوا شَهْوَةَ الْجَسَدِ. لِأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهَذَا يَقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لَا تُرِيدُونَ. وَلَكِنْ إِذَا انْقَدْتُمْ بِالرُّوحِ فَلَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ.»

ما الذي تتعلمه من هذا المقطع عن السعي إلى القداسة؟

وفقًا لغلاطية ٥، هذه هي النتائج التي نحصلها عندما نسعى خلف:

شهوة الجسد: الفجور الجنسي، النجاسة، الملذات، عبادة الأوثان، السحر والشعوذة، العدا، الشجار، الغيرة، الغضب، الأنانية، الانقسام، التحزب، الحسد، السكر.

رغبات الروح: المحبة، الفرح، السلام، طول الأناة، اللطف، الصلاح، الأيمان، التعفف، الوداعة.

- ♦ ما هي النتائج التي تراها في حياتك؟ هل النتائج هي دليل على عمل الروح أم الطبيعة الخاطئة؟ أم كلاهما؟
- ♦ من الواضح أنّ صراعًا دائمًا يدور في داخلنا بين رغبات الروح ورغبات الجسد.
- من الذي يمكنه أن يساعد في تشجيعك ودعمك بينما تلتزم بعمل الروح في حياتك؟
- من الذي يمكنك أنت أن تساعد وتشجعه؟

■ ٣- كن مخلصاً للمهمة الموضوعه عليك

- ♦ هل يوجد أمر ما في حياتك يهدد أو يضر بشهادتك عن عمل الله أمام غير المؤمنين؟

اقض بعض الوقت في الصلاة والتفكير في هذا السؤال. ثم أطلع الله فيما يكشفه لك.



7

حكمة الله



«يَا لَعَمْرِي غِنَى اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ

أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الْإِسْتِقْصَاءِ!»

(رومية ١١: ٣٣)

حكمة الله

كانت السنة الثالثة من دراستي لللاهوت تقترب من نهايتها، وكنت أعمل في دوام كامل إلى جانب الدراسة لأتمكن من تأمين النفقات. كان راتبي من العمولات، وفجأة، نصبت فرص العمل. وأثناء وجودي في المنزل كنت أقضي أغلب الوقت في تلبية طلبات لا تنتهي لطفل يبلغ من العمر ثمانية عشر شهرًا، إضافةً إلى صبيين توأمين ممتلئين بالنشاط والحركة.

وعلاوة على كل ذلك، كانت تيريزا وأنا نشارك في خدمة مزدهرة في الكلية، والتي رغم نجاحها سببت لنا المزيد والمزيد من التوتر. كنت على وشك الانفجار نفسيًا وعاطفيًا.

كنت أنام أقل من خمس ساعات كل ليلة لمدة ثلاث سنوات. كنت مُثَبِّطًا ومتعبًا ومحطَّمًا. لم أكن أعرف كيف سنقوم بسداد الفواتير، وفكرت جدًّا في ترك الخدمة. قلت لنفسي: «إذا كان هذا هو ما تحصل عليه عند اتباع المسيح من كل قلبك، فربما حان الوقت لإعادة التفكير في صحة الحياة المسيحية - أو على الأقل ذلك الجزء الخاص بالخدمة.»

في تلك السنة كان أحضر مساقًا في اللاهوت يتحدث فيه المُحاضر بعبارات واضحة ودقيقة جدًا. كانت كلماته تلتصق بذاكرتي على الفور حتى إنني نادرًا ما كنت أحتاج إلى كتابة ما يقول.

لا يزال بإمكانني تذكر ملامح ذلك الرجل النحيل وهو يضع نظارته التي كان يعلّقها بحبل في رقبته ويشبك يديه خلف ظهره، ويتنحج لينظف حلقه قبل أن يقول: «تخبرنا حكمة الله أنّ الله سيحقق أفضل النتائج الممكنة، باستخدام أفضل الوسائل الممكنة، لأكبر عدد ممكن من الناس، لأطول وقت ممكن.

لم يرفع صوته أو يغير نغمة حديثه، ولكن كلماته كانت ترن بقوة في داخلي. كانت تلك الكلمات تتحدق الفوضى في حياتي. وظللت أمتحن كلماته



إِنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ تَخْبِرُنَا
أَنَّ اللَّهَ سَيُحَقِّقُ أَفْضَلَ
النتائج الممكنة،
باستخدام أفضل
الوسائل الممكنة،
لأكبر عدد ممكن
من الناس، لأطول
وقت ممكن.

في ذهني محاولاً الربط بينها وبين
بالأزمات التي أواجهها. كنت أعرف
أن هناك خطأ ما، إما تلك الكلمات أو
وجهة نظري. فلا يمكن أن يكون كلاهما
صحيحاً. أتذكر أنني تساءلت عما سيكون
عليه الأمر لو صدقت كلام المحاضر.
سيكون الاستنتاج المنطقي حينها
أن الله كان يسمح في سلطانه لتلك
الظروف بأن تفعل شيئاً ما في داخلي
ومن خلالي وفي علاقاتي وزواجي وعملي

وعبادتي. وهذا أمر لا يمكن تحقيقه بأية وسيلة أخرى. كنت أسير في
طاعة الله بحسب علمي، ويعني هذا أن الظروف التي كنت أعاني منها
كانت هي أفضل وسيلة ممكنة لتحقيق أفضل النتائج الممكنة في
حياتي بأفضل طريقة ممكنة. «يعني هذا أيضاً أنه إذا كانت هناك
طريقة أفضل للقيام بذلك، لوجدتني أمرّ بظروف أخرى بدلاً من هذه.
إذا كانت هناك طريقة أفضل أو أسرع أو ألطف أو أكثر ملاءمة، فإن الله
كان سيستخدمها.»

أيها الطلاب الأعزاء: «تخبرنا حكمة الله أن الله سيحقق أفضل النتائج
الممكنة، باستخدام أفضل الوسائل الممكنة، لأكبر عدد ممكن من
الناس، لأطول وقت ممكن.»

كانت حقيقة يصعب عليّ استيعابها. إذا كان الله كليّ الحكمة،
فمعنى ذلك أن الظروف التي أمر فيها كانت هي بالضبط ما أنا كنت
في حاجة إليه في تلك الفترة في حياتي. لم يخطئ الله الهدف، ولا
حتى ابتعد عنه قليلاً. كُنْتُ في مركز إرادته، وكان عدم الراحة والإرهاق
من يد أب محب يضع مصلحتي في الاعتبار.

بدأت لذلك بالتفكير في ظروف في هذه الطريقة ولم أترك الدراسة.
تغيّرت من داخلي رغم أن ظروف في لم تتغير. صارت رؤيتي لله أكثر
وضوحاً، وازداد إيماني فيه.

أدى هذه التغيير في المنظور إلى اتخاذ قرار لم أكن أتوقعه على الإطلاق. فعند انتهاء الدراسة، قبلت منصبًا في كنيسة الكتاب المقدس في ريف كوفمان، تكساس. لم تكن مؤشرات النجاح والأمان تشير في هذا الاتجاه، لكن روح الله فعل ذلك، لم يبدُ المكان وكأنه يمكن أن يوفر لي ما اعتقدت أنني في حاجة إليه، لكن اتضح لي أنه المكان الذي زوده الله بكل ما نحتاج إليه حقًا. علمني الله كيف أكون راعيًا بين شعب تلك الكنيسة وأعدّني لخطواتي التالية في الخدمة.

أليس من المدهش كيف يعمل الله؟ تخيل الفرق الذي ستشعر به في الأوقات الأكثر صعوبة في حياتك عندما تؤمن أن الله إله كليّ الحكمة!

تخيل الفرق الذي سيحدث عندما تؤمن بقوة أن المشكلة الأكثر إلحاحًا وصعوبة في حياتك، تلك التي لا تفهمها، والتي تصارع ضدها، والتي تجعلك تشعر بالإرهاق وأنت على وشك الاستسلام، هي بسماع أو بترتيب من أب محب وكليّ الحكمة؟ ماذا لو كان كل شيء في حياتك جزءًا من خطة حكيمة؟ هل يمكنك أن تتخيل ما سيحدث لمستوى القلق لديك أو لمشاعرك؟ هل يمكن أن تفهم ما هو الفرق الذي يمكن أن يحدث إذا كنت مقتنعًا تمامًا بأنّ الإله المحب والصالح وصاحب السلطان سيأتي بأفضل النتائج الممكنة في حياتك من خلال أفضل الوسائل الممكنة من خلال الخطة المصممة خصيصًا لك وليس من خلال خطة احتياطية؟

سأخبرك أي فرق سيحدث. سينتج من فهمك الصحيح لحكمة الله ثورة في حياتك مثلما أحدث ثورة في حياتي. بدأت بالنظر إلى الظروف بشكل مختلف بداية من نقطة اليأس تلك وأحرزت تقدمًا وشهدت نموًا روحيًا.

لقد اكتشفت هذه الحقيقة التي لا يمكن تجنبها: أننا لن نكون قادرين على الشعور بالراحة والثقة في خطة الله الحكيمة لحياتنا إلى أن نعي حقيقة أنّ الله هو كليّ الحكمة.

تعريف حكمة الله

يجلب مجرد ذكر كلمة «الحكمة» إلى الذهن الكثير من القوالب النمطية وسوء الفهم. تتبادر بعض الصور إلى أذهاننا يتعلق معظمها بالكيفية التي يبدو مظهر الشخص الحكيم بدلاً مما يفعله. لكن الحكمة لا علاقة لها بالشعر الأبيض أو طول اللحية. حتى الأطفال، خاصة أولئك الذين يعرفون كلمة الله، يمكن في كثير من الأحيان أن تخرج من أفواههم حكمة مذهلة.

تُشير الحكمة إلى الطريقة التي يستخدم بها شخص ما لديه من معرفة وخبرة. تصف القواميس الحكمة بأنها القدرة على الحكم على الأمور بطريقة صحيحة ومن ثم اتباع أسلم مسار للعمل. وبعبارة أخرى، يرى الأشخاص ذوو الحكمة الصورة الكبيرة ويتخذون القرارات السليمة. كيف يقومون بذلك؟ يعتمد الأمر على المعرفة والخبرة والفهم. تشمل الحكمة فحص كل ما هو حكيم ومعرفته والقيام به. ويخبرنا سفر الأمثال أن رأس الحكمة هو مخافة الله، المصدر المطلق للحكمة.

تشكل رومية ١١:٣٣ هي الموضوع الرئيسي لهذا الفصل. يشيد بولس بحكمة الله من خلال ترنيمة تعبر عن إحساس رائع بالعجز نشعر به دائماً كلما حاولنا أن نسبر غور حكمة الله. فطرق الله بعيدة عن الفحص، ما يعني أنه لا يمكننا أن نفحص طريقه أو أن نمتحنها أملين في الوصول إلى رضا كامل. فمسارات الله أبعد من قدرتنا على تتبعها. ولا يمكننا متابعة ما يفعله الله من دون أن نضيع ويختلط الأمر علينا، لكن يمكننا أن نثق بها. تعجبني كثيراً نظرة توزر العملية في ما يتعلق بحكمة الله.

من شأن الإيمان الحقيقي بأن أبانا السماوي يحيطنا باستمرار بالظروف اللائقة التي تعمل لمصلحتنا الحالية وخيرنا الأبدي أن يجلب بركة حقيقية إلى الروح. فنحن نسير في الحياة، نصلي قليلاً، نخطط قليلاً، ونسعى إلى منصب ما، ونأمل، لكننا لسنا واثقين بأننا سنحصل على شيء، ونخاف دائماً سراً من أننا قد نضل الطريق. إنه إهدار مأساوي للحق ولا يعطي راحة للقلب.

لكن هناك طريقة أفضل، أن نرفض حكمتنا الخاصة ونَتَّخِذُ بدلاً منها الحكمة اللانهائية التي لله. إن إصرارنا على المضي قدماً هو أمر طبيعي، ولكنه يُشكّل عقبة حقيقية أمام تقدمنا الروحي.

لقد وضع الله على عاتقه سعادتنا الأبدية وهو يقف على أهبة الاستعداد ليتولى زمام حياتنا في اللحظة التي نختر فيها الإيمان به.

اقرأ هذه الجملة الأخيرة مرة أخرى. لقد وضع الله سمعته على المحك في ما يتعلق بعنايته بنا.

- ◆ كم مرة نتخذ من كلمته مرجعاً للطريقة التي نعيش فيها؟
- ◆ إذا كان هذا الأمر صحيحاً، أي إذا كان لكلمته كل ذلك السلطان، وإذا سطع ذلك الضوء في داخل أذهاننا وسرى منها وصولاً إلى قلوبنا، فأبي فرق سيحدث؟
- ◆ عندما نواجه الأمراض التي لا تريد أن تختفي، والتقارير الطبية التي لا نفهمها، والعلاقات التي لا تسير بشكل صحيح مهما فعلنا، ألن يكون مريحاً أن نهدأ ونثق بأن الإله كلي الحكمة هو متحكم في كل الأمور بسلطانه وأنه يعمل دائماً لصالحنا؟

نعم، سيكون هذا مريحاً بالفعل إذا كنا أننا وأنت نستطيع أن نتذكر أنّ مدى حكمة الله أوسع مما نتصور. يقول تورز، «تَرَ [الحكمة] النهاية منذ البداية، فلا مجال للتخمين أو الظنّ. فالحكمة ترى كل شيء بتركيز ووضوح، وتدرك علاقة كل شيء بما حوله، وهي قادرة بالتالي على العمل على أهداف مُقرّرة سلفاً، مع دقة لا تشوبها شائبة.»

اسمح لي بأن أقدم بعض التوضيحات. لنفترض أن رجلاً يعمل في السكك الحديدية، ويتحكم في حركة مرور القطارات عن طريق تحويل المسارات. وهو يجلس يوماً بعد يوم في كشكه الصغير عاليًا فوق ساحة السكك الحديدية، ويراقب بعناية مرور القطارات المتسارعة التي يعتمد سائقوها عليه لمنع الحوادث.

وفي أحد الأيام، أتى ابن العامل الصبي البالغ من العمر خمس سنوات لزيارة والده في مقرّ عمله قادماً من منزلهم القريب.

وعند رؤيته لوالده جالسًا في كشك التحكّم، يبدأ الولد في الصياح والتلويح لوالده من بين مسارات السكك الحديدية. وبمجرد أن يلاحظ والده وجوده، يتعثّر الصبي وتعلق قدمه بين قضبان القطار ولا يتمكن من إفلاتها. يهبُّ الرجل واقفًا على قدميه ويهرع لمساعدة ابنه، ولكن صافرة عالية تلفت انتباهه فيتطلع إلى اليسار في رعب ويرى قطارًا سريعًا على بعد حوالي خمسمئة متر.

لن يتوقف القطار في الوقت المناسب حتى لو داس السائق على المكابح بكل قوة وعلى الفور. أصبح الأب مجبرًا على اتخاذ قرار خلال أجزاء من الثانية. لا يمكنه الوصول إلى الصبي في الوقت المناسب. وفي الوقت نفسه، يمكنه تحويل مسار القطار وإخراجه عن مساره، ما سيسفر عن مقتل كثيرين من الناس على متن القطار وإنقاذ ابنه، أو يسمح للركاب بالمرور بأمان بينما يشاهد موت ابنه المأساوي أمام عينيه على قضبان القطار. ما هو الخيار الأكثر حكمة في تلك اللحظة الرهيبة؟

ليس السؤال هو: «ما هو الخيار الأفضل؟» ولا «ما هو الخيار الذي يمس العامل شخصيًا بدرجة أكبر؟» ولا حتى «ما هو الخيار الذي يريد أن يقوم به؟» ولكن ما هو الخيار الأكثر حكمة؟ ما الذي من شأنه أن يحقق أفضل نتيجة ممكنة لأكبر عدد ممكن من الناس؟ ربما يقول معظمنا إنه القرار الأصعب، لكن القرار الأكثر حكمة هو السماح بموت الابن وإنقاذ جميع الركاب. ربما، ولكني أود أن أقترح إجابة أخرى وهي أننا لا نعرف.

- ◆ ماذا لو كان هذا الابن سيكبر ليصبح يبلي غراهام الثاني؟
- ◆ ماذا لو توفي ثلاثة وأربعون شخصًا في القطار، لكن خدمة الصبي ساعدت الملايين والملايين من الناس على قضاء أباديتهم في السماء؟ ولكن أيضًا ماذا لو كان المبشر العظيم نفسه قادمًا في القطار؟
- ◆ أو ماذا لو كان مكتشف علاج السرطان في القطار؟

لا تنتهي هذه الـ «ماذا لو» أبداً، لكن لن يكون أنت وأنا لدينا أبداً المعرفة الكافية لنشارك في صنع قرار كهذا. الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يتخذ القرار الأكثر حكمة في هذه المعضلة الرهيبة هو ذاك الذي يعرف كل شيء عن كل البشر، وكيف سيؤثر بعضهم في بعض في كل لحظة من الزمان وإلى الأبد.

أرواحنا هي مثل حصى تم إلقاؤها في بحيرة التاريخ، وتؤثر التموجات الناتجة عنه في عدد لا يحصى من الناس جيلاً بعد جيل. ولن يقدر على تتبّع كل هذا إلا شخص لا حدود لحكمته. والخليط من القرارات والإجراءات والأحداث التي تؤثر في الآخرين محيّر للعقل. حتى ذلك الجزء الصغير الذي نراه يجعلنا نفكر أحياناً أن العالم هو حالة من الفوضى المطلقة. لكن السيطرة على الخليقة بكاملها هو مثل القيام ببعض حسابات الرياضيات البسيطة بالنسبة لله.

فهو يرى في لحظة واحدة كافة العلاقات والتأثيرات والتضحيات والآثار المترتبة، وكيف تتوافق جميعها مع خطته الحكيمة في عالمنا الساقط.

ولأنك ابنه، سينظم الله حياتك، وسيسمح فقط بما ينتج عنه أفضل النتائج الممكنة، من خلال أفضل وسيلة ممكنة، لتحقيق أفضل هدف ممكن، لأطول وقت ممكن، بالنسبة إلى أكبر عدد ممكن من الناس في حياتك وحولها. فوحده الله يمكنه أن يقرر أحكم الخيارات. نحن نتوهم أننا نعرف ما هو الخيار الأكثر حكمة لأننا نطلّ على الحقيقة والحياة من خلال نوافذ صغيرة جداً ونقفز سريعاً إلى استنتاجات بشأن ما يجب القيام به.

نحن نتوهم أننا نعرف ما هو الخيار الأكثر حكمة لأننا نطلّ على الحقيقة والحياة من خلال نوافذ صغيرة جداً ونقفز سريعاً إلى استنتاجات بشأن ما يجب القيام به. أحياناً نكون على صواب وأحياناً أخرى نكون مخطئين تماماً. ومن المؤسف أننا كثيراً ما نضع أيدينا على خصرنا مطالبين الله قائلين: «مهلاً يا رب، ماذا عن هذا الوضع؟ وماذا عن هذه المشكلة؟ وماذا عن هذا الشخص؟ لو أنك فعلت هذا الأمر فحسب أو منعت ذلك الأمر، لأصبح كل شيء أفضل بكثير!» لدينا غطرسة مذهلة.

في كل مرة أضبط نفسي عندما أبدأ في التشكيك في حكمة الله، أقوم بقراءة الفصول الأخيرة من سفر أيوب حيث يرد الله على الأسئلة المتعلقة المتعلقة بحكمته. إنه لا يجادل ولا يدافع عن نفسه، بل يُشير ببساطة إلى حقيقة أنه يرى المدى الهائل للأشياء. ونحن لا نعرف شيئاً. فعندما يتعلق الأمر بالحكمة الإلهية، لم نكن هناك عندما حدثت ولم نفعل ذلك.

لا أحب أن أعتزف بذلك، لكنني أعرف كم هو سهل بالنسبة إلينا أن نتصرف كما لو كنا أكثر حكمة من الله. نحن بحاجة إلى أن نرى أنفسنا باستمرار في مكاننا الصحيح كمخلوقات أمام خالقنا. ويساعدنا توزر على التحرك من التواضع إلى العبادة:

جميع أعمال الله هي مصنوعة بحكمة كاملة، لأجل مجده أولاً، ثم لأجل الخير الأسمى لأكثر عدد من البشر لأطول وقت ممكن. وكل أعمال الله نقية بقدر ما هي حكيمة، وصالحة بقدر ما هي حكيمة ونقية. أعماله وليس كان ممكناً القيام بها على نحو أفضل فحسب، بل لا يمكن حتى تصوّر طريقة أفضل للقيام بها أيضاً.

يستغرق الأمر وقتاً طويلاً ودروساً متكررة للوصول بنا إلى المكان الذي نتعامل فيه مع حكمة الله برهبة واحترام. ويسهل علينا أن نضع تعريفاً لحكمة الله من أن نعيش طبقاً لها عن طيب خاطر. وسيشمل جزء من تدريبنا مراجعة الطُّرُق التي كشف الله وما زال يكشف بها عن فكره لنا، ومن شأن ذلك أن يساعدنا عندما لا نستطيع أن نكتشف حكمته على الفور في محيطنا أو ظروفنا.

■ كيف يكشف الله لنا عن حكمته؟

لقد تعلّمنا تعريف الحكمة: إنها صفة من صفات الله التي يُحقِّق من خلالها أفضل النتائج الممكنة بأفضل الوسائل الممكنة. ولكن كيف نعرف ذلك؟ ما هي الأدلة التي قدمها لنا الله حتى نثق بيده الخفية حتى في أحلك اللحظات؟

من خلال الخليقة

لقد كشف الله عن حكمته لنا أولاً من خلال خليقته. إذا تأملت في عجائب الخلق، فلن تتوقف عن الاندهاش. يدور الكون، ابتداءً مما هو أصغر من الذرة ووصولاً إلى الفضاء الشاسع، بترتيب مذهل مثل نظام مضبوط بالغ الدقة. وفي الواقع، فإن أحد أكثر الأشياء التي تدهشني هو مقدار الإيمان الذي يستلزمه الزعم بأن كل هذا حدث عن طريق الصدفة. يعرض الكون تصميمًا واضحًا ومتاحًا للجميع. وكلما ازداد فهمنا لوجود سبب (علّة) وراء كل تأثير، ازددنا تقديرًا لعظمة مُسبب الأسباب (العلّة الأولى) وحكمته، أي الله. نتحدث خليقة الله إلينا.

«السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ مَجْدَ اللَّهِ وَالْفَلَكَ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ»
(مز ١٩: ١).

فما مدى حُسن إنصاتنا إلى ما تخبرنا به الخليقة؟ تقدم السماوات عرضًا طوال الوقت، فهل نشاهده؟ تصف لنا بقية هذا المزمور حكمة الله وقوانينه في الخليقة.

كما يبيّن المزمور ١٠٤: ٢٤ علاقة الحكمة بالخلق:

«مَا أَعْظَمَ أَعْمَالِكَ يَا رَبُّ! كُلُّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ. مَلَأْتَهُ الْأَرْضُ مِنْ غَنَائِكَ.»

يرينا نظامنا البيئي كل دلائل التخطيط الإلهي. وما زلنا في البداية عندما يتعلق الأمر بفهم ذلك التوازن الدقيق المعقد الذي نفسده بالانفايات التي نلقيها هنا وهناك. فالنظام البيئي مرن بشكل مدهش. تستغرق بعض الغابات مئات السنوات لتنمو ليتم تحويله إلى رماد خلال ساعات من شرارة صغيرة سببها الإهمال. ولكن بعد أسابيع، تبدأ أولى علامات تجدد الحياة في الظهور من خلال الأرض المتفحمة. لكن العالم هو أيضًا متقلقل بشكل غير عادي، فلو مال محور الأرض مقدار جزء من درجة واحدة فقط، فإن بعضنا سيحترق بينما سيتجمد بعضنا الآخر.

إن من شأن إلقاء نظرة واحدة على نظام الكواكب والمجرات كافية أن يثبت روعة عمل الله. كان والدي مدرس علوم، وكثيرًا ما كان يأخذنا لنراقب النجوم من خلال التليسكوب الخاص به، وكان يقول لنا: «أتعلمون؟ من الصعب أن تجدوا علماء فلك ملحدين. ببساطة، لن تجدوا.»

ليس علينا أن نذهب إلى أبعد حد للتفكير لنذكر روعة الخلق. هل سبق لك أن تمعّنت في جسم الإنسان؟ إنّه شهادة مذهلة عن خالق مبدع وحكيم! نحن، بكلمات كاتب المزامير، كائنات قد «امتازت عجبًا». فالطرق المتوازنة والكفؤة التي تعمل بها أنظمتنا الجسدية غير قابلة للاستيعاب.

وقدرة الجسم على إصلاح نفسه هي واحدة من أكثر الجوانب إدهاشًا في حكمة الله في الخلق. تخيّل شخصًا لم يسبق له أن رأى الدم من قبل وجرح يده عن طريق الخطأ. قد يكون الأمر مرعبًا، ولكن هذا ليست مشكلة كبيرة. فكل ما نقوله له قد يكون: «لا تقلق، سيُشفَى الجرح من تلقاء نفسه بشكل معجزي.» هل تعلم أن كسر العظام، حتى الكسر المضاعف، يُشفى بطريقة بحيث تبدأ العظام تمتلئ من الجانب حيث الحاجة الأكبر؟ فمن الذي علّم الجسم أن يتصرف هكذا؟ يمكن للحمض النووي DNA الموجود داخل خلية واحدة أن يمتد أمتارًا، وبشكل ما، تعرف كل خلية من خلايا جسدك بالضبط ما يجب القيام به في أي وقت معين من الأوقات. وأيضًا الدماغ البشري - حتى أفضل أجهزة الكمبيوتر لدينا لا تضاهيه سرعة ولا سعة!

كانت إحدى مدرّسات علم الحركة في أثناء الدراسات العليا غير مؤمنة. وكانت مع ذلك تحمل هيكلًا عظميًا وتتحدث عن التصميم البشري ونظامه بانبهار شديد. كانت تنظر إلى الهيكل العظمي في رهبة وتقول إنها لا يمكنها فهم كيفية تصميمه والفعالية التي يعمل بها. فرغم أنها فوّتت لمحات الخالق، كانت مفتونة تمامًا بخليقته. إنّه لتصميم مدهش فعلاً.

■ من خلال العناية

يكشف الله أيضًا عن حكمته من خلال العناية الإلهية. في المصطلحات اللاهوتية، يُستخدَم هذا المصطلح ليصف كيف يجعل الله كل الأشياء تعمل معًا من أجل الخير. وهو يوفر كل ما هو مطلوب لتحقيق أغراضه. يقول مزمو ٣٣: ١٠-١١،

«الرَّبُّ أَبْطَلَ مَوْامِرَةَ الأُمَّمِ. لَأَشَى أَفْكَارَ الشُّعُوبِ. أَمَّا مَوْامِرَةُ الرَّبِّ
فَإِلَى الأَبَدِ تَثْبُتُ. أَفْكَارُ قَلْبِهِ إِلَى دَوْرٍ قَدُورٍ.»

قد يبدو التاريخ خارج عن السيطرة أو عشوائيًا في بعض الأحيان، لكن الله هو الحَكَم النهائي للنجاح والفشل. ويُتكرر هذا الموضوع في العهد الجديد على لسان بولس:

«وَتَحْنُ نَعْمُ أَنْ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ
الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوعُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ.»
(رومية ٨: ٢٨).

يضع الله مقاصد للأشخاص وللشعوب على حدٍّ سواء. أحب سماع القصص التي يرويها الناس عن حكمة الله في حياتهم. أحيانًا يحدث مكرهه في حياة شخص ما، لكنه يدرك بعد ذلك أنه لم يكن ليلتقي بشريك حياته لو لم يحدث ذلك.

قد يمشي آخر في طريق «خطأ» وينتهي به الحال بالعثور على وظيفة. سمعت شخصًا يحكي كيف تحطمت ساقه، ما تسبب في أن يظل عالقًا في المستشفى لعدة أيام. وخلال فترة الإحباط تلك قرأ كتابًا تعرَّف من خلاله إلى المسيح. وعلى ما يبدو لا يتردد الله في السماح بكسر ساقك (أو ما هو أسوأ) إذا كان ذلك سيرتب لقاء كما.

لقد شهدتُ عناية الله مرات عدة. شاركت في بداية هذا الفصل كيف كنت مستعدًا للتخلي عن الحياة المسيحية كلها.

أنهى الله عملي، وشعرتُ بالإحباط واليأس. في بداية الأمر، كنت في حاجة لتوفير الطعام لعائلتي فحسب. دعنتني مجموعة صغيرة من خمسة وثلاثين شخصًا في بلدة صغيرة لأكون راعيهم. لم يكن لديهم حتى مصباح لينير المنبر.

جلست أنا وتيريزا في مطعمٍ صينيٍّ نتحدث عما إذا كانت هذه هي إرادة الله فقالت لي: «من فضلك لا تأخذني إلى هناك» ودموع الخوف تنهمر على وجنتيها.

قلت لها: «حبيبتي، أعتقد أن هذه هي إرادة الله في حياتنا». فأطرقت برأسها وبكى كلانا ثانية. لم نكن نشعر بعناية الله في ذلك الوقت، لكننا تعلمنا. أنا أعلم اليوم أن بعض أعظم الناس على وجه الأرض موجودون في كوفمان، تكساس. كنت أنا وعائلتي في حاجة إلى ما قضى الله أن يعطونا هؤلاء الناس. وعلى ما يبدو أنهم بدورهم كانوا في حاجة إلى ما قضى الله أن نعطيهم. كنا نستطيع أن نقول بسهولة إننا لا نعتقد أنّ من الحكمة الذهاب إلى هناك في تلك المرحلة من حياتنا، وكنا سنكون مخطئين. لقد كان لله خطة أفضل في حكمته.

■ من خلال الفداء

يكشف الله أيضًا عن حكمته من خلال خطة الفداء. تعني كلمة «الفداء» حرفياً «إعادة الشراء».

كما تشير إلى تلك العملية التي استخدمها الله في حكمته من أجل إعادة العلاقة مع ذلك الجزء من الخليقة الذي باع نفسه إلى العبودية والخطيئة - أنا وأنت.

غير أن الله خطط في حكمته من قبل تأسيس الأرض أن يفقدنا لنفسه. ولأنه قدوس، كان عليه أن يدين خطيئتنا وتمردنا. وأرادت محبته استردادنا. وطالب عدله بتسوية.

ووقّرت النعمة النية لفدائنا، ثم قامت الحكمة مع أخذ جميع صفات الله الأخرى في الاعتبار – بوضع الخطة التي تبدأ الفداء وتنتهي بحكمة الله.

كان لا بدّ من علاج شافٍ مُرضٍ من الخطية والتمرد ضد الإله الكامل والقدوس. لذلك وجب أن تكون هناك تضحية كاملة. فمات يسوع، الله المتجسد، على الصليب سافكاً دمه فداءً لخلاصنا. وصف الكتاب المقدس عملية دفع الثمن بهذه الطريقة:

«لأنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ وَيَبْذَلَ نَفْسَهُ
فِذْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ.»
(مرقس ١٠: ٤٥).

لنستكمل القصة، أخذت حكمة الله العالم الروحي على حين غرّة. رأى الشيطان والملائكة الساقطين ابن الله آتياً إلى العالم واعتقدوا أنها خطة حمقاء محكومة عليها بالفشل. فتاة في سنّ المراهقة في إسطنبول؟ صبي نجار؟ من المستحيل أن تنجح.

كانوا يسخرون ويتآمرون بينما كان يسوع يكبر كطفل مثالي. اجتاز التجربة في البرية واختار تلاميذه وبدأت خدمته. ولم يحط يسوع نفسه بنخبة من كبار العلماء ليكونوا أصدقاء له. بل اختار طاقماً متنافراً من الصيادين والكذابين واللصوص، إضافةً إلى ثائر غيور وشخص منبوذ.

لابد أن الشيطان كان يفكر وقتها، «سنسحقه بكل تأكيد».

كانت المؤامرة الشريرة لا تشوبها شائبة لدرجة أبهجت قوى الشر بشدّة. ضحكتُ بينما علّق يسوع على الصليب. وأضاف الشيطان مخاطباً أعوانه: «لقد لفقنا الاتهامات، وقتلنا المسيح، وسنفوز الآن بكل شيء.»

هذه هي حكمة المخلوق. أما الله فيرى في حكمته، أنّه أفضل أن يموت شخص واحد حتى يتسنى للآخرين جميعاً أن يعيشوا إلى الأبد.

ولذلك دفع يسوع طوعاً هذا الثمن. أمّا من وجهة نظر المخلوق، فقد فشل يسوع فشلاً ذريعاً. لم يدرك أعداؤه ما كان يعنيه عندما صرخ بصوت عظيم: «قد أكمل!» (قد انتهى) بينما كان معلقاً على الصليب. اعتقدوا أنّه هو الذي انتهى، ولكنهم كانوا مخطئين.

نزل يسوع إلى باطن الأرض مدة ثلاثة أيام. وفي ذلك الوقت أعلن النصر على أعدائه: هزم الخطية، وغلب الموت، وأعلن النصر. تقول كولوسي ٢: ١٥ إنه جرد الشياطين من أسلحتهم وأخرجهم. قلب المسيح الطاولة على إبليس وتمّ الفداء بالضبط كما هو مخطط من قِبَل حكمة الله.

■ من خلال المسيح، ابنه

إن أكمل صورة لحكمة الله هي المسيح نفسه. كورنثوس الأولى ١: ٣٠ يقول:

«وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ وَبِرّاً
وَقِدَاسَةً وَفِدَاءً.»

المسيح هو حكمة الله. إذا كنت تريد أن تفهم كيف يجب أن تعيش الحياة، كُن على صلة بالمسيح واتبعه، وستكون في قلب حكمة الله.

لن يؤثر المسيح فيك داخلياً فحسب، بل ستفويض حكمته على الناس من خلالك أيضاً.

«وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقَ فَهِيَ أَوْلَا طَاهِرَةٌ، ثُمَّ مُسَالِمَةٌ، مُتَرَفِّقَةٌ،
مُدْعِنَةٌ، مَمْلُوءَةٌ رَحْمَةً وَأَمَّارًا صَالِحَةً، عَدِيمَةٌ الرِّيْبِ وَالرِّيَاءِ.»
(يعقوب ٣: ١٧).

عندما تبدأ في العيش وفقاً لهذه الحكمة، تصبح علاقاتك رائعة، ويتمجد الله من خلالك، وتمتلئ حياتك بالسلام والسرور. فكيف يمكننا الاستفادة من هذه الحكمة الخارقة في حياتنا؟

■ كيف نتجاوب مع حكمة الله؟

عندما يسمح الله ببعض الظروف أو يجلب بعض الأحداث إلى حياتنا أو يرتبها - مهما كان عدد العلاقات أو التأثيرات أو العوامل أو القرارات المرتبطة بالحدث - فإن الله يعرف كل شيء وكل شخص، كل ما هو فعلي وممكن. يتتبع الله آثار كل ما يحدث لك ومن خلالك ومن حولك أنت وكل شخص آخر، إلى الأبد. نحن نعتقد أن هذا غير ممكن، لكن غير الممكن بالنسبة إلينا هو سهل جدًا كلعب الأطفال بالنسبة إلى الله.

من المؤسف أنني أستطيع أن أعرف كل شيء عن حكمة الله، ومع ذلك أفشل في الاستفادة مما أعرفه. أستطيع أن أعرف أنه كشف عن حكمته في الخلق وفي العناية الإلهية وفي الفداء وفي المسيح، ولكن ما زلت أسأل أسئلة مثل: ما الذي ستصنعه لي حكمة الله صباح الاثنين المقبل؟

أين حكمة الله عندما لا نكون أنا وزوجتي على وفاق؟ أين حكمة الله عندما أكون في أزمة مالية؟ أين هي عندما أشعر بالضغط والثقل والخزي واليأس؟ كيف يفترض أن نتجاوب أنا وأنت مع كل أمر يسمح الله به في حياتنا؟ قد يكون الجواب على هذه الأسئلة بسيطاً إلى حد الخداع: نحن بحاجة إلى أن نتعلم العيش بحكمة. ينصحننا الله،

«فَانظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لَا كَجُهْلَاءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، مُفْتَدِينَ
الْوَقْتَ لِأَنَّ الأَيَّامَ شَرِيرَةٌ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا تَكُونُوا أَغْيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ
مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ.»
(أفسس ٥: ١٥-١٧).

يعني العيش بحكمة العيش وفقاً لكلمة الله. إذا لم تكن متعاونين مع الله، منازين إليه، مسترشدين بكلمته، مصغين لتعليمات روحه في وسط شعبه، فسنعيش حياة بلا حكمة. فإذا كنت لا تسير في طريق حكمة الله، انظر إلى المشقات التي تعاني منها كالدرابزين الذي يحميك من السقوط. فقد وضعها الله لتوجيهك ولإعادتك إليه مرة أخرى. وأما اصطدامك بذلك الدرابزين فقد يؤلمك! ومع ذلك يقول الله: «هل من الممكن أن تلتقط هذه الشمعة التي قدمتها لك حتى تتمكن من إعطائك اتجاهًا واضحًا حول كيفية العيش وفقاً لطريقتي، في زواجك أو في حياتك كعازب أو مع أطفالك أو في أموالك، أو في الجزء الخاص باتخاذك لقراراتك؟»

وهذه الشمعة هي كلمة الله،

«سِرَاجٌ لِرَجُلِي كَلَامُكَ وَنُورٌ لِسَبِيلِي.»

(مزمو ١١٩: ١٠٥).

عندما تسير في نور شمعة الله (كلمته)، ستكتشف ما لا يقل عن أربعة شروط مسبقة للعيش بحكمة:

١. الحياة بحكمة تبدأ بتوقير الله.

«بَدَأَ الْحِكْمَةَ مَخَافَةَ الرَّبِّ وَمَعْرِفَةَ الْقُدُوسِ قَهْمٌ.»

(أمثال ٩: ١٠).

يعني خوف الرب في الأساس أن تدرك بشكل شخصي أن الله هو الخالق والسيد، وأنه رئيس هذا الكون، وقدوس ومهيّب، وأنت تختار، تجاوبًا مع هذا الأمر، أن تعيش الحياة وفقاً لطريقته وأن تخضع لسلطان كلمته. تبدأ هذه العملية بخطوة إيمان هامة. وإن أول قرار وأعظمه وأحكمه يمكنك اتخاذه هو الحصول على الخلاص الذي يقدمه الله مجانًا. سأعيد صياغة مقولة المبشر جيم إليوت: «إنه ليس من الحماقة أبدًا أن تستبدل الحياة التي شوّهتها الخطية والتي لا يمكنك أن تحتفظ بها بالحياة الأبدية التي لا يمكن أن تفقدها أبدًا.»

يجب أن تطلب من المسيح أن يصير مخلصك، وهو طلب لا يمكنك أن تطلبه بجدية إلا إذا كنت على استعداد أيضا أن تقول: «أنا في حاجة ماسة إليك، وأشتاق إلى أن أعيش حياتي خاضعا لإرادتك.» ومن دون مخافة الرب، لا توجد حكمة. هذه هي البداية. إذا كنت خارج دائرة المسيح، عليك بالدخول فوراً. تُب عن خطيتك واطلب منه أن يأتي إلى حياتك على الفور. وإذا كنت مؤمناً تسير بعيداً عن حكمة الله، مثلما كنا جميعاً، فاعترف بهذا وصحح الأمر. وإذا كنت تعترف ببساطة بأن إكرامك لله هو في أدنى مستوياته، فلم لا تتوقف الآن وتعيد ترتيب أولوياتك؟ ما هو الخلل الذي حدث في حياة التكريس لديك؟ ما الذي يحول بينك وبين حبك لله؟ خذ بضع لحظات الآن واطلب منه المساعدة لتزويدك برؤية جديدة لما يستحقه من عظمة وجلال في قلبك.

٢. النمو في الحياة بحكمة من خلال كلمة الرب.

تبدأ الحياة الحكيمة مع توقيرننا لله، وتنمو من خلال تلقي كلمته. يصف مزمو ١٠٩: ٩٧-١٠١ العملية:

«كَمْ أَحْبَبْتُ شَرِيعَتَكَ! الْيَوْمَ كُلُّهُ هِيَ لَهْجِي. وَصَيْتُكَ جَعَلْتَنِي أَحْكَمَ
مَنْ أَعْدَائِي لِأَنَّهَا إِلَى الدَّهْرِ هِيَ لِي. أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ مُعَلِّمِي تَعَقَّلْتُ لِأَنَّ
شَهَادَاتِكَ هِيَ لَهْجِي. أَكْثَرَ مِنَ الشُّيُوخِ فَطِنْتُ لِأَنِّي حَفِظْتُ وَصَايَاكَ.
مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ شَرٍّ مَنَعْتُ رِجْلِي لِكَيْ أَحْفَظَ كَلَامَكَ.»

يعطي الله الحكمة، لكنها لا تُمنح فجأة. إذ تأتي حكمة الله من خلال كلمته. كما ذكر بولس تيموثاوس الثانية ٣: ١٥-١٧

«وَأَنَّكَ مُنْذُ الطُّفُولِيَّةِ تَعْرِفُ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ، الْقَادِرَةَ أَنْ تُحْكَمَكَ
لِلْخَلَاصِ، بِالْإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَى بِهِ
مَنْ اللهُ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِيهِ الْبِرُّ،
لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانٌ اللهُ كَامِلاً، مُتَأَهِّباً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ.»

كان الرسول المسن يقول: «يا تيموثاوس، أتريد ضوءً يساعدك على اتّباع الله في كل مجال من مجالات حياتك؟ إن كلمة الله هي المصباح.» لديّ نفور من قراءة التعليمات، وقد تعلّمت من خلال تجربة مؤلّمة أن أنتبه من المنتجات التي تحمل الإشعار: «تطلب بعض التجميع والتركيب». تشهد المشواة المعقوفة والدراجات المتهداية على افتقاري للمهارات الميكانيكية، إضافة إلى فشلي فشلي في قراءة التعليمات.

لكن عندما يتعلق الأمر بالحياة، لا أستطيع أن أقول، «لم يكن لديّ الوقت لقراءة كتيّب التعليمات». تصبح أمورٌ كثيرةٌ على المحك عند عدم الالتفات إلى كتيّب التعليمات الخاص بالله.

إن تخصيص الوقت لقراءة الكتاب المقدس بانتباه وانتظام أكثر أهمية من قضاؤه في تصفح الانترنت أو الفيس بوك أو مشاهدة مسلسلك المفضل، أو متابعة أي برنامج تلفزيوني آخر. إنه أكثر أهمية من صحيفة وول ستريت جورنال أو نيويورك تايمز أو أية صحيفة أخرى. إنها أكثر قيمة من اتّباع نظام غذائي يومي وممارسة الرياضة. كلمة الرب، إلى جانب التنفّس، هي سرّ عيش حياة حكيمة.

لقد ساعدني القرار الذي اتخذته منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا في تطوير بعض التدريب في هذا المجال. جاهدتُ خلال السنوات القليلة الأولى من حياة الإيمان، شأني شأن مؤمنين كثيرين، لأقرأ كلمة الله بشكل منتظم. ولذلك قررتُ: إذا لم أقرأ الكتاب المقدس، لن أذوق الطعام. فأصبحت لا أذوق الطعام إلا بعد قراءة كلمة الله كل يوم. وبطبيعة الحال، ليس هذا شرطًا ولا قانونًا.

إنه مجرد قرار شخصي. فأنا أحب تناول الطعام، وعادة ما أستيقظ جائعًا، لذلك وسّعت مفهوم تناول وجبة الإفطار ببساطة ليشمل جزءًا يوميًا من كلمة الله. لقد كانت هذه أفضل عادة شكّلتها في حياتي

لم أكن قادراً على اتخاذ الخطوة التالية في العيش بحكمة ولا أن أسأل الله عن أفكاره بشأن القضايا الهامة حتى بدأت أنغذى على حكمة الله بانتظام.

■ ٣- يتطلب الحصول على الحكمة أن نطلبها بشكل محدد من الله.

الاطلاع على حكمة الله من خلال قراءة كلمته هو شيء، لكن تطبيق تلك الحكمة في الحياة الحقيقية شيء آخر. وتنطوي الحياة بحكمة على طلب الحكمة بشكل محدد من الله. يقول يعقوب:

«وَأَمَّا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعَوِّزُهُ حِكْمَةٌ فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلَا يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ. وَلَكِنْ لِيَطْلُبْ بِإِيمَانٍ غَيْرِ مُرْتَابٍ الثَّبَتَةَ، لِأَنَّ الْمُرْتَابَ يُشْبِهُ مَوْجاً مِنَ الْبَحْرِ تَخِطُّهُ الرِّيحُ وَتَدْفَعُهُ.»
(يعقوب ١: ٥-٦).

ما دمنا في هذه الحياة، سنمرّ بلحظات يظهر فيها نقص الحكمة لدينا. وعندما نطلب من الله أن يمدنا بحكمته، فإننا نلجأ بذلك إلى المصدر المطلق للحكمة. ولكن علينا أن نطلب بثقة. يقول يعقوب عن المرتاب:

«لَا يَظُنُّ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يَتَّالُ شَيْئاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ.»
(يعقوب ١: ٧).

تعني كلمة المرتاب في هذه الآيات حرفياً «ذو رأيين» أو «متقلقل»، شخص ذو عقل منقسم وروح ذات ولاءات منقسمة. لا يمكننا أن نطلب من الله الحكمة من أجل تقييم خياراتنا الخاصة والقيام بما نريده نحن. هذا هو ازدواج الفكر الذي يشير إليه يعقوب. إذا كنت تسأل الرب ببساطة من أجل معرفة رأيه فحسب، فلن تحصل على إجابة.

العيش بحكمة هو الاعتماد الكامل على مصدر الحكمة. يجب علينا أن نتعلم أن نرى كل قرار كفرصة لطلب الحكمة من الله.

إنَّه لا يمانع علي الإطلاق عندما نأثي له معترفين، «يا رب، أنا لا أعرف ما يجب القيام به في هذا الزواج، أو ما يجب القيام به بخصوص هذا القرار المصيري، أو لا أعرف كيفية التعامل مع هذا الطفل، أو لا أعرف ماذا أفعل مع مواردنا المالية، أو لا أعرف ما إذا كان عليّ المضي قدمًا، أو لا أعرف ما إذا كان ينبغي أن أقبل بهذه الوظيفة.» ولكننا لا ينبغي أن نتوقف عند هذا الحد.

أما الطلب غير المرتاب فيكون كالتالي: «يا رب، أنا أطلب منك أن ترشدني وأنا أقول لك مقدّمًا إنني سأتبع توجيهاتك. ها توقيعي في الجزء السفلي من أمر العمل. يمكنك كتابة التعليمات أعلاه وسأنفّذها وأطيعها. وسأفعل كل ما ستقوله.»

في مثل تلك الحالات، يقول الله، «سأعطيك الحكمة.» وهو يعطي الحكمة من خلال كلمته أحيانًا، وفي أحيان أخرى من خلال المشورة الحكيمة، وفي مرات أخرى من خلال الظروف. تذكر أن الحكمة التي نتلقاها لن تتعارض مع ما ذكره الله في كلمته. فلا قيمة لأفضل نصيحة في العالم إذا انطوت على تجاهل ما يقوله الله.

لقد وجدت في كثير من الأحيان أن الله يستخدم المُشيرين الحكماء والظروف المحيطة بنا ليعطينا الحكمة. تعرضت ذات مرة للخيانة من قِبَل صديق، ولم أكن متأكدًا كيف ينبغي عليّ التعامل مع الأمر. كنت أعرف أنني بحاجة إلى مواجهة الشخص، وظلّ عقليّ يحثني على أن أواجه بطريقة عنيفة وأنهى الأمر مباشرة. كنت قد تدرّبت في ذهني مرّات عدّة على ما وددت أن أقول وعلى كيفية قوله، ولكن في كل مرة فتحت الكتاب المقدس كنت أشعر بتحدٍّ للحصول على المشورة الحكيمة والتعامل مع الأمر بتروّ.

أجبرت نفسي قسرًا على الطاعة وسمعت الرأي نفسه من اثنين من المُشيرين الحكماء: «إنّ الكتاب المقدس كان يوجّهني مرارًا وتكرارًا للقيام بإزالة الخشبة من عيني قبل أن أذهب لإزالة القذى من عين صديقي.»

وبفضل هذين المشيرين الموثوق بهما، اخترت أن أكون كريمًا مع ذلك الشخص، وأصبحت قادرًا على رؤية أن الصراع لا ينطوي على سلوكه غير المناسب فحسب، بل على الكبرياء الموجود في حياتي أيضًا. ومن خلال تعليمات الكتاب المقدس ومشورة رجال الله الأمان، منعني الله من فتح فمي وإلحاق الضرر بعلاقة هامة. لماذا؟ لأنني كنت في ضوء الكلمة وطلبت الحكمة بشكل محدد.

قضيت جزءً كبيرًا من السنوات العشر الأولى من حياتي الجديدة كمؤمن بالمسيح في حيرة في ما يتعلق بإرادة الله، وكنت غارقًا في بحر من القرارات الهامة التي يجب اتخاذها. شعرت بأن ثقل العالم كله فوق كتفي ولم أكن أعرف ماذا أفعل. شكلت معرفتي بضرورة اتباع كلمة الله (يعقوب ١: ٥) والصلاة خصيصًا من أجل طلب الحكمة نقطة تحول رئيسة في حياتي. وكان الجزء الصعب هو الاستعداد للقيام بكل ما يقوله الرب، لكن كلما تعلمت أن أثق، رأيت بشكل تدريجي كيف يجعل الله إرادته أكثر وضوحًا وأسهل للفهم مما كنت أتصور.

فماذا عنك؟ فكيف تُبلي مع هذا الجزء من الحياة بالحكمة؟ هل تطلب الحكمة من الله في القرارات الكبيرة والصغيرة؟ وعندما تحصل عليها، هل تتصرف وفقًا لها؟ إذا كنت تتوق إلى اتباع مشورة الله الحكيمة لكنك ما زلت تجد صعوبة، ربما سيساعدك شرط آخر أساسي على تعلم سماع صوته. يتوقف الأمر بأكمله على الثقة.

■ ٤. تنطوي حياة الحكمة على تعلم الثقة بالله بشكل كامل

هذه الخطوة الأخيرة مرتبطة بكل من الخطوات السابقة. ينطوي توكير الله على الثقة به. لن يكون لقراءة كلمة الله بشكل منتظم تأثير يُذكر إذا كنا لا نثق بحق تلك الكلمة ومصدرها. ولن يعني طلب الحكمة من الله الكثير إذا كنا منقسمي الرأي من دون أن نثق برغبته ودوافعه. وفي نهاية المطاف، تتطلب حياة الحكمة تدريبًا يوميًا على الثقة إلى أن نقول من أعماق قلوبنا:

«كل ما يأتي في طريقي هو من يد إله مُحبٍ وصالح، يعرف كل الأشياء الفعلية والمُحتمل حدوثها، ويمارس سلطانه غير المحدود لتنفيذ أفضل النتائج الممكنة، من خلال أفضل الوسائل الممكنة، لتحقيق أفضل الأهداف الممكنة بالنسبة إليّ.»

يجب أن يكون الحديث عن حكمة الله أكثر من مناقشة لاهوتية شائقة. إنها حقيقة تتضمن القوة على تغيير وجهة نظرنا ومواقفنا حتى تجاه أكثر الظروف صعوبة في الحياة.

وبعبارة أخرى، ما هي الظروف الأكثر صعوبة في حياتك الآن؟ فكّر في أحد الأمور الصعبة: مشكلة مستمرة، علاقة محطمة، سؤال محير، أو قرار مؤلم. كيف سيبدو الأمر إذا آمنت حقًا بأن الله هو كليّ الحكمة وقد سمح فعلاً بتلك الظروف في حياتك لغرض معيّن؟ هل لي أن أقترح أن إدراكنا لحكمة الله ينقذنا من الشفقة على النفس، ومن «عقلية الضحية»، ولوم النفس، والمشاعر السلبية التي تصاحب الإجابات غير الشافية؟

يشرح جي. أي. بايكر تأثير إدراك حكمة الله في حياتنا قائلاً:

«حكمة الله هي دائماً نشطة ولا تفشل أبداً. تشهد كل أعماله من الخليقة والعناية والنعمة عن حكمته، ونحن لا نرى تلك الأعمال كما هي حقاً إلى أن نتمكن من رؤية حكمة الله فيها. ولكننا لا نستطيع أن ندرك حكمة الله ما لم نكن نعرف الغاية التي يعمل من أجلها. ليست حكمة الله، ولم تكن قط، من أجل الحفاظ على هذا العالم الساقط في حالة من السعادة، أو لجعل الخطية مريحة. لم يعد الله حتى المؤمنين بحياة خالية من المتاعب، بل العكس هو الصحيح. إذ لدى الله أهداف أخرى للحياة في هذا العالم أبعد من مجرد جعلها سهلة للجميع.»

فما الذي يسعى إليه إذًا؟ ما هو هدفه؟ ما الذي يهدف إليه؟ إنه يخطط إلى أن يتوصل عدد كبير جدًا من البشر إلى أن يحبّوه ويكرموه.

وهدفه النهائي هو أن يوصلهم إلى حالة يرضى عليها تمامًا ويصير تسبيحهم له لائقًا، حالة يصبح فيها هو كل شيء بالنسبة إليهم، ويسعدون بحبه كما يسعد بحبهم، ويبتهجون بحبه المخلص الذي أحبهم به منذ الأزل، ويفرح الله بحب الناس استجابة لحبه، الحب النابع منهم بفضل النعمة التي لمسوها من خلال الإنجيل.»

لن نستطيع أن نثق بما يفعله الله في حياتنا حتى نكتشف هدفه النهائي ونجعله شخصيًا. ليس هدفه الأساسي جعلنا سعداء وأصحاء وأثرياء ورائعين. إنه لا يعدنا بجعل حياتنا سهلة ولا يضمن أن الأمور سوف تسير بسلاسة. فرغم أنه ملتزم التزامًا أبديًا بتقديم الأفضل لأولاده. إلا أن هذا «الأفضل» ربما لا يكون بالضبط ما يعده الكثيرون منا «نجاحًا» في الحياة

الله صالح، وهو صاحب السلطان. وحتى في وسط عالم ساقط، يمكننا أن نستريح عارفين أنه يعمل من أجل تحقيق أفضل النتائج الممكنة بأفضل الوسائل الممكنة، ليجعلنا أنا وأنت في نهاية المطاف مثل ابنه يسوع.

تجربتي الشخصية مع حكمة الله

كان العام ٢٠٠٢. كنت قد صليت وضمنت وطلبت المشورة وتضرعت وحصلت أيضًا على وعد من الله في ما يتعلق بالخطوة الكبيرة التالية في حياتي. سأترك كاليفورنيا، وأترك الكنيسة، وأترك ابنا الذي صار شابًا، وأترك منزلنا، وأترك الرعوية. وستترك ابنتنا مدرستها في منتصف دراستها الثانوية، من أجل الانتقال إلى أتلانتا لتولي قيادة منظمة مسيحية كان مؤسسها قد قادها لسته وعشرين عامًا.

كنت أعرف طبيعة الطاعة، لكن لم يبدُ الأمر حكيماً بما يكفي. رأيت الإمكانيات الهائلة للثمار الروحية، ولكن في الوقت نفسه شعرت بأن توقيت الله لا يمكن أن يكون أسوأ.

بعد أيام من اتخاذ القرار، كانت والدة تيريزا تعاني من مضاعفات ما بعد الجراحة أسفرت عن تسعين يوماً في العناية المركزة تلاها انتقالها لتكون مع الرب. كان منزلنا في كاليفورنيا قد غزاه النمل الأبيض، وتضررت سيارتنا في عاصفة ثلجية أثناء شحنها عن طريق البحر، ووصل الأثاث قبل أن يكون المنزل جاهزاً، وسقطت ثلاثتنا أثناء نقلها وصار لا بد من استبدالها. ووصلت ميزانيتنا إلى القاع، وانخفضت التبرعات بنسبة ثمانية وثلاثين بالمئة، ما وضع الخدمة في أزمة مالية. كانت زوجتي حزينة بسبب الخسائر المتعددة إضافةً إلى خضوعها لجراحتين في الفم في الأشهر القليلة الأولى التي تلت وصولنا إلى أتلانتا.

أين كان الله؟ كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ هل هكذا تكافئ الطاعة يا رب؟ ألم تر هذا قبل أن يحدث يا رب؟ أو أسوأ من هذا، هل رأيت كل ذلك قادماً وسمحت له بأن يحدث رغم ذلك؟ هل اتخذتُ أنا أسوأ قرار في حياتي؟ هل تُرى توجد خطيئة مظلمة لا أعلم بها ويتم تأديبي بسببها؟

مرّت كل تلك الأفكار وأكثر منها في ذهني خلال لقائي اليومي مع الله في ساعات الصباح محاولاً التركيز من أجل سماع صوته والحصول على ما يكفي من النعمة لأستمر ليوم آخر. كان أصعب عام في حياتي. بكيته إلى الله، كما بكيته بيني وبين نفسي أيضاً. شعرت باليأس والعجز أكثر من أي وقت آخر في حياتي المسيحية. دفعني أمران فقط إلى الأمام: هذا الوعد الذي أخذته من الله، ومعرفتي بحكمته.

كان لديّ اشتياق إلى نمو أعمق في الصلاة، ودفعتني الأزمات المتعددة إلى الركوع على ركبتيّ. غالبًا ما يعني تسلّم القيادة بعد المؤسس كارثة بالنسبة إلى القائد التالي، لكن الأزمة الاقتصادية خلقت فريقًا من القادة والموظفين الذين تعلموا الصيام، والتخلي، والتضحية بطريقة ساعدت على بناء الوحدة داخل المؤسسة. فلم تتأقلم ابنتي التي كنت قلقًا جدًا بشأن نقلها من مدرستها فحسب، بل ازدهرت أيضًا. وقد طوّرت التحديات إيمانها ومواهبها وقدراتها القيادية بطريقة ما زالت تدهشني.

التقى ابني الكبير الذي تركناه خلفنا زوجته المستقبلية وتزوج وقضى سنة كمتطوع بفريق «الحملة الجامعية» **Campus Crusade** قبل أن يعود إلى وظيفته كطبيب علاج طبيعي.

ومرت زوجتي في فترة حداد بكل ما للكلمة من معنّى. وحان الوقت لتعود لطبيعتها، ولعائلة الكنيسة الجديدة التي ظلت بجانبها وسط آلامها.

وأدّت الأزمة الاقتصادية إلى تغيير نموذج الخدمة تمامًا، ونما العدد نتيجة لذلك من عشرين ألف راعٍ ومعلمٍ في تسعة عشر بلدًا، ليصل إلى تسعين ألف راعٍ ومعلمٍ في أكثر من مئة دولة. نحن نميل إلى الاعتقاد بأن إرادة الله و«الراحة والبركة» تسيران يدًا بيد. لكن هذا لم يحدث مع يسوع أو التلاميذ أو الكنيسة على مر التاريخ. ولكن بطريقة أو بأخرى، تسببت الصعوبات والألم الذي واجهنا في إثارة تساؤلات بخصوص إرادة الله وحكمته. أتذكر هنا كلمات يسوع،

«الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الْأَرْضِ وَتَمُتْ
فَهِيَ تَبْقَى وَحَدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ.»

(يوحنا ١٢: ٢٤)

ليست الحياة دائماً سهلة، لكن الله في حكمته يجلب أفضل النتائج الممكنة، من خلال أفضل الوسائل الممكنة، لأكبر عدد ممكن من الناس، لأطول وقت ممكن. أنقذتني هذه الحقيقة والوعد من الله من اليأس والاستسلام عندما بدت حياتي مستحيلة تمامًا.

عش ما تعلمت

يستخدم الله ثلاث ممارسات أساسية في حياة كل مؤمن لكي يساعده على النمو والنضج. عندما تحرص على تنفيذ تلك الممارسات باستمرار من قلب صادق، لن تنمو روحياً فحسب بل ستعيش حياة ذات معنى وأكثر أهمية.

■ **اقض بعض الوقت يومياً مع الله:** التق باله يومياً بشكل شخصي من خلال قراءة كلمته والصلاة لكي تستمتع بحضوره. استمع إلى توجيهاته واتبع مشيئته.

■ **اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين:** قم بتنظيم وقتك خلال الأسبوع بحيث تسنح لك الفرصة للتواصل مع المؤمنين الآخرين في علاقات آمنة توفر الحب والدعم والشفافية والتحديات والمساءلة.

■ **كن مخلصاً للمهمة الموضوعة عليك:** اجعل من توصيل محبة يسوع إلى الآخرين من خلال الخدمة وأعمال التضحية أسلوب حياة في منزلك وعملك وكنيستك وأيضاً في أوقات المرح واللعب.

■ ١- اقض بعض الوقت يومياً مع الله

اكتب التعريف التالي على ورقة ملاحظات أو على هاتفك الذكي أو لוחتك الذكية واقرأه عندما تستيقظ في الصباح وقبل ذهابك إلى الفراش. لا تحاول حفظه، فقط اقرأه بروح الصلاة واسمح لحقيقة حكمة الله أن تناسب بلطف إلى أعماقك.

«إنَّ حكمة الله تخبرنا أنَّ الله سيحقق أفضل النتائج الممكنة، باستخدام أفضل الوسائل الممكنة، لأكبر عدد ممكن من الناس، لأطول وقت ممكن». د. تشارلز رايري

إلى جانب هذا التعريف، اكتب في رومية ١١: ٣٣ وتأمل في هذه الفكرة. سَل نفسك في كل مرة تقرأها: «ما الذي سيكون عليه الحال لو أمنت من كل قلبي في حكمة الله، وفي أنه قد سمح بكل ما أمر به من أجل أهدافه الصالحة؟ ماذا لو كان كل أمر في حياتي جزء من خطته الحكيم؟»

يَا لَعُمِقِ غِنَى اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ
وَطُرْقَهُ عَنِ الْإِسْتِفْصَاءِ! «لَأَنَّ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ
مُشِيرًا؟ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيَكْفَأُ؟». «لَأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ.
لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ.»

رومية ١١: ٣٣-٣٦

انضم إليّ في جعل الصلاة الآتية صلاتك الخاصة خلال السبعة أيام القادمة:

يا سيدي الرب، يا كليّ الحكمة والمعرفة، امنحني بينما
أنظر إلى أهدافك وخطتك في حياتي أن:

- أخافك وأبجلك في حياتي

- أجد شعبي يومياً في كلمتك

- أطلب حكمتك في كل ما أمر به

- أثق بك تمامًا عندما تبدو الحياة غير مفهومة.

ساعدني لأعرف ما هي إرادتك لحياتي وأن أخضع لها بكل أمانة، وساعدني أن أتذكر أنك تعرف بالفعل كل ما حدث وما سيحدث علي مر التاريخ والزمان، الآن وإلى الأبد. لأنك كلي الحكمة تستطيع أن تقدم لي الأفضل في كل ظرف أمر به. أنت تعطي الحكمة لكل من يسأل، وأنا أسألك في اسم يسوع، آمين.

٢- اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين

♦ ينطوي العيش بالحكمة على طلب الحكمة من الله بالتحديد. كيف يمكنك أن تصلي بشكل خاص من أجل أحد أصدقائك أو أفراد أسرتك؟ صل معهم من أجل حكمة الله في حياتهم.

٣- كن مخلصاً للمهمة الموضوعة عليك

♦ قضاء الوقت بانتظام مع كلمة الله أمر ضروري للحياة بحكمة. ما هي الخطوات العملية التي تقوم بها لكي تمتلئ من حكمة الله من خلال الكتاب المقدس؟



8

عدل الله



«حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ أَنْ
تُهِمَّتِ الْبَارَّةُ مَعَ الْإِثْمِ فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالْإِثْمِ.
حَاشَا لَكَ! أَدِيَانُ كُلِّ الْأَرْضِ لَا يَصْنَعُ عَدْلًا؟»

سفر التكوين ٢٥ : ١٨

عدل
الله

في صباح يوم جميل من أيام شهر سبتمبر/ أيلول، استقلّ جيم قطاره المعتاد للذهاب إلى المدينة. وعندما غادر المنزل، بدأ الأطفال في الاستيقاظ، وكانوا لا يزالون في مرحلة التعود على النظام الصباحي لأيام الدراسة بعد الراحة والاسترخاء في خلال العطلة الصيفية. كانت لديه إيماءة أو إشارة خاصة لكل واحد منهم: ضغطة تشجيع على الكتف لابنته المراهقة، وبَعَثرة الشجر للصبي الصغير الذي كان ينمو بسرعة وكأنه يريد اللحاق بإخوته، وعناق كبير للأميرة الصغيرة التي كانت ما زالت تعتقد أن بابا يمكنه أن يقفز من فوق المباني العالية في قفزة واحدة طويلة، بما فيهم ذلك المبنى العالي جدًا حيث كان الأب يعمل. قبّل زوجته وهمس في أذنها، «أنا أحبك» وهي تعطيه ساندويتش الخبز المحمص الذي تناوله في طريقه إلى المحطة.

كان القطار مكتظًا بالركاب. وابتسم مجددًا حين تذكّر حظه السعيد لوجود محطة خروجه مقابل المبنى الذي يضم مقر عمله مباشرة. سار عبر المحطة، وصعد الدرج ليصل إلى بهو مركز التجارة، حيث المصاعد المجهزة لنقله وآلاف الموظفين الآخرين إلى الطوابق العليا. وصل جيم إلى مكتبه ووضع فنجان القهوة على المكتب. خلع معطفه، وكما تعود، توقف للحظة قبل أن يجلس لكي يلقي نظرة عبر النافذة على مدينة نيويورك، موطنه. شرد للحظة، لكنه التفت في الوقت المناسب ليلحظ طائرة على وشك الاصطدام بالمبنى. وكانت هذه آخر فكرة واعية مرت ببال جيم.

لقد سمعنا جميعًا قصصًا عديدة عن الحادث. ولأتجنب التطفل على مأساة شخصية لأسرة برمتها، جمعت في قصة جيم بعض العناصر المشتركة من ضحايا الحادث الحقيقيين. قُتل في هذا الحادث ما يقرب من ثلاثة آلاف من الأبرياء الذين كانوا يمارسون الروتين الطبيعي لحياتهم العادية في ذلك اليوم في الهجوم ذاك. نجا آلاف آخرون.

توفّي أناس من الفئات كافة ، وعاش أناس أيضًا من جميع الفئات. من الذي سمح لهؤلاء الحمقى الضالين بالاستيلاء على طائرتين ليطيروا بهما ويصدموا هذين المبنيين؟ من الذي قرر قائمة الضحايا وقائمة الناجين؟ شعر أولئك الذين شاهدوا تلك المشاهد المرعبة الأسئلة تلك وهي تنمو وتتسع داخلهم جنبًا إلى جنب مع الخوف والغضب والارتباك. أين كان الله في وسط تلك المجزرة؟ لماذا يسمح بأن يحدث هذا المكروه المريب للكثير من الناس الطيبين؟

برزت هذه المشاعر والأسئلة نفسها في أعقاب إطلاق النار في سان برناردينو، كاليفورنيا. حيث قُتل أربعة عشر شخصًا من الأبرياء الذين كانوا يستمتعون بحفل عيد الميلاد من قِبَل المتطرفين الذين تصرفوا بالنيابة عن إلههم. أين كان الله؟ ولماذا سمح لهذه المأساة العنيفة بأن تحدث؟

تثير المآسي الصغيرة أيضًا السؤال الكبير نفسه. كنت أمشي في الممرّ متّجهاً إلى المنبر ذات ليلة قبل العظة في الكنيسة حيث كنت سأتحدث حول هذا الموضوع عندما لفت أحد الأشخاص انتباهي. اتجه لتحتيني وأشار إلى نشرة العظات وقال: «أنا سعيد لأنك ستتحدث عن هذا الموضوع.»

سألته «لماذا؟»

«لقد فقدت زوجتي قبل نحو عامين ونصف العام. كانت صحتها ممتازة. كنا نتمتع بأفضل سنوات زواجنا. ثم أُصيبت بالسرطان وفجأة، ذهبت وتركتني أصارع مع السبب». كان السؤال ما زال يزعجه. كيف يمكن أن يُسمح بحدوث شيء مدمر كهذا؟

يبدو أنني أسمع هذا السؤال في محادثاتي مع الناس يوميًا تقريبًا. وأسمع أيضًا السؤال التوأم؛ لماذا تحدث الأشياء الجيدة للناس السيئين؟ وفي بعض الأحيان يزعجني هذا السؤال الثاني أكثر من الأول.

حتى الناس الذين ليس لديهم اهتمام بالله يهزون رؤوسهم في دهشة. نحن جميعًا نصل إلى النتيجة نفسها عندما نفكر في هذه الأحداث: ليست الحياة عادلة! نشعر بأن الحياة يجب أن تكون عادلة، وتعتبرنا خيبة أمل عميقة عندما لا تكون كذلك، وبشكل خاص عندما نكون نحن من يتعرّض للظلم.

أولئك الذين لا يؤمنون بوجود الله هم عالقون في مشاعرهم. ليس لديهم أي مكان ليذهبوا إليه بخلاف محاولة حل المشاكل الراهنة، والتي غالبًا ما تكون محاولات عقيمة. قد يرغبون في تحميل شخص ما مسؤولية المظالم، لكنهم قد قرروا بالفعل أنه لا يوجد إله. فلا يمكنك أن تحمّل شخصًا غير موجود مسؤولية عالم غير عادل.

أما أولئك الذين يؤمنون بالله منا، فغالبًا ما يواجهون اثنتين من الصعوبات. علينا أن نعبر عن مشاعر الغضب وخبية الأمل الخاصة بنا، وعلينا أن نجيب على الأسئلة التي يطرحها الآخرون:

♦ كيف يمكن أن تؤمن بالله، وبشكل خاص إذا كان صالحًا وعادلًا ، عندما يكون هناك افتقار كبير إلى العدالة في العالم؟

♦ إذا كانت الحياة ليست عادلة، والله هو من خلق الحياة، فكيف نعرف أنه عادل؟

♦ كيف تعرف أن الله عادل وأنت لا تتلقى منه معاملة حسنة؟

♦ كيف يمكنك أن تؤمن بحكمة الله عندما يسمح بأن تحدث أمور سيئة للطيبين وأمور حسنة للأشرار؟

♦ كيف يمكنك أن تثق بالله عندما يكون العالم الذي يسيطر عليه غير عادل إلى هذا الحد؟

ترك هذه الأسئلة صدق في داخلنا. حتى وإن كنا قد شهدنا سنوات من أمانة الله وشعرنا بأن علاقتنا به صارت آمنة، قد تعيدنا مشكلة واحدة لنسأل هذه الأسئلة مرة أخرى. ومن أجل الإجابة عليها، علينا أن نصل إلى فهم بعض الأساسيات، وسمة العدل في شخصية الله هي واحدة من ضمن تلك الأساسيات.

تعريف عدل الله

تستخدم القواميس الكلمات التالية لتعريف العدل: البر، الشرعية، الصدق، النزاهة، الإنصاف، وعدم التحيز. تنطوي العدالة على ولاء ثابت لمعيار معيّن لا يقبل المساومة. يميل فهمنا للعدالة إلى تأكيد فكرة وجود مجموعة خارجية من القواعد أو القوانين التي يجب على المرء اتباعها. لكن عندما يتعلق الأمر بعدالة الله، لا تكون هذه الفكرة صحيحة. فليست العدالة معيارًا يتبعه الله، بل هو نفسه المعيار. وهو غير مسؤول أمام العدالة، لأن العدالة تنبع منه. إنها جزء منه. لاحظ ما يقوله توزر عن عدالة الله:

«تجسد العدالة مبدأ المساواة الأخلاقية. وعلى النقيض، يمثّل الظلم غياب المساواة عن الفكر والفعل الإنسانيين، والحكم (الدينونة) هو تطبيق المساواة في المواقف الأخلاقية. وقد يكون الحكم مواتيًا أو غير مواتٍ وفق إن كان الشخص المعني منصفًا أو غير منصف في قلبه وسلوكه.»

تعريف سريع

وبعبارة أخرى، تعني العدالة أن يحصل الناس على ما يستحقونه على أساس فهم الله الواضح والكامل لما فعلوا ولماذا فعلوه. ربما اعتدنا الحيل القانونية وتقنيات الدفاع والتماس الأعذار في قاعات المحاكم البشرية، ولكن لن يكون أي من ذلك أمام الله. إنّه على علم بالتفاصيل الدقيقة للقضية كافة. لكي ندرك عدل الله، نحن بحاجة إلى تطوير كل من نظرة الكتاب المقدس للعالم والحياة والفهم المفصل لوحيه. وستشمل نتائج دراسة العدالة، والتي لا تُقدّر بثمن، فهمًا أعمق لما تعنيه عبادة إله عادل في عالم ساقط.

التاريخ وعدل الله

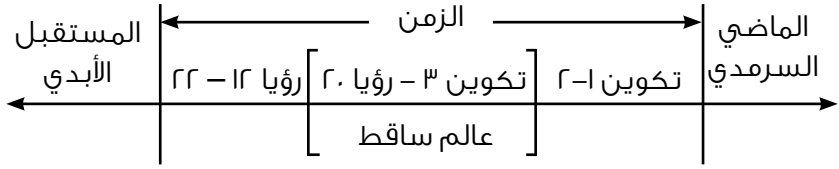
دعنا نراجع وجهة نظر الكتاب المقدس إلى الحياة والعالم. تخيل خطًا مستقيمًا بلا بداية ولا نهاية يُمثل طرفاه الأزل والأبد اللانهائي. سيكون التاريخ البشري كما نعرفه مُمثلًا بجزء صغير يعادل ثلاثة سنتيمترات على الأكثر على طول هذا الخط. وفي نقطة ما ضمن السرمدية هذه، اختار الله أن يخلق الأرض والبشرية في تاريخ من الزمان والمكان على مدى هذه السنتيمترات القليلة.

يتحدث أول أصحابين من سفر التكوين عن بداية الكون والزمن كما نعرفهما. وفي الأيام الأولى من الخلق، كان الإله البار يحكم ويقضي بالعدل في تلك البيئة المثالية. وكان للإنسان الأول (آدم وحواء) إمكانية التواصل المباشر والمستمر مع الله. وكان العالم جنة.

كن في الأصحاح الثالث من سفر التكوين، حاول آدم وحواء القيام بعملية انقلاب على الله تحت تأثير ملاك ساقط. ولكنه لم يكن انقلابًا عنيقًا أو ما شابه، إذ قاما ببساطة بعصيان أمر مباشر من الله. لقد تحدى سلطانه على خليقته. أكلا من الفاكهة المحرّمة وتسببا في سقوط البشرية. دخلت الخطية إلى العالم، وإلى كل إنسان جاء بعد ذلك، وأصبح التاريخ البشري كله منذ تلك النقطة من الزمن ملتويًا ومشوّهًا. كانت تلك الدينونة الأولى، عندما حَكَمَ الله علينا طبقًا لتمرُّدنا.

لم يتم اختتام تلك العلاقة الخاصة بين الله والإنسانية الساقطة مرة أخرى حتى نصل إلى الأصحاح العشرين من سفر الرؤيا حيث الدينونة الأخيرة. الأصحاح الثالث من سفر التكوين والأصحاح العشرون من سفر الرؤيا هما بمثابة البداية والنهاية لقصة طويلة لله مُحب وعادل وهو يحقق الفداء من أجل عالم ساقط.

خارج حدود تلك القصة، يسود الكمال والقداسة والعدل، أما بين صفحاتها فنجد الكثير من الأمور غير العادلة والتي لم تُحلّ. وعندما ينتهي التاريخ الذي شوّهته الخطية، سوف يستمر تاريخ أبدي الجديد في السماء الجديدة والأرض الجديدة.



نحن نعيش في هذا الجزء القصير على خط الزمن الذي يتعامل فيه الإله القدوس والعاقل والصالح والرؤوف والمتسيد مع العالم الساقط. وعالمنا هو بالفعل تحت الدينونة. ما من لحظة واحدة من الحياة لم تمسها الخطية. رغم أن الله يتوق إلى أن نراه بوضوح، إلا أن نظرنا تبقى مشوهة ما دمنا موجودين بين الخطيئة الأولى والدينونة النهائية.

وسنظل نواجه آثار الخطيئة من موت وفساد على جميع الأصعدة حتى نخرج من هذه الحياة إلى الحياة الأبدية. هذا هو السبب في أنه من المهم جدًا أن نفهم كيف يعمل الإله العادل والكامل ضمن نظام أفسده التمرد. ولهذا، نعود إلى الكتاب المقدس حتى نقرأ القصة.

عدل الله في التاريخ

تظهر عدالة الله بوضوح ابتداءً من الأصحاحات الأولى من الكتاب المقدس - حكم الله على قايين لقتله هابيل، وحكم على العالم بسبب انتشار الخطية التي أدت إلى الطوفان، وحكم على بابل بسبب الكبرياء. لكننا نحصل على رؤية فريدة للعدالة في سفر التكوين ١٨: ٢٥، الآية الرئيسية لهذا الفصل.

يرجح أنك تعرف القصة. رأى الله شر سدوم وعمورة وأصدر حكمه عليهما. نحصل على لمحة لفكر الله عندما يقول:

«هَلْ أَخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ»

(تك ١٨: ١٧).

قرر الله أن يُطَلِّع إبراهيم على خطته لتدمير المدينتين. لكن كان هنالك تعقيد يمس إبراهيم، إذ رأى أن الدينونة التي كانت سدوم وعمورة تستحقانه ستضع لوطاً ابن أخيه وعائلته معه في خطر لا يستحقونه. وبينما نستكمل المحادثة في تكوين ١٨: ٢٥، أخبر الله إبراهيم عن الحكم الوشيك، فأجاب إبراهيم:

«حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ أَنْ تُهْمِتَ الْبَارَّ مَعَ الْإِثْمِ فَيَكُونُ
الْبَارُّ كَالْإِثْمِ. حَاشَا لَكَ! أَدَيَانُ كُلِّ الْأَرْضِ لَا يَصْنَعُ عَدْلًا؟»

تذكر أن هذا حدث قبل الوصايا العشر بقرون. كان أبونا إبراهيم يعيش في عالم وثني، ولم يكن لديه وحي مكتوب، ولكنه بالخير كان يعرف شيئاً عن معدن الله الأخلاقي.

«أَدَيَانُ كُلِّ الْأَرْضِ لَا يَصْنَعُ عَدْلًا؟»

بالإيمان كان إبراهيم يعرف معدن الله الأخلاقي بما فيه الكفاية ليُدرك أنّ هناك معياراً لكيفية التعامل مع كل من الشر والخير. وعلى أساس تلك المعرفة، توسّط بطريقة تسمح بإنقاذ لوط وأسرته. كان الله على استعداد للإلغاء الحكم طالما كانت هناك فئة مؤثرة من الصالحين تعيش في وسط الأشرار.

وفي هذه الحالة، كما كشفت مفاوضات إبراهيم، إذا كان من الممكن العثور على عشرة رجال صالحين في المدينتين، فلن يتم التضحية بهم. لقد فهم إبراهيم ما تعنيه عبادة إله عادل في وسط عالم غير عادل.

**يُذَكِّرُنَا الْكِتَابُ الْمَقْدَسُ بِاسْتِمْرَارِ بَأْنِ الْعَدْلِ هُوَ مِنْ بَيْنِ الصِّفَاتِ
الَّتِي نَسْتَطِيعُ بِأَنْ نَثِقَ أَنَّ اللَّهَ سَيُبْدِيهَا.**

«السَّحَابُ وَالضَّبَابُ حَوْلَهُ. الْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةٌ كُرْسِيِّهِ.»

(مز ٩٧: ٢)

هناك عشرات الآيات عن عدل الله في العهد القديم والجديد، ولكنني أحب هذه بالذات كثيرًا لأن عبارة «السحاب والضباب» توحى بالغموض. لا يمكننا أن نفهم كل شيء عن الله، ولكن هذا ما يمكننا الاعتماد عليه: عدله (الإنصاف) وحقه (البر والصالح) هما قاعدة كرسيه. وماذا يفعل الملك وهو على عرشه؟ يصدر مراسيمه الملكية وينفذ أحكامه. لا يمكن فهم الله بعيدًا عن عدله.

ربما لا تكون الحياة في نطاق ذلك الجزء القصير من التاريخ البشري عادلة دائمًا، ولكن عندما نأخذ الحياة داخل هذا الجزء وخارجه بعين الاعتبار، فإننا نرى كم أن عدالة الله كاملة بلا عيب. ففي الصورة الكبيرة، نجد أن الله يقوم بتصحيح الأمور. ويمكننا أن نثق بالقرارات التي يتخذها الله في حكمته، سواء أكانت تلك المتعلقة بالأحكام الفورية أم المؤجلة.

يساعدنا جي. آي. باكر على مواجهة حقيقة أن فكرة القصاص جزء أساسي من العدالة. فإله واقع منظم بطريقة تجعلنا نفهم أن الأفعال تؤدي إلى عواقب. وتترتب على الأفعال الصالحة نتائج حميدة، بينما للأفعال السيئة عواقب وخيمة. وفي حقيقة الأمر، تشير هذه الحقيقة التي تعدّ جزءًا من نمط الحياة الأساسي إلى طبيعة الخالق الأخلاقية. وكما قال باكر:

يبيّن من خلال الكتاب المقدس أن عمل الله كقاضٍ هو جزء من شهادته عن شخصه. ويظهر لنا أيضًا أن القصاص هو قلب العدالة التي تعبر عن طبيعة الله، حيث يحصل الأشخاص على ما يستحقونه، وهذا هو جوهر مهمة القاضي. إن مكافأة الخير بالخير، والشر بالشر هو أمر طبيعي لدى الله.

لذلك، عندما يتحدث العهد الجديد عن الدينونة الأخيرة، فإنه يقدمها دائماً من منظور المجازاة. إذ سيحكم الله على جميع الناس وفقاً لأعمالهم كما قال في كلمته.

يتمثل جوهر مفهوم الدينونة في أن كل شخص سوف يحصل على ما يستحق. الله هو قاضٍ بار، وهو عادل رغم أن العالم ليس عادلاً. وبين هذه الحياة والحياة القادمة، يمكننا أن نأنت أن نتأكد من أن كل شخص عاش سيحصل على حكم منصف، حتى لو بدا وكأنه مظلوم في الوقت الراهن. لقد أثبت الله، وسيظل يُثبت، أنه قاضٍ بار.

■ كيف يكشف الله لنا عن عدله؟

عند النظر إلى تاريخ العالم في ضوء الكتاب المقدس، نجد عدة طرق متميزة يذكرنا الله من خلالها بطبيعته العادلة. وفي واقع الأمر، ينبغي لنا أن نتضع أمام الطريقة التي يؤجل بها الله باستمرار تنفيذ العدالة من أجل إعطاء الناس فرصاً وفيرة للرجوع إليه. يقول بطرس:

«وَلَكِنْ لَا يَخْفَ عَلَيْكُمْ هَذَا الشَّيْءُ الْوَاحِدُ أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، أَنَّ يَوْمًا
وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفُ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ. لَا يَتَبَاطَأُ
الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمُ السَّبَاطُ، لَكِنَّهُ يَتَأْتَى عَلَيْنَا، وَهُوَ لَا
يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أَنَا، بَلْ أَنْ يُقْبَلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ.»
(بطرس الثانية ٣: ٨-٩).

لا يمكننا في ضوء تلك الحقيقة القاسية أن نقف أمام الله ونقول له إننا لم نملك فرصة كافية للاعتراف به.

■ من خلال النظام الطبيعي

لقد ترك الله الكثير من الأدلة على عدله في النظام الطبيعي. ففي رومية ١: ٨، يقول بولس إن الإنجيل هو الأمل الوحيد أمام عالم ينتظر الدينونة من قِبَل القاضي العادل:

« لَأَنَّ غَضَبَ اللَّهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمُ
الَّذِينَ يَخْجِرُونَ الْحَقَّ بِالْإِثْمِ. »

ندما يتحدث الكتاب المقدس عن غضب الله، فإنه يشير إلى غضبه القوي المقدس ضد الشر. في هذه الحالة، عندما يتعمد تجاهل الجنس البشري معايير الحق، يوجه الله غضبه ضد المخطئين. توفر الآيات التالية الأدلة على عدل الله:

« إِذْ مَعْرِفَةُ اللَّهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ لِأَنَّ مَنْذُ خَلْقِ
الْعَالَمِ نُرَى أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلَاهُوتَهُ مُدْرَكَةً
بِالْمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلَا عُدْرٍ. »

(رومية ١: ١٩-٢٠)

فالجهد إذا ليس ذريعة لتجاهل طبيعة الله.

كنت ألعب كرة السلة كثيرًا في شبابي، وكان هناك عدد من الحركات الخطأ التي يُمكن للاعب استخدامها لتعويض ضلّة بنيته. وكوني صغيرًا ونحيلًا، سرعان ما تعلمتها كلها. فعلى سبيل المثال، عندما يصل المدافع إلى الكرة، عليك أن تدور حوله وكوعك إلى الخارج حتى يصدم أنفه بكوعك. أتذكر جيدًا مدافعًا ضخم البنية وهو يحذرني بوضوح قبل أن يغادر الملعب ليعالج نزيف أنفه بعد أن صدمته بكوعي. قال لي: «تذكر أنّ كل ما تفعله بالآخرين سينقلب عليك يومًا ما.» ربما لم يتمكن الحكم من رؤية حركتي، ولكن اللاعب كان يحتكم إلى قانون أعلى.

إنها غريزة شمولية في داخل البشر كلهم. تُسميها الديانات الشرقية «الكارما». تؤمن تلك الديانات بأنّه بما أن الكارما لا تتحقق دائمًا في هذه الحياة، فلا بُد من وجود حيوات أخرى قادمة لتسوية النتيجة. وفي الديانات الغربية، هي مسألة ما بعد الموت. وفي كل الأحوال، فإن المبدأ المتأصل في داخلنا هو أنّ هنالك قانونًا أعلى للعدالة.

إنّ هذا الفهم الأساسي للسبب والنتيجة محفور في تكويننا النفسي منذ خُلِقنا. ونحن ميالون إلى المطالبة بتنفيذ ذلك القانون عندما نمثّل نحن الطرف المظلوم في واحدة من لحظات الحياة غير العادلة. وسيلاحظ حتى المراقب العادي، بغضّ النظر عن الثقافة أو الخلفية، وجود الفلسفة نفسها في أي مكان في العالم: عندما تُظهر سلوكاً حسناً للناس، تأتيك أمور حسنة، وسيأتيك عكسها عندما تقترف أفعالاً سيئة.

ورغم أنّه يمكننا أن نذكر استثناءات لهذا المبدأ في الحياة، إلا أنّه لا يمكن لأحد منّا أن يُنكر أنّ هذا المبدأ هو النمط المعتاد، ولا يمكن أن ننكر الغضب الذي نشعر به عندما يبدو لنا أن هذا المبدأ في الحياة لا يعمل بشكل ثابت.

■ من خلال قلب الإنسان

كشف الله أيضاً عن عدله بالطريقة التي خلق بها قلب الإنسان. وتتمثل واحدة من الركائز الأساسية في رسالة رومية في حقيقة أنّ الوعي البدّهي لوجود الله هو ضمن نظام الخلق. يطرح بولس قضية قوية مفادها أن جميع الناس، بغضّ النظر عن انتمائهم الديني أو الأخلاقي، يعرفون أنه أعوزهم مجد الله. يُركز بولس في رومية ٢: ١٤-١٦ على الذين تقتصر معرفتهم عن الله على ذلك الشعور الداخلي بما هو صواب وما هو خطأ:

«لأنّهُ الأُمَّمُ الَّذِينَ لَيْسَ عِنْدَهُمُ النَّامُوسُ مَتَى فَعَلُوا بِالطَّبِيعَةِ مَا هُوَ فِي النَّامُوسِ فَهَؤُلَاءِ إِذْ لَيْسَ لَهُمُ النَّامُوسُ هُمْ نَامُوسٌ لأنفسِهِم الَّذِينَ يُظْهِرُونَ عَمَلَ النَّامُوسِ مَكْتُوباً فِي قُلُوبِهِمْ شَاهِداً أَيْضاً ضَمِيرُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ فِيمَا بَيْنَهَا مُسْتَكْبِئَةً أَوْ مُحْتَجَّةً فِي اليَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللهُ سَرَائِرَ النَّاسِ حَسَبَ إِنْجِيلِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ.»

لدى جميع الناس في جميع الأماكن - حتى أولئك الذين لم يسمعوا بنواهي الله - قانون داخلي يبيّن لهم الصواب من الخطأ. وعندما ينتهكون ذلك القانون، فإن ضميرهم يتيح لهم معرفة ذلك من خلال الشعور بالذنب.

هناك مثال جيد لهذا المبدأ في أعمال ٢٨: ٣-٦ التي تسجّل حدثًا وقع خلال رحلة بولس الأخيرة إلى روما. كانت السفينة قد غرقت قرب جزيرة ممثلة بالوثنيين. وتمكّن الناجون المبتلون الذين كانوا على وشك التجمد في إشعال النار. يصف لوقا ما حدث بعد ذلك:

«فَجَمَعَ بُولُسُ كَثِيرًا مِنَ الْقُضْبَانِ وَوَضَعَهَا عَلَى النَّارِ فَخَرَجَتْ مِنَ الْحَرَارَةِ أَفْعَى وَتَشَبَّتْ فِي يَدِهِ. فَلَمَّا رَأَى الرَّابِرَةُ الْوَحْشَ مُعَلَّقًا بِيَدِهِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لَا بُدَّ أَنْ هَذَا الْإِنْسَانُ قَاتِلٌ لَمْ يَدْعُهُ الْعَدْلُ يَحْيَا وَلَوْ نَجَا مِنَ الْبَحْرِ». فَتَفَضَّ هُوَ الْوَحْشَ إِلَى النَّارِ وَلَمْ يَتَضَرَّرْ بِشَيْءٍ رَدِيءٍ. وَأَمَّا هُمْ فَكَانُوا يَنْتَظِرُونَ أَنَّهُ عَتِيدٌ أَنْ يَنْتَفِخَ أَوْ يَسْقُطَ بَعْتَهُ مَيِّتًا. فَإِذْ انْتَبَهُوا كَثِيرًا وَرَأَوْا أَنَّهُ لَمْ يَعْزِضْ لَهُ شَيْءٌ مُضِرٌّ تَعَبَّرُوا وَقَالُوا: «هُوَ إِلَهٌ!».

توصّل السكان المحليون على الفور إلى استنتاج طبيعيّ عندما شاهدوا الحادث الذي تعرض له بولس. قرروا أنّه بما أن العدالة لاحقته طوال هذا الوقت، فلا بدّ أنّه إنسان شرير جدًّا. ثمّ عندما رأوا أن ضررًا ما لم يصبه، توصلوا إلى الاستنتاج الثاني المتاح طبقًا لنظرتهم، وهو أن بولس لا بدّ أن يكون إلهًا! نرى هنا أنه حتى بالنسبة إلى العقول غير المستنيرة، فإنّ البديل الوحيد لقانون السبب والنتيجة هو الأمور الخارقة للطبيعة.

يعدّ سي. أس. لويس من أعظم الكُتّاب المسيحيين في القرن الماضي. وقد اعترف في كثير من المرات أن ذلك الشعور الذي لا يمكن تجنّبه بما «ينبغي» كان يمثّل شقًا في درعه الإلحادية. كان يشعر بالانزعاج عندما لا يستطيع أن يفسر الحواس الأخلاقية الإنسانية بشكل طبيعي. استخدم الله هذا الشق في درعه لجلبه إلى الإيمان بعد ذلك. يقول سي. أس. لويس في كتابه «المسيحية المجردة»:

«أود هنا أن أوضح نقطتين. الأولى هي أن لدى البشر في جميع أنحاء الأرض هذه الفكرة الغريبة أنّ عليهم أن يتصرفوا طبقًا لطريقة معينة

وهم لا يستطيعون التخلص من تلك الفكرة. والنقطة الثانية هي أنهم لا يتصرفون في الواقع بهذه الطريقة. فهم يعرفون قانون الطبيعة، ولكنهم يكسرونه. وهاتان الحالتان هما الأساس لكل تفكير واضح يتعلق بأنفسنا وبالكون الذي نعيش فيه.»

يجسد قلب الإنسان ما يراه في هذا النظام المخلوق. وليس هنالك قانون السبب والنتيجة فحسب، بل قوة عدالة أطلقت في أرجاء الكون أيضًا. وتلك العدالة جوانب شخصية أيضًا. سيواجه الأشخاص الذين ينتهكون القواعد عواقب سلبية، وستتم مكافأة أولئك الذين يلعبون وفقًا للقواعد.

يمكن أن نتذكر الكثير من المرات التي سمعنا فيها شخصًا ما يقول: «حسنًا، ما حدث معي يؤكد أنني بلا شك أعيش وفقًا للحق!» أو «إنها تستأهل ذلك!» ويجلب هذا الجانب الشخصي من قانون السبب والنتيجة إلى الصورة احتمال وجود شخص ما وراء تنفيذ ذلك القانون. ويقودنا هذا إلى دور الله كمصدر للعدالة.

■ من خلال دوره كقاضي

يعرف معظمنا تمثال المرأة التي ترتدي عصابة العينين دلالة على حياد العدالة. ولكن عندما نفكر في القاضي، نريد شخصًا يرى ويسمع ويفكر بشكل واضح جدًا. ليس من الغريب أن خالق كل شيء - بما في ذلك حاسة العدل لدينا - يقول عن نفسه أيضًا إنه قاضي كل الأرض. لا يكشف لنا الكتاب المقدس عن الدور المستمر لله كقاضٍ عبر التاريخ فحسب، بل يعلن بثقة أن الله سوف يُصدر في نهاية المطاف الحكم النهائي على جميع الناس الذين عاشوا عبر التاريخ أيضًا.

لا يترك الكتاب المقدس أي مجال للغموض حول موقع الله كقاضٍ. يقول في العبرانيين ١٢: ٢٣، «وَإِلَى اللَّهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ.» إن الإقرار بأن الله هو القاضي أمرٌ يَصْحِينَا،

ولكن إذا كنا نعرف أيضًا أنه إلى جانبنا ويدافع عنا، فسنتمكن من أن نواجه الحكم بكل ثقة. وقد عبّر بولس عن هذا الشعور بالراحة والشوق عندما كتب الرسالة إلى تيموثاوس. فرغم أن بولس كان مستعدًا للموت، إلا أن رسالته الأخيرة إلى ابنه في الإيمان تضمنت هذه الكلمات المتفائلة المبتهجة:

«وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهْبُهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّبُّ
الدِّيَانُ الْعَادِلُ، وَكَيْسَ لِي فَقَطُّ، بَلْ لَجَمِيعِ الَّذِينَ
يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا.»

(تيموثاوس الثانية ٤: ٨)

ويمكننا أن نعرف أن الله قد صنع وسيلة لإرضاء طبيعته الأخلاقية العادلة، إضافة إلى صلاحه الغامر المحب الكريم. ويتجلى هذا بقوة كبيرة عندما نرى صليب المسيح.

من خلال الصليب

يوضح الكتاب المقدس أن السبب الرئيس للصليب كان إظهار عدل الله للعالم كله.

«الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بَدَمِهِ لِإِظْهَارِ بَرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ
عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللَّهِ»

(رومية ٣: ٢٥)

قدم الله ابنه ذبيحة. وتعني كلمة كفارة حرفيًا تغطية. قدِّمت حياة المسيح على الصليب من أجل تحقيق هدف لم يكن ليتحقق بأية وسيلة أخرى. ولا تعني «تغطية» خطايانا إخفاءها أو التظاهر بأنها لم تحدث، ولكن معناه هو أن الجريمة التي ارتكبتها ضد الله القدوس قد حلت محلها هذه التضحية. فبدلاً من أن نكون مستحقين لعقاب الخطيئة، أرسل الله يسوع كبديل عنا.

ولدينا «إيمان بدمه» يسمح لنا بالاحتماء تحت غطاء كفارة المسيح. فنحن نؤمن بأن يسوع تألم وُصِّلب ومات بدلاً عنا.

ويستيق بولس سؤالاً حول ما سيحدث لأولئك الذين عاشوا قبل المسيح، كما يبدو من خلال وصفه لـ «صفح الله» المتعلق بالخطايا السابقة. يقف صليب المسيح كحدث مركزي في التاريخ، حيث يغطي غطاء الغفران الماضي والمستقبل. وموت المسيح هو كفارة لأولئك الذين وثقوا برحمة الله وخطته مسبقاً، كما لأولئك منا الذين يعيشون بعد الحدث بقرون.

يُكمل بولس الفكرة في الآية ٢٦:

«لِإِظْهَارِ بَرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ
بِيسُوعَ.»

لم تكن لدى الله مشاعر متضاربة تجاهنا. لكن عدله طالب بعقابنا في حين أراد صلاحه إنقاذنا. فلم يفضّل صفة واحدة على الأخرى، بل أرضى كليهما في اللحظة عينها بوضع نفسه على الصليب. من خلال الصليب التقت صفات الله وظهرت عظمة عدل الله في الحكم على كل البشرية، وعَظُمَ رحمته في تبريره وستره لأولئك الذين وثقوا به واتكلوا عليه.

ربما كنت تعتقد أنك لا يمكنك أن تفهم حقًا ما حدث في الصليب. صحيح أنه سيكون هناك دائمًا سر يحيط بهذه اللحظة المركزية في التاريخ، ولكن بإمكانك فهم ما يكفي لتغيير حياتك إلى الأبد. فكر في ما حدث عندما كان يسوع معلقًا هناك وصرخ: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟»

وضع الله الأب، القدوس والنقي، الذي يتمتع بعلاقة أزلية أبدية مع الابن والروح القدس، في تلك اللحظة خطايا البشرية جمعاء على المسيح، وحوّل وجهه بعيدًا عنه. ثم صب الأب جام غضبه على الابن.

تحمّل يسوع، الذي عاش حياة مثالية، خطيئتك وخطيئتي بالتحديد عندما نَفَّذَ اللهُ فيهِ حكم الموت.

اسمح لي بأن أقدم لكم صورة معاصرة من شأنها أن تساعدك على فهم ما يعلمه إيانا الكتاب المقدس. لنفترض أنني قد أدنّت في جريمة وَحَكَمَ عليّ بالإعدام على الكرسي الكهربائي. تخيّل أنه قبل أن يضغط الجلاّد على الزر، قال يسوع: «توقف! إنغرام يستحق الموت، لكني سأموت مكانه». فأفلتني الحراس وقاموا بتثبيت يسوع على المقعد. ثم ضغط الجلاّد الزر ليموت يسوع. بعدها قال القاضي: «ليطلق سراح إنغرام. لقد دُفِّعَتْ عقوبته». كان هذا هو ما فعله يسوع من أجلنا لأن الله قاضٍ بار. لقد احتمل دينونة الخطية وأطلقنا أحرارًا من عواقبها الفظيعة..

تم إرضاء عدالة الله الرهيبة، التي لا هوادة فيها ولا مساومة، تمامًا في الصليب.

نحن نخدع أنفسنا ونقلل بشكل خطير من بشاعة العصيان عندما نعتقد أننا يمكن أن «نصل إلى وضع سليم مع الله» بأية طريقة أخرى. فليست الحياة المسيحية هي الذهاب إلى الكنيسة، أو الصلاة، أو قراءة الكتاب المقدس، أو وجود عائلة لطيفة، مع إعطاء القليل من المال والقليل من الوقت ودعم الإرساليات من أجل جعل العالم مكانًا أفضل. هذا دين يُسمّى الأخلاق! وما من عيب في هذه الأمور. ولكن، إذا كنا نعتقد أنها تضعنا في وضع سليم مع الله، نكون قد فوّتنا الفكرة الأساسية من إيماننا.

ما طالب به عدل الله، قدّمه حبه لأجلي ولأجلك على الصليب. مات يسوع مكانك كبديل عنك. يمكنك قبول موته لأجلك على الصليب كهدية مجانية عن طريق الإيمان، اقبل أن يدفع يسوع عقوبتك عنك، وثق أنّ بره سيخطئك. أو سيكون الاختيار البديل أن تقول: «أنا ذاهب في طريقي، وأنا لا أريد أن يكون لله أي رأي في ذلك».

يُمكن أن يتَّخذ هذا الإصرار على المضيّ في طريقنا الخاص شكل التمرد السلبي أو النشْط. والتسويق تمرد سلبي. يقول كثيرون لأنفسهم، «في يوم ما، بطريقة ما، سوف آتي إلى المسيح. أنا أعلم أن الله موجود بالفعل، لكنني أقوم بأموري الخاصة حاليًا.» هذا الافتقار إلى الاستجابة (التمرد السلبي) إنما هو في الحقيقة رفض للمسيح ولعرضه بالَغفران والحياة الجديدة. أما التمرُّد النشط فهو التمرد السافر. إنه موقف صلب وعنيد تجاه الله. «أنا لا أؤمن بالله ولا يهمني الله. أنا أنكر الخلق، أنا أرفض الشاهد على وجوده في قلبي، وأنا لا أكل على أحد غيري!» وفي نظر عدالة الله، يقع كل من التمرد الخفي والسافر تحت طائلة الدينونة.

تنطوي رؤية الله كما يتوق إلى أن نراه دائمًا على الصليب. إذا لم نتخذ ملاذًا وحماية تحت ذبيحة يسوع، فسنكون عرضة لعدل الله. وستتلقى أية استجابة أخرى غير الإيمان بكفارة المسيح دينونة الله الكاملة. فالتمرد، سواء أكان خائئًا أم نشِطًا، يأتي بالشخص في نهاية المطاف ليوافه عدالة الله في قصاص أبدي مأساوي.

■ من خلال المجازاة الأبدية

تتمثل الطريقة الأخيرة والأكثر رصانة (التي يفترض أن تصحينا) والتي يكشف الله بها عن عدله في الوعد بالمجازاة الأبدية. رأينا بالفعل في اقتباس سابق من جي. آي. باكر أن جزءًا كبيرًا من فهمنا للعدالة ينطوي على مبدأ القصاص. وتعني المجازاة ببساطة أن تنال جزاء ما تفعله، وتتم تسوية الحساب. وغالبًا ما تحمل كلمة المجازاة نغمة سلبية ويتم استخدامها كمرادف للانتقام. إذا كانت ديوننا وجرائمنا أبدية، فإن المجازاة بدورها ستكون أبدية. يُعلمنا الكتاب المقدس أنّ المجازاة تطبَّق على كل من المؤمنين وغير المؤمنين.

للمجازاة الموعودة للمؤمنين حد مهم. فبمجرد أن نأتي إلى المسيح ونقبل عطيته الكفارة المجانية، يسكن الروح القدس في داخلنا

ونصبح خليقة جديدة تمامًا، ويصبح خلاصنا مختومًا بخاتم الدم، ولكن عندما تبدأ حياتك الجديدة، يقول الله:

«لدي جدول أعمال لك. لقد أعطيتك مقدارًا معينًا من الوقت والطاقة والمال والمواهب الروحية ومنحتك شخصية وخلفية ومكانة معينة. وبما أنك جئت إلى يسوع، فسوف تقابله قاضيًا عندما تصل إلى نهاية حياتك. أنا لن أدينك على خطاياك، لأن ذلك تم في الصليب. أنت مؤمن وأنت ذاهب إلى السماء لا محالة. لكنني سأقوم بعمل تقييم لحياتك. سوف أسألك: «يا بني، ماذا فعلت بكل ما أعطيتك؟»

يعرف الله كل سر في قلوبنا وسيقيم عملنا بوضوح وبشكل كامل، ثم بعد ذلك المجازاة. إما أن نسمع، «نعمًا أيها العبد الأمين» أو نشاهد كل جهودنا التي بذلناها طوال حياتنا وهي تحترق. هذا مشهد مزعج بالنسبة إلى المؤمنين، ولكنه كتابي بشكل متين. يصف بولس الأمر في كورنثوس الأولى ٣: ١٠-١٥:

«حَسَبَ نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُعْطَاةِ لِي كِتَابًا حَكِيمًا قَدْ وَضَعْتُ أَسَاسًا
وَأَخَّرْتُ يَبْنِي عَلَيْهِ. وَلَكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ. فَإِنَّهُ لَا
يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وَضَعَ الَّذِي هُوَ يَسُوعُ
الْمَسِيحُ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَبْنِي عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ ذَهَبًا فَضَّةً
جِوَاهِرًا كَرِيمَةً خَشَبًا عُشْبًا فَشَاءَ فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِرًا لِأَنَّ
الْيَوْمَ سَيَبِينُهُ. لِأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ
مَا هُوَ. إِنْ بَقِيَ عَمَلُ أَحَدٍ قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَسَيَأْخُذُ أَجْرَهُ. إِنْ اخْتَرَقَ
عَمَلُ أَحَدٍ فَسَيَخْسَرُ وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ وَلَكِنْ كَمَا بِنَارٍ.»

إذا كنت تريد استيعاب الآثار المترتبة على طريقة عيشك الحياة حقًا، اقرأ هذا المقطع بعناية مرتين على الأقل. كان بولس الرسول يتحدث بوضوح إلى المؤمنين. «اليوم» الذي يشير إليه بولس هو يوم الدينونة.

عندما يجتاز الذهب والفضة والأحجار الكريمة امتحان النار تتم تنقيتها، بينما يتلاشى الخشب والقش عند تعرضها للامتحان نفسه. وفي يوم الدينونة سيتم امتحان كل أعمالنا بالنار. سيقف كل مؤمن أمام عرش دينونة المسيح لتتم تنقيته أو مكافأته، أو سنرى أنقاضاً مشتعلة من المواهب التي أسيء استخدامها.

وسأترك التفاصيل لعلماء اللاهوت ليتجادلوا حولها، لكن هذا ما يتضح من الكتاب المقدس – حقيقة أن السماء لن تتغير بالنسبة إلينا، ولكن نوعية التجربة السماوية سوف تختلف من شخص إلى آخر، وستتناسب طردياً مع وكالتنا في هذه الحياة. وفي الأبدية، سوف يؤثر مبدأ المجازاة علينا بطريقة أو بأخرى. كما ذكرنا أعلاه، ينطبق مبدأ المجازاة أيضاً على غير المؤمنين.

«وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ»

(عبرانيين ٩: ٢٧)

قد يكون الحديث عن الموت والجحيم غير سار، لكن لا ينبغي لهذا أن يمنعنا من الحديث عنهما. ففي النهاية لا مفر منهما. وفي واقع الأمر، ليس الموت والجحيم بأمرين سلبيين تمامًا عندما نفهمها بشكل صحيح. فالجحيم هو الدليل الأكبر على أن الله يهتم الحفاظ على كرامة الإنسان حرّيته. لأنه يحترم إرادتنا، أعدّ مكاناً لأولئك الذين يقولون: «أنا قبطان سفينتي، وسأعيش حياتي الخاصة، ولا أحد يستطيع أن يقول لي ما يجب القيام به».

لا يمكننا أن نحبّ شخصاً من دون أن يكون لدينا الخيار أن نقبله أو نرفضه. يعاملنا الله ككائنات أخلاقية حرة، وسيحترم رفضنا له إلى الأبد . . .

كان سي. أس. لويس على حق عندما قال أنه يوجد نوعان لا ثالث لهما من البشر في هذه الحياة – أولئك الذين يقولون لله، «لتكن مشيئتي!» وأولئك الذين يقولون لله، «لتكن مشيئتك».

ويمثّل واحد من تلك التصريحات حياتك. يحفظ الجحيم كرامة وحرية أولئك الذين يعاندون الله. تقول عدالة الله: «سأخلق مكانًا للمجازاة حتى يتمكن أي شخص يرغب في البقاء بعيدًا عني أن يفعل ذلك». فالجحيم هو أمر جدّي وحقيقي مثل السماء تمامًا.

يعرف هؤلاء الذين ينتهي بهم المطاف إلى الجحيم الجواب على سؤال نسمعه كثيرًا: «كيف يمكن للإله الصالح أن يرسل أي شخص إلى الجحيم؟» لا يرسل الله الصالح أحدًا إلى الجحيم. وفي الحقيقة، لقد أرسل ابنه ليموت حتى لا يذهب أحد إلى الجحيم. قال أي شخص يذهب إلى الجحيم قال: «يا الله، أنا لا أريد إرادتك ولا ابنك. أريد إرادتي أنا.» ويحترم الله تلك الرغبة الصادقة. لقد اختار أولئك الذين في الجحيم أن يكونوا هناك بأنفسهم.

كشف الله ولا يزال يكشف عن عدله بطرق كثيرة. قد تكون الأدلة والقرائن مقنعة، لكنها تتطلب استجابة منك. لقد رأيت الصورة الكتابية الكبيرة، لكننا نحتاج الآن أن ننظر إلى استجابة فورية وعملية من القلب بينما نقرأ عن عدل الله. ربما شعرت بوحز الحقيقة في روحك بينما كنت تقرأ عن الجوانب السلبية للمجازاة سواء أكان ذلك للمؤمنين أم لغير المؤمنين. وتتطلب هذه البصيرة أو هذا الفهم المتعمق منك ردًا شخصيًا.

■ كيف تتجاوب مع عدالة الله؟

إذا كنت قد قررت البقاء في معسكر عدم الإيمان واتخاذ زمام الأمور على طريقتك فهذا في حد ذاته استجابة. أود أن أذكرك ببساطة أنّ لهذا عواقب أبدية. ومع ذلك، إذا كنت تتوق إلى رؤية الله كما يشاق إلى أن تراه، فإن من المؤكد أن تجاوبك مع عدله سيمثل جزءًا كبيرًا من التغيير الذي سيحدث في حياتك. هذه هي كيفية الحياة وفق الله.

■ اختر أن تتبع يسوع

سنبدأ من عند الصليب، مثل كل خطوة هامة في النمو في الحياة المسيحية. ولا يهم إن كنت تأتي إليه لأول مرة أو بفهم أعمق مرة أخرى. ينطوي التجاوب مع عدالة الله على قبول يسوع كمخلص الآن بدلاً من الخوف منه كقاضٍ عادلٍ بارٍ لاحقًا. إنك تختار أن تقوم الآن بما سيضطر جميع الناس على هذا الكوكب في نهاية المطاف للقيام به، حتى لو كان ذلك ضد إرادتهم.

يقول لنا الكتاب إننا أنا وأنت والجميع سوف ننحني يومًا ما معترفين بأن يسوع هو الرب (فيلبي ٢: ٩-١١). ستكون تلك اللحظات بالنسبة إلى بعضهم الأكثر روعة وتشجيعًا في الوجود. إذ سوف يرون أخيرًا، وجهًا لوجه، ذلك الذي آمنوا به لسنوات. أما بالنسبة إلى الآخرين، فستكون لحظة رهيبه تظهر فيها الحقيقة المرّة عندما يتساءلون: «لماذا لم أستجب؟»

من ناحية تاريخية، قد تأتي لحظة الحقيقة تلك بعد سنوات من الآن، ولكن بالنسبة إلى أي واحد منا، يُمكن أن تأتي في اللحظة التالية. ففي اللحظة التي تموت فيها، لا مهرب من الدينونة. إذا كنت تعيش في شركة مع يسوع كمخلص لحياتك، فلن يكون لديك ما يدعو إلى القلق. أما إذا كنت تعيش بعيدًا عن المسيح أو تتجاهل وجوده في حياتك، فالمجازاة تنتظرك. الدعوة لتختار الاحتماء بيسوع ليست دعوة للتدين ولا لأن تصبح شخصًا أفضل. لا يخدعك هذا الفخ الخطير.

ليست الدعوة إلى اختيار قبول يسوع دعوة إلى أن تتدين أو أن تصبح شخصًا أفضل. لا تسمح لأحد بأن يستغفلك. إنها دعوة إلى وضع الحياة في الاعتبار إلى الحد الذي يمكنك فيه أن تقول بصدق لله، «أنا أفهم أن يسوع مات لدفع ثمن خطاياي وإرضاء للعدالة، واليوم أتحوّل عن خطاياي. أنا أطلب منك أن تأتي إلى حياتي وتغفر لي على أساس عمل يسوع. وأنا الآن أريد أن أتبعك من كل قلبي كل أيام حياتي.»

دّم يسوع بنفسه تأكيدًا قويًا لما قد يحدث إذا كنت قد صليت تلك الصلاة.

«لَأَنَّ الآبَ لَا يَدِينُ أَحَدًا بَلْ قَدْ أُعْطِيَ كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلْإِنِّ لِكَيْ يُكْرِمَ
الْجَمِيعُ الْإِنِّ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لَا يُكْرِمُ الْإِنِّ لَا يُكْرِمُ الآبَ
الَّذِي أَرْسَلَهُ. «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ
بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ
الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ.»

(يوحنا ٥: ٢٢-٢٤)

دع هذه العبارات تجلجل في داخلك - «له حياة أبدية» و«قد انتقل من الموت إلى الحياة». عندما يسألك شخص ما، «ماذا يحدث عندما تموت؟» يمكنك الإجابة، «أنا ذاهب لبدء التمتع الكامل بالحياة الأبدية التي حصلت عليها بالفعل!»

لا تسعى للانتقام

وما وراء الصليب، يمكننا أن نرى التطبيقات العملية لعدل الله في الحياة اليومية في عالم غير عادل. والتجاوب الثاني من جانبنا مع عدل الله هو الرفض الحاسم للانتقام لأنفسنا، لأننا نعلم أن الله هو وحده القاضي.

يعيش بعض المؤمنين بالمسيح بمشاعر لم تُحل من المرارة والغضب تجاه رؤساء العمل والأصدقاء السابقين والأطفال المتمردين والوالدين السيئين والناس الذين أساءوا إليهم.

وعلى قدر قسوة تلك المشاعر، فإن تجاوبنا السلبي معها ينشأ عندما نأخذ مكان الله كقاض تجاه الظلم الوارد حدوثه في الحياة. إنه جهد مهدور، وهو خطيئة. فكلما لله واضحة:

«لَا تُجَاوِزُوا أَحَدًا عَن شَرِّ بَشَرٍ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ فُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمَكِنًا فَحَسَبِ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. لَا تَنْتَقِمُوا لَأَنفُسِكُمْ أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِي الثَّمَمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطَشَ فَاسْقِهِ. لِأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هَذَا تَجْمَعُ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ. لَا يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلْ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ.»

(رومية ١٢: ١٧-٢١)

قد تكون هذه بعض من أهم الوصايا المهملة من قِبَل المؤمنين. يجعل التشبُّث بالغضب والسعي إلى الانتقام الآلاف محاصرين في قيود العبودية. فالتعطش للانتقام يعرِّضنا للوقوع في فخ خطير، وهو أن نوذِّي دور الله. إنه شكل من أشكال عبادة الأوثان. لماذا؟ لأنه يرفض العرض الذي يقدمه الله بأن يهتم بنفسه في كل شيء في الوقت المناسب، مع وعد منه بمعادلة كل الموازين. إذا استحق أحدهم العقاب فإن الله سيعاقبه. ولذلك، بدلاً من السعي إلى الانتقام، نقول: «يا رب، اهتم أنت بهذا الأمر.»

إذا كنت مثل معظم الناس، فإن السعي إلى تنفيذ الانتقام لن يكون أكبر مشكلة لديك، بل التفكير في الانتقام. عندما يعاملك شخص ما بطريقة لا تستحقها، ربما لا يدفعك شعورك بالغضب والمرارة إلى تنفيذ الانتقام بالفعل، ولكنه سيملاً ذهنك بالعديد من الأفكار غير الصحية.

يتصور أشخاص كثيرون أشياء سيئة يتمنون حدوثها لشخص يستحقها، أو يشمتون سرّاً عندما يعرفون أن الشخص الذي تسبب لهم في الألم ذات مرة يعاني الآن من الألم نفسه. إذا انتهى الأمر لأن تكون الطرف المظلوم في طلاق أو عقد انتهكت بنوده أو علاقة مُسيئة أو تعرضت للإهانة أو الطرد من العمل، ربما تصارع مع الانتقام في ذهنك، حتى لو لم تكن تنوي التصرف طبقاً لما تشعر.

هذا هو المقصود بأن «يغلبك الشر»، كما تقول كلمة الله بكل بوضوح.

عندما نؤوي المرارة في داخلنا، نتسبب بالضرر لأنفسنا وليس للشخص الذي نشعر بالمرارة نحوه. يريد الله منا أن نكون في سلام من الداخل والخارج. فمهما كانت المشكلة، دعها خلفك. لا تحاول بعقلك تحديد النتيجة النهائية. ذكر نفسك عن وعي وتعمد بأن الله قادر على التعامل مع الوضع بشكل عادل وكامل في توقيته. يمكنك الوثوق دائماً بأنه سيفعل ذلك.

من الواضح أن هناك بعض الحالات قد تتطلب نوعاً من الاستجابة من ناحيتنا. هذا هو المكان الذي سيستخدم المؤمن الحكيم فيه الكتاب المقدس ومشورة الله لاتخاذ الإجراءات التي يريدها الله. ولكن هناك فرقاً بين معالجة الموقف والانتقام. الانتقام هو عمل الله، لذلك ارفض أن تقوم به بنفسك، سواء أكان نفسياً أم جسدياً. الثقة بالإله العادل هي إحدى طرق عبادته وسط عالم ساقط. (للاطلاع على مقاطع الفيديو المتعلقة بالغفران، يمكنك زيارة Levantministries.com)

جد تعزيتك في عدل الله.

تسير الاستجابة الثالثة جنباً إلى جنب مع الثانية. فبدلاً من الانتقام، يمكن للمؤمنين أن يرتاحوا عندما يتعرضون للظلم، عالمين أن الله سيعادل الموازين في النهاية. هذه المعرفة هي مصدر للراحة عندما:

- يختابك الناس من وراء ظهرك
- يصدّم شخص ما سيارتك وليس لديك تأمين
- تتم الإساءة إليك ماليًا
- يتجاهلون أحقيتك في الترقية
- يتركك شريك حياتك، وتكتشف أنه كان على علاقة جنسية بشخص آخر
- يصدّم سائق سكرير أحد أحبائك وتتغير حياتك إلى الأبد
- تتعرض للمعاملة السيئة
- يخدعك أحدهم بشكل صارخ
- يخون ثقتك أفضل أصدقائك

جد تعزية في عدل الله عندما تواجه صعوبات غير عادلة.

ن أجل التشجيع العملي، اقرأ مزمور ٧٣. يقول آساف إنه كاد أن يسقط عندما رأى «ازدهار الأشرار». لقد شاهد أموراً جيدة تحدث لأناس سيئين، فأغاضه الأمر جداً. ثم في الآية ١٧، دخل مقادس الله ورأى الأمور من منظور أفضل. توقّف آساف عن النظر إلى الحياة من منظوره الضيق وحصل على لمحة عن الصورة بأكملها. وفي نهاية المزمور، رضي آساف بأن يكون الرب نفسه نصيبه. فالله هو ملجؤه وقوته، وعرف أن كل الأمور تنتهي وفقاً لعدالة الله الكاملة.

يمكنك، شأنك شأن آساف، أن تقول: «عزّني يا الله». إن كان هناك شخص واحد فقط على وجه الأرض تعرّض لظلم بين، فإنه يسوع. وهو يفهم ماذا تشعر به، لذلك تحدّث معه عن هذا الأمر. وسيبكي معك، ويواسيك، ويظهر لك محبّته.

■ تأمل في دينونة الله الأخيرة

الاستجابة الأخيرة مع عدل الله هي التأمل بعمق في كرسي دينونة المسيح حيث الوعد بالمكافأة أو الخسارة الروحية.

«لأنّهُ لَا بُدَّ أَنْتَا جَمِيعاً نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا»

(كورنثوس الثانية ٥: ١٠)

إذا كنت مؤمناً بالمسيح، أريد منك أن تفحص قلبك، اسأل نفسك هذا السؤال: إذا استمررت في العيش لمدة عشر سنوات أو ثلاثين أو خمسين سنة مع الأولويات نفسها، والطريقة نفسها في استخدام الأموال، والطريقة نفسها في قضاء الوقت، والطريقة نفسها في استخدام موهبتي، والمشاعر نفسها، وبذل طاقتي في الأمور نفسها التي أقوم بها حالياً،

هل سأسمع «نعمًا» عند مثولي للسجود أمام المسيح؟ أم سأسمع: «ماذا فعلت في العالم بكل ما أعطيتك؟ وكيف، مع وضع أيديتك في الاعتبار وكل ما فعلته من أجلك على الصليب، أمكنك أن تعيش بمثل هذا التمحور على الذات، والتركيز على الذات، والبحث عن الملذات وأنت في واقع الأمر واحد من أولاد الله؟ لقد حصلت على الخلاص وغُفرت خطيئتك وسوف تقضي الأبدية معي، ولكنك سببت الإحراج لملكوت الله.»

بعبارة أخرى، هل سيشير يسوع إلى حياتك كبناء جميل بُني لتكريمه؟ أم سيشير إليها كبناءٍ تتصاعد ألسنة النيران منه لأنه لم يُبَيّن من أي شيء أبدي؟

إذا كنت تعتقد أن الطريقة نفسها التي تعيش بها اليوم سوف تحقق نتائج مختلفة، فأنت تضلل نفسك. الآن هو الوقت المناسب لمراجعة أولوياتك وعلاقاتك وأموالك وتركيزك وطاقتك. هذا هو الوقت المناسب لضبط الأمور بحيث عندما تقف أمام كرسي دينونة المسيح، فإنه سينهض ويعانقك ويكرمك كما أكرمته أنت بحياتك. ستسمعه يقول: «أنا سعيد جدًا لرؤيتك! لقد قمت بعمل رائع وأنا فخور بك!» هل هذا يعني أنك ستكون مثاليًا؟ بالطبع لا.

سوف تواجه صعودًا وهبوطًا والكثير من الإخفاقات، لكن عدل الله سيساعدك على رؤية الخطأ بوضوح والتوبة والرجوع عنه بدلاً من اختلاق الأعذار. ستمنعك عدالته من الكبرياء والعناد وستشكلك حتى تبدو مثل يسوع.

تجربتي الشخصية مع عدل الله

يمكن أن تكون الآثار العملية لعدل الله في حياتنا اليومية مذهلة. فأتساءل عن العمل على هذا الفصل، منحني الله فرصة نابضة بالحياة ليعلمني أن أرتاح في عدالته، حيث تعرضت للاستغلال من قبل شخصين قابلتهما في الحي الذي أسكن فيه.

كنت قد تعلمت خلال فترة وجودي في أتلانتا كيفية استخدام قش الصنوبر لتغطية الأرض حول الشجيرات الصغيرة ومناطق التربة العارية تحت الأشجار. لم أسمع قط عن قش الصنوبر من قبل، ولكنني سرعان ما تعلمت بتشجيع من زوجتي - أننا بحاجة إلى تغطية تلك المناطق العارية في الفناء الأمامي. لذلك، بدأنا مشروعنا في صباح أحد أيام السبت وتعلمنا الفنون الخاصة بقش الصنوبر. لكن لسوء الحظ نفذ الوقت كما نفذ قش الصنوبر كلاهما قبل أن ننهي العمل، إلى جانب اضطراري للسفر خلال الأسبوعين المقبلين. ولذلك قررنا تعليق المشروع.

عندما عدت، اصطحبت تيريزا لتناول وجبة الإفطار من أجل استعادة التواصل بيننا بعد فترة سفري. وفي طريق عودتنا إلى المنزل، لمحت رجلين في شاحنة بيك أب قديمة مُمهلة بقش الصنوبر متوقفة على جانب الطريق. فكرت أن هذا هو الوقت المثالي لأظهر لزوجتي مدى اهتمامي بمنزلنا الذي يشكّل عالمها، لذلك توقفت وسألت عن قش الصنوبر.

رغم أن هيئة الرجال بدت قذرة وغير مهندمة وأنهما يتصرفان بطريقة غريبة ومستغلة طلبت منهما أن يتبعاني

إلى منزلنا القريب واشترت منهن ثلاثين بالة من قش الصنوبر. تحرك قلبي نحوهما، فقدّمت لهما بقشيشًا كبيرًا ونسختين من كتاب من تألّيفي كنت قد صليت أن يستخدمه الله في حياتهما، وتمنيت لهما التوفيق.

بعد ذلك بساعات قليلة، حاولنا نشر قش الصنوبر، فكان من الواضح أنه ليس مثل ذلك النوع الذي كنا نشتره من قبل. كان جافًا وممتلئًا بشوائب قذرة، ويصعب نشره. كما أن لونه تغيّر بشكل كبير. لقد تعرضنا للغش.

كان هذا ما تلقّيته مقابل محاولتي للكراسة لشخصين ذوي مظهر مريب واستعدادي للتضحية بمبلغ مئة دولار ونسختين من كتابي.

لو كان هذا الموقف قد حدث قبل بضع سنوات، لكان رد فعلي في الغالب هو الغضب الشديد والشكوى، ويلى ذلك التفكير في إستراتيجية كاملة للعثور على هذين الرجلين واسترداد مالي.

لكن عندما فكرت في عدالة الله، استطعت أن أستريح عالمًا أنه يعرف النتيجة النهائية، وأن الحياة فيها ما هو أهم من قش الصنوبر. لقد حصلت على فرصة الكراسة للرجلين وفرصة لأقابل الشر بالخير، كما اكتسبت خبرة في معرفة الفرق بين قش الصنوبر الجيد والرديء.

استطعت تخطي الأمر وعدم الغضب لأجل الدولارات المئة. لماذا؟ لأنّ إلهي صالح متسيد، وفي هذه الحالة يمكنني أن أثق بأنه عادل.

كُتبت تلك الكلمات وهذه القصة في الطبعة الأولى من هذا الكتاب منذ أكثر من عشر سنوات. قد يبدو الأمر تافهًا بالنسبة إلى الكثيرين ممن يعتقدون أن فقدان مئة دولار لا يُعدُّ أمرًا هامًا. ولكن بعضًا منا يملك إحساسًا قويًا بالعدالة في تكوينهم، ويريدون بشدة أن تكون الأمور عادلة ومستقيمة.

لم أكن أعرف أن هذا الحادث كان في الواقع تدريبًا من الله ليُعدّني لأصعب تجربة ظلم تعرضت لها في حياتي بعد سنوات قليلة. لم تكن المشكلة هذه المرة هينة، ولا المبلغ صغيرًا، وكان مستوى الثقة المنتهك كبيرًا جدًا. قضيت عامين في عذاب راجيًا أن تستقيم الأمور وأن تتحقق العدالة من دون جدوى في ما يتعلق برضاي الشخصي.

من خلال نعمة الله، والمشورة الحكيمة، ودعم الإخوة الناضجين في الإيمان، تخلّيت عن الأمر بأكمله، وغفرت تمامًا للذين أخطأوا في حقّي، واتكلت على الله في استرداد ما يريد أن أسترده، وتخلّصت من القلق والاستياء. لماذا؟ لأن الحياة لن تكون عادلة على هذا الكوكب الساقط، ولكن إلهي عادل، ويمكنني أن أثق به في ما يتعلق بكل ظلم أتعرض له أو أتصوره.

عوّض الله عن الخسارة بشكل معجز. وبمعجزة أيضًا، صرت على استعداد لمواجهة نفاقي عندما أطلب بتحقيق العدالة عندما يخطئ الآخرون في حين أصلي من أجل الرحمة عندما أخطئ أنا. وبمعجزة أيضًا، شهدت مصالحة حقيقية مع الأشخاص المعنيين، ويمكنني أن أشهد أنّ الشفاء والأمل ممكنان حتى في تلك الحالات التي كانت تبدو مستحيلة.

عش ما تعلمت

يستخدم الله ثلاث ممارسات أساسية في حياة كل مؤمن لكي يساعده على النمو والنضج. عندما تحرص على تنفيذ تلك الممارسات باستمرار من قلب صادق، لن تنمو روحياً فحسب بل ستعيش حياة ذات معنى وأكثر أهمية.

■ **اقض بعض الوقت يومياً مع الله:** التق بالله يومياً بشكل شخصي من خلال قراءة كلمته والصلاة لكي تستمتع بحضوره. استمع إلى توجيهاته واتبع مشيئته.

■ **اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين:** قم بتنظيم وقتك خلال الأسبوع بحيث تسنح لك الفرصة للتواصل مع المؤمنين الآخرين في علاقات آمنة توفر الحب والدعم والشفافية والتحدى والمساءلة.

■ **كن مخلصاً للمهمة الموضوعة عليك:** اجعل من توصيل محبة يسوع إلى الآخرين من خلال الخدمة وأعمال التضحية أسلوب حياة في منزلك وعملك وكنيستك وأيضاً في أوقات المرح واللعب.

■ ا- اقض بعض الوقت يومياً مع الله

اكتب التعريف التالي على ورقة ملاحظات أو على هاتفك الذكي أو لוחتك الذكية واقراه عندما تستيقظ في الصباح وقبل ذهابك إلى الفراش. لا تحاول حفظه، فقط اقراه بروح الصلاة واسمح لحقيقة عدل الله أن تنساب بلطف إلى أعماقك.

«اللّه عادل، وهذا يعني أنّ كل ما هو عليه وكل ما يفعله إنما يفعله بنزاهة وإنصاف وبر كاملين. العدالة ليست معياراً يتبعه اللّه؛ بل اللّه هو المعيار. وعلى الرغم من كون اللّه مُحِبّاً بلا حدود، وكلّيّ الصّلاح، ويعفو عن التائبين، إلا إنّ عدالة اللّه تتطلب المساواة الأخلاقية والعقاب على الأفعال التي تضر بالإنسان. إن عدالة اللّه تعني أن أحداً لن يتعرض للظلم في النهاية. أستطيع أن أثق في اللّه أنّه سيوازن كل الموازين ذات يوم.»

إلى جانب هذا التعريف، اكتب الآية المذكورة في رومية ١٢: ١٧-٢١ ثم تأمل في هذه الفكرة. سأل نفسك في كل مرة تقرأها: «ما الذي سيكون عليه الحال لو أمنت من قلبي حقاً أنّ اللّه عادل وأنّه سيجازي عن كل شيء في النهاية؟ كيف سيغير ذلك مواقف وردود أفعالي تجاه الآخرين؟»

«لَا تُجَاوِزُوا أَحَدًا عَن شَرِّ بَشَرٍ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمَكِّنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. لَا تَنْتَقِمُوا لِأَنفُسِكُمْ أَيُّهَا الْأَجْبَاءُ بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْعُصَبِ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِي النَّقْمَةُ أَنَا أَجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَاطْعِمِهِ. وَإِنْ عَطَشَ فَاسْقِهِ. لِأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هَذَا تَجْمَعُ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ». لَا يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلْ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْحَيْرِ.»

رومية ١٢: ١٧-٢١

انضمّ إليّ في جعل الصلاة الآتية صلاتك الخاصة خلال السبعة أيام القادمة:

يا سيدي الرب، القدوس والعدل، امنحني بينما أنظر إلى أحكامك أن:

- أتعلم أن أقدر تضحية يسوع وعمله الكفاري من أجلي.
- أتخلي عن كل رغبة في الانتقام وأرفض تنفيذه بشروطي الخاصة.

- أجد الراحة فيك عندما تكون الحياة غير عادلة.

- أذكر دائماً أنني سأقف أمام كرسيك.

ساعدني أن أجد الراحة في ثقتي في برك وأن أنتظر عدلك. إنني
أحنني في صبر وإيمان وامتنان أمام سلطانك لأنك وحدك قاضي
كل المسكونة. في اسم يسوع، آمين.

**أي من الردود الأربعة التالية لعدالة الله يجد صدق في حياتك
في الوقت الحالي؟ لماذا؟**

♦ التمسك بيسوع.

♦ رفض السعي إلى الانتقام.

♦ الراحة في عدالة الله.

♦ التأمل في دينونة الرب النهائية.

إذا كنت في حاجة إلى أن تغفر لشخص يؤذيك، اختار أن تفرج
عنه، لا أن تخفف العقوبة.

■ ٢- اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين

♦ إذا كنت تعاني من أذى أو خلاف في مجال العلاقات، اطلب من
صديق لك أن يساعدك في اجتياز تلك الرحلة.

♦ اذكر بعض الطرق العملية التي يمكنك أن تبارك بها أحد
الأشخاص على نحو غير متوقع؟ (رومية ٢٢: ٢٠)

■ ٣- كن مخلصاً للمهمة الموضوعة عليك

♦ كيف يمكن أن تستخدم الغفران لأولئك الذين يؤذونك والراحة
في عدالة الله كوسائل لجذب الآخرين إلى المسيح؟



9

محبة الله



«أَنْظُرُوا آيَةَ مَحَبَّةِ أَعْطَانَا الْآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ
اللَّهِ! مِنْ أَجْلِ هَذَا لَا يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ.»

يوحنا الأولى ١: ٣

محبة الله

عندما تُعلِّمُون كلمة الله بقدر ما أفعل، ستجدون أمامكم تحديًا عندما يتعلق الأمر بتقديم الرسالة. سترغب في مقدمة تشد انتباه المستمعين، وتُعدّهم للاستماع إلى الموضوع الرئيسي، وتُشركهم عاطفيًا في الرحلة.

كنت أستعد للوعظ عن أحد أعظم الأصحاحات، والذي يحوي واحدة من أهم الرسائل في الكتاب المقدس بأكمله، كورنثوس الأولى ٣، لكنني كنت عالقًا. وبعد محاولات كثيرة بلا جدوى وصلوات مكثفة والكثير من قصاصات الورق المكدسة على الأرض، شعرت بأن الله ألهمني فكرة لمقدمة مناسبة. وبصراحة، بدا الأمر وكأنه ينطوي على مخاطرة، بل كان غير معتاد. يمكن أن تكون وسيلة إيضاح قوية لإطلاق رسالة عن المحبة، لكن يُمكن في الوقت نفسه أن تفشل فشلاً ذريعًا.

بينما صعدت نحو المنبر، طلبت من الناس أن يسندوا رؤوسهم ويسترخوا في مقاعدهم، ثم سرت إلى حافة المنصة وقلت: «أود القيام بتجربة صغيرة. سوف أغني أغنية قديمة من العصر الذهبي، ولكنها تحوي رسالة عظيمة. ليست ترنيمة مسيحية، ولكنها تستحق أن تكون كذلك. يُمكنكم مصاحبتي الغناء إذا كنتم تعرفون الكلمات وتريدون أن تغنوا معي.»

وهكذا من دون موسيقى مصاحبة، بدأت في غناء أغنية «ما يحتاج العالم إليه الآن» لبيرت باكاراك، والتي غناها ديون وارويك أيضًا. فانضم إليّ المئات. اعتقدت أنهم سيميلون أمامًا وخلفًا. أخذتني الاستجابة التلقائية العفوية من قِبَل الصغار والكبار على حين غرة. الأمر الذي أشعل حماسي. وفي واقع الأمر، اضطررت في النهاية إلى أن أقاطع غناءهم وأوقفهم.

لماذا حدث ذلك؟ ما الذي كان في تلك الأغنية حتى خلقت صدق عميقًا عند كل من كان في القاعة؟ ما هي الديناميكية وراء قيام تلك المجموعة من الناس من جميع الأعمار والخلفيات بالخروج

من منطقة الراحة الخاصة بهم من دون سابق إنذار للغناء عن موضوع واحد وحيد... الحب؟

الحب هو حقًا ما يحتاج العالم إليه اليوم؟

هل يمكنك أن تتخيل ما سيحدث في منزلك وبين أصدقائك إذا أحببتهم أكثر، ثم بدأوا هم يحبون بعضهم بعضًا أكثر؟ أنا لا أقصد الوصول إلى كمال الحب. لنقل فقط خمسين بالمئة أكثر مما تحبون بعضهم بعضًا الآن. ألن يكون هذا رائعًا؟

ماذا لو حدث ذلك في العمل، وبدأ الجميع، مؤمنين وغير مؤمنين على حد سواء، يحبون بعضهم بعضًا خمسين بالمئة أكثر مما يفعلون؟ ولماذا نقف عند هذا الحد؟ ماذا لو بدأ الجميع في الشرق الأوسط، وفي وسط أفريقيا، وفي البلقان، وفي وسط مدينة لوس انجلوس أو نيويورك يحبون بعضهم بعضًا أكثر من ذلك؟ ماذا لو اتسمت اجتماعات الأمم المتحدة بمزيد من المناقشات المثمرة بشأن المسائل الصعبة أكثر من الهجمات الشخصية وإثارة الجدل؟ ماذا لو كان أساس الحملات السياسية هو الاحترام المتبادل بدلاً من الذم والتشهير؟ ماذا لو كان الجميع في اللقاءات العائلية، الآباء والأمهات، والحמות والكُنات، والشخص المزعج في كل عائلة، والأشقاء الذين ليسوا على وفاق يستمتعون بوجودهم معًا لأنهم أصبحوا يحبون بعضهم بعضًا أكثر قليلاً؟

سيكون هذا العالم أكثر لطفًا وكرمًا واهتمامًا وتسامحًا، ولا أعتقد أن أي شخص سيختلف معي في ذلك. ما هي المشكلة إذن؟ لماذا ليس هناك المزيد من الحب؟ يقول الناس بعضهم لبعض «أنا أحبك» في كل وقت. فلماذا لم يتغير العالم؟ بطبيعة الحال، هنالك مشكلة. يشعر الجميع بالحب، لكننا لا نفهمه بالضبط. نحن انتقائيون جدًا بخصوص من نمحه الحب، ومع مرور الوقت نكون متقلبين جدًا في هذه المسألة. نحن نحاول وصف الحب ولكن لدينا صعوبة في العثور على الكلمات المناسبة لذلك. وعندما يتعلق الأمر بمحبة الله

محبة الآب السماوي اللانهائية والدائمة وغير المشروطة، فإننا لا نستطيع أن نوضحها حقًا. فنحن نحاول دائمًا أن نُعرّفها من خلال المصطلحات الإنسانية الخاصة بنا، لكن تعبيراتنا هي دائمًا قاصرة عن إيصال المعنى.

ندما بدأت بتحضير هذه الدراسة عن صفات الله، اعتقدت أن الحب سيكون الأمر الأسهل للكتابة عنه، لكنني كنت مخطئًا. لأنني كلما فكرت في حب الله، كلما شعرت أكثر فأكثر بعجزني عن التعبير عنه بالكلمات. عندما نبحث في ما يشترك الله إلى أن نعرفه عن حبه، نجد أنفسنا نخطو على أرض مقدّسة وغامضة. قد تبدو فكرة حبه مألوفة جدًا إلى أن نبدأ في التفكير فيها فحلًا.

عندي قناعة أنّ محبة الله هي واحدة من أصعب صفاته فهمًا بالنسبة إلينا. لقد رأيت لمحات منها، ولكن عقلي عجز عن فهمها. فرغم أنني قمت بواجبي في دراسة الكتاب المقدس، وأنا أعرف ما تقوله النصوص المختلفة، إلا أنني أجد تحديًا أكبر عندما أحاول أن أشرح لزوجتي ما أعنيه بقولي «أنا أحبُّك». لا أشعر أبدًا أنني قد أوفيت الأمر حقه عندما أحاول شرح ذلك. وبالطريقة نفسها، غالبًا ما تتحول محاولة تفسير محبة الله إلى محاولة وصف ما هو أعمق وأوسع وأفضل بكثير مما تستطيع الكلمات أن تُعبّر عنه.

لقد استفدت كثيرًا مما قاله لي الآخرون عن محبة الله، وأنا على ثقة أن هذه الكلمات سوف تشجعك على اختبار محبة الله بنفسك. يوجد أمامنا محيط هائل من محبة الله في متناول أيدينا، وأنا مقتنع بأن كل مؤمن عادي، بما في ذلك أنا، لم يقترب منه بما يكفي حتى للمس مياهه، أو على الأقل لم تقترب إلى الحد الذي يريده الله.

إذا لم نحاول أن نرى محبة الله بطريقة أكثر وضوحًا، لن نكون ذلك النوع من الأشخاص الذين يحدثون فرقًا في العالم.

تدفعني ثلاث حقائق إلى بذل قصارى جهدي لإيصال محبة الله:

١. يبحث الجميع عن الحب.

نرى البحث عن الحب حولنا طوال الوقت في أمور مثل الموسيقى التي نسمعها والأفلام التي نشاهدها. إنها رغبة منسوجة في كينونتنا فمنذ لحظة خروجنا من الرحم، نبحث عن شخص يطعمنا ويعانقنا ويرعانا ويؤكد قيمتنا ويغفر لنا عندما نتسبب بالفوضى ويدعمنا ويقول لنا إننا مهمون بالنسبة إليه تمامًا كما نحن. وبغض النظر عن البلد الذي ولدنا فيه، أو خلفيتنا العرقية والثقافية والدينية، هناك حاجة شمولية إلى الحب عند البشر.

وفي واقع الأمر، يمكن أن يُفسَّر كل نشاط نقوم به تقريبًا على أنه محاولة للحفاظ على الحب، أو تعزيزه، أو السعي إليه بطريقة أو بأخرى. وتتعثّر الزيجات طوال الوقت بسبب أخطاء أناس حاولوا البحث عن الحب في جميع الأماكن الخاطئة. والأدلة حولنا واضحة؛ فالجميع يبحث عن الحب.

٢. كما أنه يوجد سعي شمولي إلى الحب ، كذلك يوجد حل شمولي له أيضًا.

إذا كان الكل يواجه المشكلة نفسها، فلا بد أن هناك حلًا شموليًا. إذا كنا جميعًا بحاجة إلى النوع نفسه من الحب، فلا بد أن يكون مصدر هذا الحب هائلًا وشاملاً. ومن الواضح أن الشخص الوحيد الذي يمكن أن يحبنا بهذه الطريقة هو الله. قد نحاول تلبية حاجتنا إلى الحب من خلال مخلوقات أخرى مثلنا، لكن أحدًا لا يمكنه أن يعطينا حب خالقنا. يحب الله كل البشر في كل مكان، وهو يتوق إلى تلبية احتياجات قلوبهم العميقة.

وهو الذي خلق هذا الكوكب ويحافظ عليه، وهو الذي نسج الحمض النووي لدينا في الرحم، وهو ذاته الذي يحبنا من دون قيد أو شرط وبصرف النظر تمامًا عن أدائنا.

٣. هناك انفصال مأساوي بين الحاجة الشمولية والحل الشمولي.

فمن ناحية، هناك أكثر من ستة مليارات شخص في العالم متعطشين للحب؛ ومن ناحية أخرى، هنالك إله يمتلك موارد لا حدود لها من الحب ويرغب في منحهم الحب. ولكن الطرفين غالبًا ما يكونان متباعدين. فالشخص العادي لا يختبر محبة الله.

تخيل حشدًا هائلًا يُمثل جميع سكان العالم: من أمريكا الشمالية والجنوبية وإفريقيا وآسيا وأستراليا وأوروبا مجتمعين معًا في مكان واحد يقفون متلاصقين كتفًا إلى كتف. وتم توفير كل الاحتياجات الأساسية من هواء وطعام وماء في الوقت الحالي. والآن تخيل أنه بدلاً من أن تكون المحيطات والبحار والبحيرات حولهم ممتلئة بالماء، أصبحت مُترعةً بالحب السائل وفاضت كل بحيرة وبركة ونهر بالحب، في حين أن العدد الذي لا يحصى من البشر يقف غافلاً تمامًا عن ذلك. فكميات المحبة وفيرة وجاهزة للاستخدام وهي في متناول اليد. ولكن على نحو ما، لا يوجد اتصال بين الحاجة والإمدادات. هذا هو مأزق هذا العالم.

لم يختبر كثيرون محبة الله لأنهم لم يعرفوا حتى إنها متاحة. إنهم لا يعرفون أن الله يحبهم لأن أحدًا لم يعلن حبه لهم. ربما كانوا سيحتضونه لو كانوا على دراية به، لكنه أمر مأساوي أنهم لا يعرفون. تخيّل شخصًا لا يعيش قُرب الساحل ولم يسبق له أن رأى المحيط. ربما سمع عنه، ولكن الكلمات التي سمعها لم تصفه كفاية. بماذا

سيفكر عندما يراه أخيرًا؟ سيندهش لدرجة الصدمة، أليس كذلك؟ هذا هو وضع بلايين الناس في هذا العالم. إنهم لم يدركوا قط محبة الله، وستُصدم عقولهم إذا أدركوها.

يعرف كثيرون عن محبة الله - لقد زاروا «المحيط»، لكنهم لم يسبحوا فيه بعد. ربما كانوا يقفون على الشاطئ وقيل لهم: «هناك ستجدون محبة الله».

حتى إنهم قد يعتقدون إن الله يحبهم، لكن ذلك لا يُحدث فرقًا في حياتهم أكثر من فكرة أن أي شخص آخر يحبه. لم يقفوا قط في الماء. لم يغمروا أنفسهم فيه. لم يكتشفوا قط أن ماء حب الله حلو ويشبع الروح أكثر من أي شيء آخر.

هنالك أيضًا مجموعة ثالثة تعرف عن حب الله، بل إنهم قاموا بالسباحة في المحيط. استحمّوا واغتسلوا وشربوا من محبة الله، لكنهم عادوا إلى الشاطئ واستمروا في العيش كما لو أن حب الله لم يحدث أي فرق. ويبدو أنهم يعتقدون أنه غير مسموح لهم بزيارة الشاطئ بانتظام. إنهم يحملون جروحًا عاطفية وذكريات تجعلهم يجدون صعوبة في الإيمان بأن حب الله غير مشروط ومضحّ وعطاء بصرف النظر تمامًا عن أدائهم. إنهم يخلطون بين حب الله والحب الذي حصلوا عليه من والديهم أو أي شخص آخر أحبهم، ولا يمكنهم أن يختبروا ذلك الحب الخارق بشكل يومي.

أشار أحد المؤلفين المؤمنين بالمسيح في معرض حديثه عن مشكلة بعض المؤمنين بالمسيح في تقبل محبة الله، فقال:

لقد أدركت على مر السنين أنّ أسوأ فخ في حياتنا ليس النجاح أو الشعبية أو السلطة، ولكنه رفض الذات. يمكن أن يمثل النجاح والشعبية والسلطة في الواقع تجربة كبيرة، ولكن السر وراء طبيعتها المغوية غالبًا ما تكون جزءًا من تجربة أكبر بكثير تُسمّى رفض الذات.

عندما نتجاوب مع الأصوات التي تخبرنا أنه لا قيمة لنا وأنا غير مستحقين للحب، ننظر ساعتها إلى النجاح والشعبية والسلطة بسهولة على أنها حلول جذابة. ومع ذلك، فإن الفخ الحقيقي هو رفض الذات... فرفض الذات هو أعظم عدو للحياة الروحية لأنه يتناقض مع الصوت المقدس الذي يدعونا «أحباء»، ويُسكّل كوننا «أحباء» الحقيقة الأساسية وراء وجودنا.

سيتضمن هذا الفصل رحلة طولها خمسة وأربعون سنتيمتراً عند معظمنا - من الرأس إلى القلب. وتمثل هذه الخمسة والأربعون سنتيمتراً الفرق بين الوقوف على الشاطئ والسباحة وسط الأمواج.

يمكنك أن تقف على الشاطئ مكتوف الأيدي، وتأمل أن يأتي مدّ محبة الله ويطالك، أو يمكنك الغوص فيها. وهي رحلة يمكنك أن تقوم بها أينما كنت الآن. صلاتي هي أن يصحبك روح الله شخصياً في هذه الرحلة، وسيتبين لك في الصفحات القليلة القادمة كم أن الله يحبك. وسيعرف قلبك أن حبه هو شيء مؤكد بحيث يمكنك العيش به والعيش طبقاً له. وستبدأ الرحلة في عقلك بينما نوضح ما نعنيه عندما نتحدث عن محبة الله ونحن نستكشف كيف أعلن الله عن حبه في هذا العالم. ثم سنتحدى قلوبنا للبدء بالنبض مع قلب الله، وستشعر كم يتوق الله إلى أن تُغمّر في حبه.

تعريف محبة الله

لا تُساعدنا القواميس كثيراً عندما يتعلق الأمر بتعريف محبة الله. فهناك أنواع كثيرة من المحبة، وكثيرة منها مشوّهة بمفاهيم بشرية خطأ. فتعريفات القاموس ليست جيدة، على الأقل عندما يتعلق الأمر بنوع الحب الإلهي. تحاول القواميس الوصول إلى أقرب وصف للحب، بدقة كما أفعل عندما أحاول شرحه لزوجتي. لذلك وضعت القاموس جانباً، وجمعت بعض المقاطع الكتاب المقدس، ونقلت بعض اقتباساتي المفضلة من أ. و. توزر، وجي. آي. باكر، وغيرهما - وتوصلت في نهاية المطاف إلى هذا التعريف العملي:

محبة الله هي نزعة المتأصلة المقدسة تجاه كل ما خلقه، تلك النزعة التي تجعله يعبر عن المودة غير المشروطة والتصحيح الانتقائي لبعض الأخطاء التي نقوم بها، بهدف توفير أعلى نوعية لوجودنا نحن موضوع محبته، الآن وإلى الأبد.

تلخص تلك الجملة الطويلة كل ما تعلمته حتى الآن عن محبة الله. اسمح لي أن بأفسرها لك، وأسلط الضوء على بعض الكلمات الرئيسية.

سبق أن بحثنا في معنى كلمة قدوس باعتبارها واحدة من صفات الله. إنها تعني «مختلف» أو «منفصل». إذ لا يحبك الله مثل أي شخص آخر، فمحبه ليست كمحبتك لزوجتك أو زوجك أو أمك أو أبيك أو أحد أطفالك. بل يحبك بشكل أفضل. يحبك شخصياً وعلى وجه التحديد وبشكل فردي. لديه نزعة مقدسة متأصلة وموقف محدد واختيار واضح أن يعرفك باسمك وأن يتعاطف معك.

إذا كان نوع الحب الذي نعرفه يكفي بالكاد لملء قارورة صغيرة، فإن حب الله سيملاً المحيطات الموجودة على مليون كوكب. إنه مختلف تمامًا، سواء في الكمية أو النوعية. فتلك النزعة المقدسة المتأصلة لدى الله تستهدف كل ما خلق، وليس الصالح أو المطيع فحسب.

مصدر نزعة المحبة تلك هو الله، وليس المخلوق. فلا يمكننا أن نجتذب محبة الله أو نخدعها أو نقيعها أو نكتسبها. إنه لا يحبنا بفضل من نحن، ولكن بفضل هويته. فطبيعته وشخصيته «تجبرانه» على التعبير عن محبته غير المشروطة تجاهنا.

الله حنون وكريم عندما نكون صالحين، وهو حنون وكريم عندما نكون أشرار أيضًا. حبه هو أيضًا حاسم وكامل، وهو ما قصدته بأنه يشمل التصحيح الانتقائي لأخطائنا. الله يهتم كثيرًا عندما ييرانا نتحرك في الاتجاهات التي من شأنها أن تسبب ضررًا لنا، وهو يؤدبنا ويعيدنا إلى الطريق الصحيح لأنه يريد الأفضل لنا. إن أفكاره صالحة تجاهنا وهو يريد لنا أن نحصل على أفضل نوعية لوجودنا يمكن أن نعيشها.

هل تدرك ما يعنيه ذلك بالنسبة إليك شخصيًا؟ مهما كان المقصود بالامتلاء بالخير والحياة حتى الحافة، فهذا هو ما يريد الله لك. إنه يريدك لك الآن، في هذه الحياة، كما يريدك لك إلى الأبد. إذا كانت الملذات هي التي ستحقق لنا هذا النوع من الحياة، فسيمنحنا إياها. وإذا كان الألم هو الوسيلة لتحقيقه، فسيسمح لنا بأن نجتازه. فالله على استعداد كامل ومعه كل ما يلزم لتوفير الحياة الأفضل لأولاده.

تصف كلمة معينة في الكتاب المقدس الحب الذي يظهره الله، وهي «أغابي» (Agape). تستخدم اللغة الإنجليزية كلمة واحدة (الحب-Love) في عشرات السياقات، ولكن في اليونانية كلمات عدّة تُترجم في لغتنا إلى «المحبة» في كثير من الأحيان. تتسم محبة الله أو أغابي بأنها معطاءة ومضحية وغير مشروطة ولا حدود لها.

حتى أولئك الذين لم يعتادوا قراءة الكتاب المقدس منذ الصغر عادةً ما يحفظون الآية الكلاسيكية عن محبة الله والموجودة في يوحنا ٣: ١٦ - حتى ولو كان فقط من خلال رؤيتها على اللافتات المرفوعة في مباريات كرة القدم: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.» ونحن نجد توضيح كل السمات المذكورة في التعريف السابق في هذه الآية. لقد ضحى الله بابنه الوحيد حتى يتسنى لأي شخص يؤمن به أن يتمتع بأعلى مستوى من وفرة لا حد لها (الحياة الأبدية).

واحد من المقاطع المفضلة لدي التي تساعدني على التفكير في أبعاد حب الله موجود في أفسس ٣: ١٧-١٩ يقول بولس:

«لِيَجَلَّ الْمَسِيحُ بِالْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَنْتُمْ مُتَّصِلُونَ وَمُتَّاسِسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّوْلُ وَالْعُمُقُ وَالْعُلُوُّ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةَ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلءِ اللَّهِ.»

لا توجد أداة قياس يمكنها أن تقيس كل ملء الله. وهو، في لا محدوديته تلك، يهتم بك ويريد الأفضل لك.

يصعب علينا استيعاب الأمر. أليس كذلك؟ نحن نجاهد من أجل فهم محبة الله. والسبب في ذلك هو علاقتنا الإنسانية. فنحن نقيس الحب بما نقوم به وبمدى نجاحنا في القيام به. وتتميز محبتنا بعضنا لبعض بالكثير من الـ «ماذا لو» والـ «ربما» والـ «لأن...» أنا سأحبك إذا كنت ستفعل هذا، أو أنا أحبك لأنك فعلت ذلك. ونحن لا نستطيع أن نتصور الحب من دون شروط.

يقول اللاهوتي تشارلز رايري إن هناك أربع كلمات على الأقل في العهد الجديد والعهد القديم تدرج تحت فئة محبة الله: صلاحه (خَيْرِه) ورحمته وطول أناته ونعمته.

«الفروق غير دقيقة رغم محاولات إيضاها. يمكن تعريف الصلاح على أنه اهتمام الله الخَيْرِ بخليقته (أعمال ١٤: ١٧). والرحمة هي ذلك الجانب من صلاح الله المتعلق بإظهاره للشفقة والرفقة (أفسس ٢: ٤؛ يعقوب ٥: ١١). وتعبر طول الأناة عن ضبط النفس في مواجهة الاستفزاز (بطرس الأولى ٣: ٢٠؛ بطرس الثانية ٣: ١٥). والنعمة هي فضل الله غير المستحق والظاهر في المقام الأول في شخص يسوع المسيح وعمله.»

بما أن محبة الله ممثلة بالصلاح (الخير)، فسيهتم دائمًا بأن يجد سَبَلًا لتحقيق الخير في حياتك. وبما أن محبة الله رحيمة، ففي أي وقت تتعرض فيه للأذى أو المعاناة أو الإحباط أو عندما تمرّ بيوم سيئ، ستجد أن محبة الله تتقدم لمساعدتك. إنه يشفق عليك ويتألم لألمك ثم يقوم بشيء حيال ما تمرّ به. ولما كانت محبة الله ممثلة بطول الأناة والنعمة، فسيستجيب بمزيج مثالي من ضبط النفس والصبر والتأديب عندما تفعل أشياء خطأ أو قاسية ضد الله أو عندما تؤذي أشخاصًا آخرين.

وبصراحة، فإنه أسهل علينا أن نتجاهل محبة الله أو أن نشك فيها من أن نغوص في أعماقها. لكننا نخسر الكثير إذا لم نسمح له بأن يحبنا. إنه يشناق إلى أن نعرف أنه مستعد للذهاب إلى أبعد مدى في إظهار محبته لنا.

ساعدتني خمسة تضمينات مميزة لمحبة الله الغامرة على التركيز على الحب في تفاصيل حياتي. اقرأ العبارات التالية ببطء بينما تطلب من الله تأكيداً في قلبك وعقلك أن هذا هو بالضبط ما يفكر فيه ويشعر به تجاهك.

سأل نفسك بعد كل عبارة: «ما الذي سيتغير في حياتي إذا آمنت فعلاً بأن الله يفكر فيّ بهذه الطريقة؟»

عليك أن تدرك أن هذه ليست الطريقة التي يفكر بها الله في بيبي غراهام أو الأم تيريزا أو الشخص التالي الذي ستقبله اليوم. إنها الطريقة التي يفكر بها فيك أنت.

■ ١. إن أفكار الله ونيّاته ورغباته وخطته هي دائماً من أجل خيرك، وهو لا يسعى أبداً إلى ضررك (إرميا ٢٩؛ ١١؛ يعقوب ١: ١٧).

يمكنك الوثوق بنيّات الله. فعندما يفكر الله فيك، فهو لا يفكر إلا في الخير والبركة. إنه يفكر في الخير الذي يريد أن يمنحك إياه، وليس كيف يمكنه أن يضر بك. ويغضّ النظر عن الطريقة التي قد تبدو بها الظروف المحيطة بك في الوقت الحالي، فإن الله يرى الصورة الكبيرة ولديه خطط مصممة بشكل خاص لمصلحتك.

■ ٢. الله طيب القلب ومنفتح وودود وصريح وحريص على أن يكون صديقك (يوحنا ١٣؛ ١٢-١٥).

إنه يريد أن يكون صديقك. وهو يتوق إلى سماع كل ما تمر به وكل ما يجري معك. إنه أكثر الأصدقاء وفاءً واهتماماً. وأحياناً يريد منك الجلوس والتحدث معه فحسب. يريد أن يشاركك حياته وقلبه.

٣. الله يتفاعل عاطفيًا مع ألمك وفرحك وآمالك وأحلامك وقد اختار أن يسمح لسعادتك بأن تؤثر في سعادته (يوحنا ١١: ٣٣-٣٦).

رغم كونه إله الكون غير المحدود، إلا أن ألمك يسبب له الألم، وفرحك يفرح قلبه، وتثير آمالك حماسه. وعندما تكون هناك مأساة في حياتك، فإنه يبكي معك، تمامًا كما بكى مع صديقيته عند وفاة لعازر.

إنها فكرة مدهشة أنّ الله، رغم أنه ذاتي الوجود ولا يحتاج إلى أحد، إلا أنه اختار أن تتحرك مشاعره مع مشاعرك وأحلامك وآمالك. وفي واقع الأمر، فإن سعادتك تؤثر فيه. يقول لنا الكتاب المقدس إنه يمكن أن نُحزن قلب الله فعلاً. يمكننا أن نجلب الفرح إلى قلبه، كما يمكننا أن نجلب الحزن، لأننا نشكل أهمية كبيرة بالنسبة له.

٤. إنه يُسر بك بسبب هويتك فحسب، بصرف النظر عن أدائك أو إنجازاتك (مزمو ١٣٩؛ صفنيا ٣، رومية ٥: ٨).

حتى لو لم تكن قد أنجزت أي شيء منذ أن وُلدت، سيُسر الله بك ببساطة بسبب هويتك. ففكر للحظة في شخص تُسعدك رؤيته، وتستمع عينك بالنظر إلى عينيه، وتستمع بالاستماع إلى حديثه، وتسعد بصحته.

هكذا يشعر الله من ناحيتك. فهو يشعر بهذه المشاعر نحوك عندما تكون مطيعًا وتقياً ومنضبطًا وصابئًا، وأيضًا عندما تكون عصبيًا وساخراً وأنانيًا وشريرًا. يقول الله في صفنيا ٣: ١٧ للشعب المتمرد إنه يبتهج بهم فرحًا متغنيًا بحبهم. وفي المرة القادمة التي ستشعر فيها بالفشل، اقرأ تلك الآية واستمتع بالله الذي يبتهج بك، بغض النظر عما تقوم به.

هـ. يرتب الله الأشخاص والظروف والأحداث في حياتك بشكل نشط خلاق للتعبير عن محبته، كما يتدخل عندما تخطئ لتصحيح الخطأ من أجل مصلحتك وخيرك.

يس الله بعيداً عن حياتك أو غير مدرك لها، آملاً أن تسير الأمور على ما يرام. وهو ليس مثل صانع ساعات خلق العالم و«عبأه» وهو يراقبه منتظراً منه أن يبطنئ إلى أن يتوقف. فهو المتسيد بكل عناية على كل حدث، من إشارة ضوئية حمراء وكل مكالمة هاتفية إلى كل فرصة عمل وكل علاقة.

لقد تم تصميم كل جزء من حياتك على نحو خاص ليعبر عن حبه ومودته وتصحيحه لأخطائك حتى تتمكن من الحصول على أفضل حياة ممكنة.

عندما تفكر في حبّ الله، ما مدى قرب هذه العبارات الخمس من خبرتك؟ هل تؤمن حقاً بأن هذا هو فكر الله وشعوره نحوك؟ إذا كنت مثل معظم الناس، فقد تتردد في المطالبة بحقك في حبه. ربما فكرت ذات مرة، «أتمنى أن يكون الله فعلاً هكذا، وآمل أن يكون كذلك، ولكن كيف يمكنني أن أؤمن حقاً أنه يحبني؟» لقد كشف الله عن نيّاته المحبّة من خلال عدد من الطرق التي يمكن ملاحظتها ودراستها.

كيف يعلن الله عن حبه؟

قبل أن ننظر إلى الأدلة على محبة الله، أريد أن أطرح سؤالاً: ما الذي يتعين على الله أن يفعله أيضاً ليُظهر لك أنه يحبك؟ بعبارة أخرى، هل أنت منفتح على الاقتناع بمحبة الله؟ أم تراك قررت بالفعل أنه لا يُمكن لأي دليل أن يقنعك؟ على أية حال، أرجو منك النظر في الأدلة الستة التالية على محبة الله بعقل وقلب مفتوحين.

■ من خلال الخليقة

كشف الله عن حبه من خلال الخليقة. يصف سفر التكوين ا: ٢٦-٢٧ تلك اللحظة:

«وَقَالَ اللَّهُ: «نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشِبْهَتِنَا فَيَسَلْطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ الْأَرْضِ وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَابَاتِ الَّتِي تَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ». فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَانْثَى خَلَقَهُمْ.»

الغرض من وراء خلق الله الرجل والمرأة هو أن يسود الإنسان على بقية الخليقة، أي أن يحكمها. وبصفتنا الحاكم المعين، من المنطقي أن نخلص إلى أن الحاكم الفعلي سيصممنا لنكون مثله بطريقة ما، أو «على صورته». نحن مثل الله لأننا نمثله في الخليقة. ولكن هناك المزيد. يخبرنا كولوسي ا: ١٦،

«فَإِنَّهُ فِيهِ (يسوع) خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءً كَانَ عُرُوشًا أَمْ سَيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينٍ. الْكُلُّ بِهِ وَهُوَ قَدْ خُلِقَ»

لم يخلقنا الله من أجل تمثيله فحسب، بل خلقنا حتى يتمكن من أن يتواصل معنا في محبة وحميمية أيضًا.

هل سبق لك أن شاهدت فتانًا وهو يرسم لوحة أو استمعت إلى مؤلف موسيقي أثناء تأليفه لمقطوعة جديدة؟ هل سبق لك أن رأيت مجموعة من الأشخاص وهم يبتكرون فكرة عظيمة ومن ثم يضعون إستراتيجية لتنفيذها لإنجاحها؟

هل سبق لك أن شاهدت الطريقة التي تنظر بها الأم إلى طفلها حديث الولادة، المخلوق من خلالها هي وزوجها؟ تكشف الأشياء التي نبدعها الكثير عنا، تمامًا كما تعلن الخليقة بصوت عالٍ بحقائق معينة عن الله، مثل قوته وإبداعه وغيرهما من الصفات. وفي سفر التكوين، يظهر البشر كتاج خليقة الله. فالطريقة التي خلقنا بها تخبرنا عن حبه.

من خلال العناية الإلهية

تكشف عناية الله (لطفه تجاه الجميع) عن محبته. فهو يمنحنا عطايا لا تُعد ولا تُحصى في كل يوم، سواء أكننا نؤمن به أم لا. فعلى سبيل المثال، فكر للحظة كم مرة نبض قلبك اليوم من دون حتى أن تعي ذلك. إن عناية الله أمينة جدًا مهما حدث لدرجة أننا نعددها أمرًا مسلمًا به.

تزعج عناية الله غير المتحيزة تلك مؤمنين كثيرين. قد تراودنا الشكوك في محبة الله لنا، لكن لدينا عادة في الوقت نفسه فكرة واضحة عن لا ينبغي لله أن يحبهم. والحقيقة هي أن محبة الله للأشياء تستفز بعض نفس الأسئلة في داخلنا وتجعلنا نشك في عدالة الله.

ألن نتأكد أكثر أن الله يحبنا عندما نرى أعداءنا يضعفون ويموتون؟ لدينا دائمًا صعوبة في تقبل حقيقة أن الله يمارس رأفته المحبة مع أشخاص كثيرين لا يستحقون ذلك بصراحة، بمن في ذلك نحن. أعني: هل يحب الله حقًا أبا بكر البغدادي وقادة داعش الآخرين؟ هذا مؤكد! قد تظن أنه بالطبع لا يمكنه ذلك. وماذا عن كيم جونج أون وهتلر وستالين؟ وماذا عني وعنك؟!

كيف تعرف ذلك؟

انظر إلى متى ٥: ٤٤-٤٥:

«وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعِينِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ. لِيَكُنْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الْإِبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ.»

يطلب الله منا أن نحب أعداءنا لأن هذه هي طبيعته! تتطور النقطة نفسها مع بولس في أعمال ١٧: ٢٤-٢٧.

يبدأ بالاعتراف أن الله هو خالق الكل. ويذكر أن «الله» هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَتَفْسَاً وَكُلَّ شَيْءٍ». يشمل «كل شيء» المواليد، والزيجات، وضوء الشمس، والفرح، والعدد الهائل من التجارب الإنسانية لكل البشر. ويؤكد بولس أيضًا على الإرث المشترك لجميع البشر:

« صَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ » (الآية ٢٦).

عناية الله بكل ما فيها هي دعوة للناس

«لِيَكَيْ يَطْلُبُوا اللَّهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ
مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا.» (الآية ٢٧).

من قبل أن نؤمن بالله بفترة طويلة، كان يقوم بأشياء رائعة كثيرة كل يوم في هذا العالم، من هطول المطر الذي يَنَمِّي المحاصيل، إلى جلب الفرح إلى قلوب الأشرار. معظم الناس الذين يتأملون حياتهم قبل أن يصبحوا مؤمنين يندهشون عندما يتذكرون العديد من الأمثلة على محبة الله المسرفة لهم. فعنايته تجتذبنا إليه.

من خلال التجسد

كشف الله عن محبته بوضوح من خلال التجسد. وتخيرنا حقيقة أنه اتخذ جسدًا بشريًا لملاحقتنا في بيئتنا الخاصة بالكثير عن مدى رأفته. سنتناول بعد قليل على وجه التحديد كيف أظهر الابن محبة الأب، ولكن مجرد حقيقة أن الله تجسد في جسم بشري إظهار قوي لمحبهه. وصف يسوع غرض الله من وراء التجسد في لوقا ٩: ١، قائلاً:

«لَأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِيَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ.»

وقبل ذلك بأربعة أصحابات، استخدم يسوع ثلاثة أمثال لتوضيح محبة الله. وكانت هذه الأمثال ردًا على التعليقات المتخترسة من الزعماء الدينيين الذين كانوا مغتاضين بسبب أن يسوع كان يأكل مع الخطاة (لوقا ١٥: ٢).

وصف يسوع ما يحدث عندما يتوه الخروف المحبوب بعيدًا، وعندما تُفقد عملة قيّمة، وعندما يرحل الابن الحبيب عن المنزل. والله هو مثل راعي ركب المخاطر للعثور على خروف واحد مفقود، ثم يحتفل مع أصدقائه عندما يعثر عليه. وهو مثل امرأة بحثت في كل زاوية وركن من المنزل للعثور على عملة مفقودة، ثم دعت جميع جاراتها لتخبرهن كيف وجدتتها. وهو مثل أب شعر بسعادة غامرة لرؤية ابنه الضال يعود إلى المنزل حتى إنه يتجاهل كل إهانات الماضي وجروحه، ويركض بتهور للقاء ابنه، ويقيم حفلًا كبيرًا احتفالاً بعودته. يتدفق من خلال هذه القصص الشوق الذي في قلب الله لتجديد العلاقة المكسورة معنا.

إنه يبتهج، ليس بابتسامة عادية فحسب، لكن بالترنم والرقص، عندما نتوب ونعود إليه.

هل تتذكر وقتًا في حياتك كنت فيه مرغوبًا بشدة؟ ربما أظهرت بنت أو شخص اهتمامًا بك. أو ربما اختارك مدرب لتكون عضوًا في إحدى الفرق الرياضية، وعرفت أنك حصلت على ذلك لأن شخصين أو ثلاثة قاموا بترشيحك وأوصوا بك. هل تتذكر كيف كان شعورًا جميلًا أن تكون مرغوبًا ومطلوبًا؟ هذا هو بالضبط ما حدث في التجسد. كان الله يسعي إليك ويلاحقك. فالتجسد هو تلميح إلى كيفية مشاعر الله غير المحدودة تجاهك. هذا هو السبب الذي دفعه إلى قطع كل هذه المسافة ليصل إليك.

من خلال التأديب

يكشف الله عن حبه أيضًا عندما يؤدبنا ليحمينا من تدمير أنفسنا، ويظهر هذا بشكل خاص عندما نتحمل تبعات أفعالنا وعواقبها.

«لَأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ»
(عبرانيين ١٢: ٦)

نحن نشك بشكل تلقائي في حب والدين لطفلهما إذا رأيناها يتجاهلانه عندما يسيء التصرف. فإن كان الطفل يعرض حياته للخطر، فإننا نتوقع من الآباء، ليس التدخل فحسب، بل أيضًا التأديب وتوضيح سلوكه غير المقبول له، إن كانوا يحبون أطفالهم بطبيعة الحال.

نرى آباء وأمهات كثيرين في الثقافة الأمريكية اليوم ينظرون إلى التأديب على أنه فعل لا يتماشى مع المحبة ويُدمر الأنا عند الطفل. فهم لا يتدخلون لتصحيح سلوك طفلهم خوفًا من تدمير نفسيته. وعلى صعيد آخر يشعر أولئك الذين يريدون تقويم السلوك السيئ لدى أبنائهم بالقلق من أن يقوم أحدهم بالإبلاغ عنهم لشرطة حماية الطفل. ويتطلب التأديب ضبط النفس والمثابرة جنبًا إلى جنب مع الوجود (الانخراط) في حياة الشخص المعني.

أحد أعظم الدلائل على الحب هو أن يكون لديك الاهتمام الكافي لمواجهة الخطأ وتصحيحه، والاستعداد للتدخل لمنع الذين تحبهم من إيذاء أنفسهم. هكذا يهتم الله بك! وبطبيعة الحال، يمكنك أن تكون عنيدًا مثلي فتستمر في السير في الاتجاه الخطأ، وعندئذٍ قد يقسو الله عليك قليلًا، لكنه يفعل ذلك دائمًا بدافع الحب. وهو يستخدم طريقة التأديب المناسبة بالقدر المناسب للتعبير عن اهتمامه. والمصاعب التي نمر بها أحيانًا دليل على حبه.

■ من خلال الروح القدس

يأتي الإعلان الخامس عن محبة الله من خلال الروح القدس. إن إدراكنا لمحبة الله نتيجة مباشرة لعمل روح الله في حياتنا. يصف بولس الرسول جزءًا من هذه العملية في رومية ٥: ٥

«وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي لِأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ قَدْ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ
الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا»

فحالما وثقنا بالمسيح كرب ومخلص، وقعت أحداث عدة تقريبًا في آن معًا: وُلدنا مرة أخرى، وُخِّمَت قلوبنا بخاتم بالروح، وصرنا متبنين في عائلة الله، وأعطينا ميراثًا روحيًا. ثم أتى وقت حلول روح الله القدوس في داخلنا. تنطوي المعاني الحرفية لكلمة «انسكبت» الواردة في الآية السابقة على الامتلاء والفيض والتدفق في حياتنا. فالروح القدس هو مثل سائل يُسكب في داخلنا، وهو يملأ حتى الفيض، ونكهة هذا السائل هي المحبة.

يقوم الروح القدس بعدة مهام في حياتنا.

«لَأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَتَّقَادُونَ بِرُوحِ اللَّهِ فَأَوْلِيَتَكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ. إِذْ كَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُحُ: «يَا أَبَا الْآبِ!» الرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لِأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللَّهِ. فَإِنْ كُنَّا أَوْلَادًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا وَرَثَةُ اللَّهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَّالِمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ.»

(رومية ٨: ١٤-١٧)

يعمل الروح القدس داخلك عندما تقرأ كلمة الله وتشعر بصوته وهو يتحدث إليك من بين الصفحات. ويعمل أيضًا عندما تتصارع مع الإحباط وتتلقي فجأة مكالمة هاتفية مُشجعة في الوقت المناسب تمامًا من أحد أعضاء جسد المسيح.

ويسكب الله حبه في قلبك من خلال الروح القدس حتى تتمكن من اختباره عن قرب. ويكون حاضرًا الروح القدس عندما تشعر بالراحة والحب أثناء وجودك في محضر الله وتجذب نفسك تدعوه باسم مألوف مثل «أبي».

■ من خلال ابنه

كما هو الحال مع كل صفة من صفات الله، لم يأت تعبير الله عن الحب في نهاية المطاف من خلال الكلمات، بل من خلال شخص هو يسوع. وهذه النقطة في غاية الأهمية لأن الفجوة هائلة بين الطريقة التي يتوق الله إلى أن نراه بها وكيفية رؤيتنا له في الواقع.

وَمِنَ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ بِاللَّهِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ يَرْفُضُونَ يَسُوعَ فَيَعْمَلُونَ عَلَى إِعَادَةِ صِيَاغَةِ اللَّهِ، عَابِدِينَ بِهَذَا آلهةٍ أُخْرَى مِنْ نَسَجِ خِيَالِهِمْ. فَكَيْفَ نَعْرِفُ ذَلِكَ؟ وَفَقًا لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، يَسُوعُ هُوَ صُورَةُ طَبَقِ الْأَصْلِ عَنِ اللَّهِ وَهُوَ مَلَأَ اللَّهُ (عبرانيين 1: 3؛ كولوسي 1: 19).

يسوع هو الكيفية التي يعرف الله بها نفسه. ولا أحد يستطيع أن يقول إنه يقبل الله بينما يرفض يسوع. إذا كنا نريد حقًا أن نرى الله رؤية واضحة أو بعبارة أخرى، إذا كنا نرغب في رؤية الله كما يتوق هو حقًا إلى أن نراه - علينا أن نحتضن الله المتجسد. الله غير مرئي، ويقضي الناس وقتًا طويلًا وهم يحاولون أن يتكهنوا حول طبيعته. أما يسوع فهو مرئي، ويمكننا أن نرى فيه كل صفات الله بما فيها محبته. فقد أظهر يسوع حقيقة محبة الله من خلال مجيئه إلى العالم كما كشف عن طبيعة هذه المحبة من خلال طريقة حياته.

جسد يسوع محبة الله. كان قريبًا من المنبوذين، وتحدث إلى المتروكين وإلى الذين ليس لديهم أحد، ووصل إلى من لا يمكن الوصول إليهم. وفي استعادة للأحداث، روى التلاميذ كيف كان يسوع يحب الجميع. لكن في دفع حضور يسوع والشركة معه، بدأ التلاميذ مغمورين جدًا بحب يسوع بطريقة لم يقدروا معنى ذلك.

وجاءت إحدى أكثر اللحظات إيجابًا التي مر بها يسوع في العشاء الأخير. فبعد لحظات من إظهاره لتلاميذه كامل حبه (يوحنا ١٣: ١) بأخذ منشفة والقيام بغسل أقدامهم، أظهروا افتقارًا كبيرًا إلى الفهم. واعترف توما أولاً بأنه لا يفهم شيئًا مما يدور حوله (يوحنا ١٤: ٥-٧). ثم قال فيلبس: «يا سيد، أرنا الأب وكفانا» (عدد ٨). أستطيع أن أشعر بما كان يشعر به يسوع من إيجاب في تلك اللحظات. وقد ظهرت خيبة الأمل في كلماته وهو يقول:

«أنا معكم زمانًا هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس! الذي رأي فقد رأى الأب فكيف تقول لي أرنا الأب؟» (يوحنا ١٤: ٩). وبعبارة أخرى، «ما هو الأمر الذي لا تفهمه؟! ألا تدرك أنك عندما كنت تراني أتجاوب مع احتياج امرأة زانية أو شخص أبرص أو مريض أو جائع، كنت ترى الأب؟!»

عندما نرغب أنا وأنت أن نعرف طبيعة الله، فإن كل ما علينا فعله هو النظر إلى يسوع الذي كان في حياته نموذجًا لشخص الأب ونعمته وحقه.

كشفت تعاليم يسوع عن محبة الله. تحدثنا قبل بضع فقرات عن لوقا ١٥ والأمثال الثلاثة عن محبة الله. فتلك القصص أمثلة لحب الله الذي يسعى إلينا ويبحث عنّا، وهي أيضًا أمثلة لحب الله غير المشروط. خصص بضع اللحظات لقراءة لوقا ١٥ واسمح لكلمات يسوع عن محبة الله بأن تتغلغل في قلبك. ستتمكن من سماع أصداء الحب غير المشروط وهي تتردد في قصة الابن الضال. لقد أطلق الأب سراح ابنه الذي نوى الذهاب في طريقه الخاص، وانتظره بأمانة بينما كان هائمًا في ضلاله، ثم استقبله بكل فرح عندما عاد إلى البيت.

هل يحبنا الله عندما نكون طيبين ورائعين ونظيفين ومطيعين، وعندما نعشر كل أموالنا ونصلي ونتجنب الأفكار الرديئة ولا نبدد كل ما نملكه في أيام قليلة مثلما فعل الابن الضال؟ نعم! لكن هذه الأمور ليست هي سبب محبته لنا.

تُخبرنا هذه القصص أنه يحبنا عندما نضيع، وعندما نبدد كل ما قدمه لنا، وعندما نرفضه، وعندما نهرب بعيدًا، وعندما نتورط في الفجور، وعندما نُؤذي أشخاصًا آخرين، وعندما نكون مستهزئين، وعندما نكون متمركزين تمامًا على ذواتنا. لكن حبه لا يغفل هذه الأشياء عَرَضًا، فنحن بحاجة إلى التوبة عن خطايانا لنختبر ذلك الحب. ولكن الحب هو دائمًا موجود، وهو غير مشروط.

يبحث الأب عنّا طوال الوقت، في انتظار أن نعود إلى البيت. ولا يتولد حبه لنا من توبتنا، لكن التوبة تأتي بنا إلى حيث يمكننا اختبار ذلك الحب.

علّمنا يسوع أن الأب يشعر بالرأفة لك في كل لحظة من كل يوم تعيشه. وذراعه مفتوحتان وهو متأهب لذبح العجل المسمّن ووضع خاتم في إصبعك وحذاء في قدميك لتتأكد من أنك لا تزال الابن المحبوب.

لقد أعدّ لك معطفًا دافئًا وناعمًا من البركات لتضعه على كتفك عند الخروج في برد الحياة، وهو يريد أن يُظهر لك كم كان يحبك طوال الوقت. جسّد يسوع على الصليب عمق محبة الله. يقول الكتاب في يوحنا الأولى ٣: ١٦:

«بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، فَتَحْنُ يَتَّبِعِي
لَنَا أَنْ نَضَعَ نَفُوسَنَا لِأَجْلِ الْإِخْوَةِ.»

إذا سألك أحدهم كيف تعرف أن الله يحبك، فما من إجابة أفضل من هذه: لأن يسوع مات من أجلك. حتى كلمة الله تعبر عن الأمر بهذه الطريقة في رومية ٥: ٨:

«وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا لِأَنَّهُ وَتَحْنُ بَعْدُ خُطَاةً مَاتَ الْمَسِيحُ
لِأَجْلِنَا.»

لأننا كنا خطاة، كنا بحاجة إلى إظهار للمحبة. فرغم خطيتنا، بيّن الله لنا ذلك الحب عن طريق مجيء المسيح ليموت بدلاً عنا. فالله لا يحبنا لكوننا صالحين. إذ عندما كنا لا نزال معادين له، مات يسوع على الصليب لدفع ثمن خطايانا ولإظهار كامل حبه لنا.

دائمًا ما تُحدّد قيمة شيء بناءً على الثمن المدفوع فيه. في صالات المزادات قد تبدو آلة كمان قديمة وكأنها قطعة خشبية لا قيمة لها بالنسبة إلى شخص ما، بينما يعدها شخص آخر قطعة ديكور تصلح لتزيين جداره. وقد يراها طالب موسيقى مبتدئ كآلة مستعملة ورخيصة.

ولكن الذي يدرك أنّ آلة الكمان هذه قد صُنعت بيد العبقري «ستراديفاريوس» مستعد لأن يدفع مقابلها مبلغًا باهظًا بكل تأكيد. لماذا؟ لأن قيمتها لديه كبيرة. وترتبط قيمة آلة الكمان بالثمن المدفوع فيها. ويخبرنا الثمن الذي دفعه الله لكي يشترينا مدى قيمتنا لديه. فبالنسبة إليه، نحن نساوي حياة ابنه.

في العام ٢٠٠٢، تم اكتشاف رسم معلق في غرفة كانت مخصصة لأحد العاملين في أحد متاحف سميثسونيان في أمريكا. كانت عبارة عن رسم بالطباشير لصورة شمعدان، وكانت واحدة من خمس لوحات تم بيعها للمتحف كمجموعة في العام ١٩٤٠ مقابل ستين دولار. ظلت تلك اللوحة في المخازن لعقود حتى رآها أحد الباحثين الزائرين وميّزها على أنها لوحة أصلية لمايكل أنجلو. وهي تُقدّر قيمتها اليوم بأكثر من اثني عشر مليون دولار.

ما هو الفرق بين اللوحة في العام ٢٠٠٢ واليوم؟ لا شيء. إنها اللوحة نفسها التي كانت دائمًا. الفرق الوحيد هو أنّ الفنان الذي رسمها أصبح الآن معروفًا وصارت اللوحة مطلوبة. أصبحت تساوي قيمة عالية لأن العديد من جامعي اللوحات أصبحوا مستعدّين لأن يدفعوا الملايين من أجل الحصول عليها.

ربما ترى حالك كرسم متواضع مُخَبَّأً بعيدًا في غرفة تخزين لا يلاحظه أحد. لكن يُفترض في أن يقنعك الصليب عكس ذلك. وفي ذبيحة يسوع، طالب بك بصفتك مقتنى خاصًا له. لقد تمّ الكشف عن الفنان الذي أبدعك وصارت قيمتك عالية معروفة. والصلب هو دليل على الحب: يوجد جامع لوحات - وفي هذه الحالة هو الفنان نفسه - على استعداد لدفع ثمن هائل مقابل عمله الفني العزيز عليه.

السؤال

سبق أن قلت إنني سأعود إلى هذا السؤال:

ما الذي يجب على الله أن يفعله أكثر مما فعل ليظهر لك أنه يحبك؟

التقي دائمًا أشخاصًا لم يدرسوا قط بجدية دلائل حب الله، لكنهم مع هذا مقتنعون بأن الله لا يحبهم. لقد وصلوا إلى استنتاج خطأ لأنهم يفترضون أن حب الله يعمل بنفس طريقة الحب البشري، أي طبقًا للشروط. حتى أولئك الذين ذاقوا حب الله غالبًا ما يحاولون أن يُثبتوا أنهم مستحقون لذلك الحب.

نحن نحاول استخدام التكتيك نفسه مع الله - نحاول إخفاء عيوبنا وحماية صورتنا والتلاعب بكلماتنا لكي يشعر من حولنا أننا أفضل بقليل مما نحن عليه حقًا. وأنا أعلم ذلك الأمر جيدًا، لأنني قابلته كثيرًا في حياتي.

سيواجه الذين يحاولون أن يُثبتوا لله أنهم يستحقون حبه مشكلة كبيرة مع الإجهاد النفسي في نهاية المطاف. وأنا أعلم ذلك لأنها طبيعة بشرية ولأننا جميعًا فعلنا ذلك. لكن الشخص الذي يسمح لنعمة الله بأن تغيره من الداخل هو الوحيد الذي يمكنه الاسترخاء والتمتع بمحبة الله. نعمة الله هي محبته ورحمته لنا من دون أي استحقاق من جهتنا.

عندما نؤمن حقًا بأننا محبوبون ومقبولون، لن نحاول أن نبذو أفضل مما نحن عليه، ولن نكون بحاجة إلى مقارنة أنفسنا مع الآخرين، أو السعي إلى خلق انطباع جيد لديهم، أو التنافس من أجل الحصول على الاهتمام، أو البحث عن الحب في كل الأماكن الخطأ. إذا فكرت في الأمر، ستجد أن تلك الحيل التي نحاول القيام بها هي مصدر غالبية مخاوفنا.

عندما أدركت أخيرًا أنّ ربّ الكون الأزلي الخالد يشعر بمتعة مقدّسة عندما ينظر إليّ، وأنه لا يريد أن يضرني، بل يريد لي ما فيه خير، وأنّ رأيه بي لا يتوقف على أي شيء أفعله، أحدث ذلك ثورةً في حياتي. وهو يقطع مع كل واحد منا الوعد نفسه: إنّ حبه غير مشروط ومجاني، وكل ما علينا القيام به لنختبر محبته هو أن نقبله ونفرح فيه. ستتحرك هذه الحقيقة تمامًا، وستجعلك بعد ذلك حزينًا لتحب الناس بدلاً من أن التلاعب بهم للحصول على حبهم.

حان الوقت بالنسبة إلينا لأن نتوقف عن محاولة كسب حب الله ونسمح لأنفسنا باختباره. لقد حان الوقت لأن نتوقف عن محاولات التوصل إلى طرق لاستحقاق حبه ولنتعلم أن نتجاوب مع الحب الذي أظهره لنا بالفعل بوضوح

كيف نتجاوب مع محبة الله

بعد أن أدركنا أنّ الله قد قام بأكثر مما هو كافٍ لإظهار حبه لنا، أصبحت الكرة في ملعبنا. لقد قال الله لك: «أنا أحبك» بطرق لا حصر لها، فكيف يجب أن ترد عليه؟ كيف ينبغي أن تستجيب لحبه؟

◆ يجب أن نقبل

أولاً، نحن نتلقى حبه في قلوبنا بالإيمان. نقرأ في كثير من الأحيان آية مثل يوحنا ٣: ١٦ كما لو كنا نقرأ إحدى بطاقات عامة معلّقة في أحد المحلات العامة. نحن بحاجة إلى أن ندرك أنّ البطاقة قد تم تسليمها لنا بالفعل وأن اسمنا مطبوع عليها.

إذا قمت بكتابة اسمك عليها لتصبح ليس فقط «هكذا أحب الله العالم»، ولكن «هكذا أَحَبَّكَ اللهُ»، ستبدأ في فهم الرسالة الشخصية لتلك الآية. عليك أن تدرك أن الله قد بذل ابنه الوحيد لكي تكون لك الحياة الأبدية.

لقد تم تسليم بطاقة الحب، لكنها غالبًا ما تُلقى على مكان ما ونادرًا ما يتم فتحها، أو تُفَتَّحَ لكن لا تُقْرَأُ، أو تُقْرَأُ مرة واحدة ولا يتم الرجوع إليها مرة أخرى. يسوع هو التعبير الحي عن محبة الله، وهو على استعداد للسير معنا في كل لحظة من لحظات حياتنا، ويستمر في تأكيد حب الله لنا.

إذا كان وعد الله بالحب مثل بطاقة بريد مرسلة إلى شخص آخر، فتوقّف الآن واستلمها كما لو كان اسمك مطبوعًا عليها - لأنه كذلك بالفعل.

◆ يجب أن نؤمن

لا تقتصر الخطوة التالية في الاستجابة لمحبة الله على قبول (تلقي) المحبة، ولكن على تصديقها أيضًا. فبالإيمان يمكن لمحبة الله أن تصل إلى قلوبنا. يتم قبول الحب في لحظة.

ينما يستمر الإيمان به مدى الحياة. في يوحنا الأولى ٤: ١٣-١٦، يخاطب الرسول الشيخ يوحنا أولئك الذين آمنوا بالمسيح بالفعل قائلاً:

«بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَبُتُّ فِيهِ وَهُوَ فِينَا: أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ. وَنَحْنُ قَدْ نَظَرْنَا وَنَشْهَدُ أَنَّ الْآبَ قَدْ أَرْسَلَ الْإِبْنَ مُخْلِصًا لِلْعَالَمِ. مَنْ اعْتَرَفَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ، فَاللَّهُ يَبْتُتُ فِيهِ وَهُوَ فِي اللَّهِ. وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَقْنَا الْمَحَبَّةَ الَّتِي لِلَّهِ فِينَا. اللَّهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَبْتُتُ فِي الْمَحَبَّةِ يَبْتُتُ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ فِيهِ.»

ما يقوله يوحنا في هذا المقطع باختصار هو أننا «نعرف محبة الله ونعتمد عليها». نحن نختبر حبه، ونشعر به، ونفهمه، ونعتمد عليه، ونثق به (نتكل عليه)، ونرتاح فيه، ونحيا بموجبه. تسافر محبة الله مرارًا ذهابًا وإيابًا في رحلة الخمسة والأربعين سنتيمترًا بين القلب والعقل.

وتتسم الرحلة بلحظات مبادلتك المحبة مع الله بكل ما لديك. وليس للاعتماد على محبة الله علاقة بأدائنا، أو اكتسابها.

إذ تتضمن الحياة المسيحية استيعاب محبة الله والسماح لها بتحويلنا إلى أناس مُحبّين. فهي ليست دينًا وقواعد وأعمالًا. إنّها عن العلاقة بالله الأبدى بقوة الروح القدس الذي يأخذ عمل يسوع الفدائي ويخلق من خلاله حياةً جديدةً في داخلنا.

ومن خلال هذه العلاقة يحدث التحول ويؤثر في كل شيء! لكن التغييرات نتاج ثانوي لانسكاب محبته في قلوبنا وليس بناءً على مطابقتنا للشروط.

كيف يمكننا أن ننقل هذا المفهوم من رؤوسنا إلى قلوبنا والعكس؟ نحن نمارس «الفهم» و«الاتكال» من خلال ثلاث طرق مختلفة على الأقل:

■ ١- أشبع ذهنك بحقيقة محبة الله لنا.

تأمل طبيعة محبة الله الرائعة كما نراهه في الكتاب المقدس في مقاطع مثل رومية ٨: ٣٨-٣٩

«فَإِنِّي مُتَيْقِنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ وَلَا مَلَائِكَةَ وَلَا رُؤْسَاءَ وَلَا قُوَّاتٍ وَلَا أُمُورَ حَاضِرَةً وَلَا مُسْتَقْبِلَةً وَلَا عُلوَ وَلَا عُمقَ وَلَا خَلِيقَةَ أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنِ مَحَبَّةِ اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.»

يريدنا الله أن نعرف أن لا شيء - ولا حتى مشكلاتنا - يمكنه أن يفصلنا عن حبه. دع عقلك يتشبع بهذه الحقيقة وحقائق أخرى غيرها. واسمح ليوحنا بأن يذكرك،

«أَنْظُرُوا آيَةً مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الْآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ اللَّهِ!»
(يوحنا الأولى ٣: ١).

اجعل ذهنك يتشبع بحقيقة أنك محبوب.

■ ٢- اطلب من الله مساعدتك على فهم حبه.

احفظ صلاة بولس التي صلاها من أجل أهل أفسس وصلها من أجل الناس في حياتك وضمن نفسك في الصلاة:

«بِسَبَبِ هَذَا أَحْنِي رُكْبَتِي لَدَى أَبِي رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الْأَرْضِ. لِيَكِي يُعْطِيكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ أَنْ تَتَّيِدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، لِيَجِلَّ الْمَسِيحُ بِالْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ مَا هُوَ الْعَرَضُ وَالطُّوْلُ وَالْعُمُقُ وَالْعُلُوُّ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِزَةِ الْمَعْرِفَةِ، لِيَكِي مَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلءِ اللَّهِ.»
(أفسس ٣: ١٤-١٩)

اطلب من الله أن يطبق هذه الصلاة على حياتك، وسيفعل ذلك. إنها صلاة لا يمكن أن يرفضها إله الحب.

■ ٣- ارفض البحث عن الحب في بدائل رخيصة.

يتمثل أحد الأخطاء التي يمكن أن تقع فيها بسهولة في البحث عن الحب في الأماكن الخطأ. يقودنا توقنا إلى الحب إلى العديد من البدائل الزائفة التافهة.

تُحذرنَا كلمة اللّٰه من هذه الجهود المهدورة في يوحنا الأولى ٢: ١٥-١٦:

«لَا تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنَّ أَحَبَّ أَحَدُ الْعَالَمِ
فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الْآبِ. لِأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةٌ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةٌ
الْعُيُونِ، وَنَعَطْمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الْآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ.»

اللّٰه يعرف لماذا ننجذب إلى المنازل الفخمة والممتلكات الفارهة والأشياء المادية، وهو يفهم سبب مشاهدتنا للصور والمواد الإباحية، ويعرف لماذا نريد أن يظن الجميع كم نحن أنيقون وأقوياء وأذكياء. نحن نعتقد أن الممتلكات والمهارات العالية المناسبة والمظهر الحسن هي عوامل ستجعلنا محبوبين وذوي قيمة. ولكن «العالم والأشياء التي في العالم» هي مجرد بدائل رخيصة، وهذا هو السبب في تحذير اللّٰه لنا من أن نحبها.

يمكننا التمتع بها كعطايا من اللّٰه، لكننا لا نحبها. يمكنها تذكيرنا بمانحها، ولكنها لا ينبغي أبداً أن تصبح بديلةً عنه. فهذه الأشياء لن تكون قادرة على تقديم الحب لنا بالطريقة التي نحتاج إليها. وحده خالقنا يمكنه أن يحبنا بهذه الطريقة.

لا تحتفظ بمحبة اللّٰه لنفسك

الطريقة الفضلى لنعرف أننا تلقينا محبة اللّٰه وصدّقناها هي عندما نبدأ في منحها للآخرين. وأما محاولة اكتناز المحبة لأنفسنا فهي جهد بلا طائل وعلامة أننا ما زلنا لا نفهم محبة اللّٰه بعد. كلما زادت محبة اللّٰه التي نمنحها للآخرين، كلما اختبرت محبته أكثر. إن محبة اللّٰه هي الهبة اللانهائية وهي التي تُبقي العطاء مستمراً.

تُخبرنا كلمة اللّٰه أنّ محبة الآخرين هي عمل إرادي نقوم به بالإيمان. فعندما نُؤمن حقاً أن حب اللّٰه هو نبع لا ينضب، نبذل قصارى جهدنا لمنحه للآخرين. إذا كنا نُؤمن حقاً بأن هناك ما يكفي للجميع، لن نحاول أن نبقى لأنفسنا. ومحبة الآخرين هي أمر كتابي

وكانت واحدة من الوصايا الأخيرة التي أعطاها يسوع لتلاميذه قبل الصعود:

«وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا.»
(يوحنا ١٣: ٣٤).

ليس هذا مجرد طلب مهذب من يسوع أن تكون لدينا مشاعر إيجابية تجاه الآخرين. إنه أمر صريح بأن نحب الآخرين كما فعل هو عندما ضحى بذاته من أجل من يحبهم. الاختبار النهائي الذي يحدد إن كنا تلاميذ للمسيح أم لا هو إن كنا نحب بعضنا بعضًا (يوحنا ١٣: ٣٥).

يؤكد يوحنا أيضًا هذه النقطة لتذكيرنا بأن الأمر بالحب هو أيضًا جزء من دعوتنا.

«بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَلِكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، فَتَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لِأَجْلِ الْإِخْوَةِ. وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجًا، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِيهِ؟ يَا أَوْلَادِي، لَا نُحِبُّ بِالْكَلَامِ وَلَا بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ!»
(١ يوحنا ٣: ١٦-١٨)

لم يكن يوحنا يتحدث عن حب دنيوي متمحور على الذات، بل كان يصف حبًا جذريًا له كلفة نتحملها. يلاحظ هذا النوع من الحب الحاجة فيُعطي بل ويضحي من أجل تلبيتها.

هذا النوع من الحب الذي يرى الحاجة فيُعطي بل ويضحي من أجل تلبيتها. هذا الحب الذي يرى الألم فيتدخل ويصنع الفرق. وإذا كانت الحاجة تنطوي على المال، فسيُعطي المال. وإذا كانت الحاجة هي إلى وقت، فسيمنح الوقت. وإذا كان شخص ما يحتاج إلى السماع عن المسيح، فالحب يشارك الإيمان أيضًا.

في بعض الأحيان تجعلنا كلمات مثل «الأمر» و«الدعوة» نخشى أن منح الحب من الله للآخرين يبدو وكأنه من طرف واحد بشكل زائد. لكن الله يعد بأنه سيجعل الأمر يستحق عناء ما نقوم به. إن أحد وعود الكتاب المقدس المفضلة لديّ موجود في لوقا ٦: ٣٨، حيث يقول يسوع:

«أَعْطُوا تُعْطُوا كَيْلًا جَيِّدًا مُبَدَأً مَهْرُوزًا فَأَيْضًا يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ.
لَأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ»

فكما رأينا، لا يمكن أن نكتنز الحب. إن حب الله هو نشيط ومتدفق مثل نبع متجدد. فمنحه للآخرين لن يستنفده أبدًا. وبعبارة أخرى، الفوائد التي نجنيها تتناسب طرديًا مع الاستثمارات التي نودعها. إذا منحت الآخرين مقدارًا قليلًا من الحب، فهذا هو ما ستحصل عليه في المقابل. وإذا أعدقنا على الآخرين من محبة الله، فستخمرنا محبة الله المنسكبة في حياتك في المقابل.

لا يعني ذلك أن التمتع بحب الله ومنحه للآخرين سيجعل كل شيء آخر في حياتنا سهلاً. لم يعدنا الله قط بذلك. ولكنه يعني أنك ستشعر بالرضا والاكتمال. سيكون لديك شعور عميق بأنك مهمّ وذو قيمة حتى وسط الأذى والألم والصعوبات في عالم ساقط، ستعرف أنك محبوب ومقبول إلى الأبد. وستختبر محبة الله.

تجربتي الشخصية مع محبة الله

كان شهرًا مجهدًا بالنسبة إلى عائلتنا. كنا أنا وتيريزا نشعر بأننا منهكون وغير قادرين على الاستمرار. كنا نتطلع إلى قدوم عيد الشكر، حيث تجتمع العائلة ويمكننا الاسترخاء ويستمتع بعضنا بوجود بعض بضعة أيام. ولكن في صباح يوم الخميس، تلقينا مكالمة من طبيب والدة تيريزا قال لنا فيها إنها تعاني من قصور احتقاني في القلب، وإنها أمست ضعيفة جدًا،

وأخبرنا أن علينا الحضور على الفور إذا رغبتنا في رؤيتها. اختفت آمالنا في الحصول على بعض النقاها. كان الأمر وكأنك تركض الميل الأخير من الماراثون وقاربت قوتك على النفاد، وفجأة يتم إخبارك أنه لديك ميل آخر متبقٍ لتجتازه وأنت لم تكن تعلم عنه قط. لذلك بدلاً من الاسترخاء، قضينا عيد الشكر ونحن نحاول الحصول على تذاكر طيران لتيريزا وشقيقتها والقيام بجميع ترتيبات السفر الأخرى. كنت مكتئبًا ومحبّطًا بشدة.

ذهبت صباح السبت إلى محل كعك الدونات المفضل كعادتي لمراجعة العضة التي سألقيها صباح الأحد. لكنني لم أكن في مزاج جيد للصلاة أو لقراءة الكتاب المقدس، ولم أكن حتى مستعدًا للوعظ. لم تكن هذه علامة جيدة في صباح السبت، ولكنها كانت هذه الحقيقة.

وقلت لِنفسي إنَّ الطاعة ليست شعورًا. لذلك كتبت بعض النقاط في دفتر ملاحظاتي وحاولت أن أصلي قليلاً، وقلت لله إنني بحاجة إلى اختبار حبه. ثم قرأت بضعة فصول من الكتاب المقدس، ولكن شيئاً لم يحدث. قرأت قليلاً في إحدى النبذات التي أعطتني إياها تيريزا، فمرّت أمامي عبارة ظلت تتردد في ذهني مرارًا وتكرارًا: «إله كل تعزية» فسحبت دفتر ملاحظاتي مرة أخرى وكتبت، «إذا كنت حقًا إله كل تعزية، فهل ستُعزّيني اليوم؟»

بدأت بمراجعة ملاحظاتي للعضة، ثم دخل إلى المحل أحد أصدقائي المقربين. جلسنا لمدة خمسة وأربعين دقيقة سكبت أثناءها قلبي في الحديث معه بينما هو يستمع إليّ ويشعرني بمحبّته. لم يخطر ببالي قط أنه قد تكون هناك صلة بين صلاتي وظهور صديقي في ذلك الوقت.

بعد ذلك بقليل، اتّصل صديق آخر. ورغم أنني لم أتحدث معه كثيرًا، إلا أنه كان يعرفني جيدًا بما فيه الكفاية لملاحظة الإحباط في صوتي. قال لي: «أخبرني ما الذي يجري معك»، فأجبت أنه لست بخير. وتحدثنا لمدة نصف ساعة، وأنا ما زلت لا أدرك أنّ الله قد حضر.

ذهبت إلى المنزل، وسألني ابني عن حالي، فأجبت: «لست بخير تمامًا يا ريان. أشعر بالإحباط ولا أستطيع الخروج من تلك الدائرة.»

سألني: «هل تريد أن تصلي؟»

في الواقع، لم أكن في مزاج مناسب، ولكن عندما تكون قد ربيت طفلك ليرد على هذا النحو، فما عساک أن تقول؟

لذلك وافقت، وبدأ هذا الصغير البالغ من العمر واحد وعشرين عامًا يصلي من كل قلبه لأجلي.

وجدت بعدئذٍ مذكرة على الطاولة أنّ أحد أصدقائي قد اتصل فقط ليسلم عليّ. فاتصلتُ به لكنني لم أستطع التحدث معه طويلاً إذ كان عليّ أن أوصل ابنتي «آني» إلى مكان ما.

سألني إذا كان يمكننا اصطحابه معنا فوافقنا. وفي طريق العودة، توقفنا في أحد المقاهي وتحدثنا لمدة ساعة. كان يستمع إليّ ويشعرني بمحبّته.

عدت إلى المنزل مرة أخرى وتدرّبت مع ريان على كرة السلة بعض الوقت، وانتهى بنا الأمر في واحدة من تلك المحادثات التي يحلم بها أي أب مع ابنه.

هل تلاحظ نمطًا هنا؟ استغرقني الأمر حتى الشخص الرابع، ولكنني استوعبت الأمر أخيرًا. محبة الله حقيقية، وسيُسكب روح الله في قلبك ويدفعك إلى أن تصرخ إلى أبيك السماوي. وفي أوقات الحاجة العميقة، عندما تشعر أنك غير محبوب وضعيف وبلا قيمة، ستري نعمته.

أظهرها لي من خلال كلمته والنبذة التأملية التي قرأتها وعدد من الإخوة الذين أظهروا لي اهتمامهم.

إنه يتوق إلى إظهار محبته لنا جميعًا، في أقصى لحظات الحاجة. وكل ما يطلبه منا هو أن نفتح أعيننا ونرى ذلك، ثم نعيش في حبه اللانهائي.

عش ما تعلمت

يستخدم الله ثلاث ممارسات أساسية في حياة كل مؤمن لكي يساعده على النمو والنضج. عندما تحرص على تنفيذ تلك الممارسات باستمرار من قلب صادق، لن تنمو روحياً فحسب بل ستعيش حياة ذات معنى وأكثر أهمية.

■ **اقض بعض الوقت يومياً مع الله:** التق باله يومياً بشكل شخصي من خلال قراءة كلمته والصلاة لكي تستمتع بحضوره. استمع إلى توجيهاته واتبع مشيئته.

■ **اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين:** قم بتنظيم وقتك خلال الأسبوع بحيث تسنح لك الفرصة للتواصل مع المؤمنين الآخرين في علاقات آمنة توفر الحب والدعم والشفافية والتحديات والمساءلة.

■ **كن مخلصاً للمهمة الموضوعة عليك:** اجعل من توصيل محبة يسوع إلى الآخرين من خلال الخدمة وأعمال التضحية أسلوب حياة في منزلك وعملك وكنيستك وأيضاً في أوقات المرح واللعب.

■ 1- اقض بعض الوقت يومياً مع الله

اكتب التعريف التالي على ورقة ملاحظات أو على هاتفك الذكي أو لوحتك الذكية واقراه عندما تستيقظ في الصباح وقبل ذهابك إلى الفراش. لا تحاول حفظه، فقط اقراه بروح الصلاة واسمح لحقيقة محبة الله أن تنساب بلطف إلى أعماقك.

«محبة الله هي تلك النزعة المقدسة لديه تجاه كل ما خلقه، تلك النزعة التي تدفعه إلى التعبير عن المودة غير المشروطة، مع التصحيح الانتقائي لبعض الأخطاء لتوفير الجودة الأعلى من الوجود، الآن وإلى الأبد، للذين هم موضوع محبته.»

إلى جانب هذا التعريف، اكتب الآية المذكورة في رومية ٨: ٣٨-٣٩ وتأمل في هذه الفكرة. سل نفسك في كل مرة تقرأها: «كيف سيكون الأمر لو أمنت حقاً أن الله يحبني بغض النظر عما لدي أو ما أفعله؟ كيف سيغير ذلك في الطريقة التي أرى بها نفسي وفي طريقة تعاملتي مع الآخرين؟»

«فَلَيْبِي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ وَلَا مَلَائِكَةَ وَلَا رُؤْسَاءَ وَلَا قُوَّاتٍ وَلَا أُمُورَ حَاضِرَةً وَلَا مُسْتَقْبَلَةً وَلَا عُلوَ وَلَا عُمقَ وَلَا حَلِيقَةَ أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنِ مَحَبَّةِ اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا.»

رومية ٨: ٣٨-٣٩

انضم إلي في جعل الصلاة الآتية صلاتك الخاصة خلال السبعة أيام القادمة:

يا رب، يا إله المحبة، امنحني بينما أنظر إلى طبيعتك المحبة والرحيمة أن:

- أفهم وأقبل أنك تحبني
- أتخلي عن جميع الأمور التي حاولت استخدامها كبدايل لمحبتك
- أضحى من أجل إظهار محبتك للآخرين.

ساعدني أن أجد اليقين والراحة في محبتك غير المشروطة حتى عندما لا أشعر بها. ساعدني على رؤيتها حتى في الأوقات الصعبة، لأعرف أنها دائماً موجودة بغض النظر عن أدائي، وأن أشكرك من أجل محبتك باستمرار. دع محبتك تستقر في أعماقي أكثر من أي وقت مضى. في اسم يسوع، أمين.

- ◆ فكر في وقت شعرت فيه بمحبة الله العميقة. ما السبب؟
- ◆ ما هي الطرق التي سعيت فيها إلى «بدائل رخيصة» لمحبة الله؟ لماذا؟
- ◆ أطلب مساعدة الله لكي تتمكن من أن تسمح لمحبتته أن تتسلل إلى قلبك.

■ ٢- اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين

- ◆ اكتب رسالة بريد إلكتروني أو قم بإرسال بطاقة عبر البريد العادي إلى صديق كان قد أظهر محبة الله لك بشكل حقيقي. أخبره كم تعني لك صداقته وتأثيره في حياتك.

■ ٣- كن مخلصاً للمهمة الموضوعة عليك

- ◆ ابدأ في محبة شخص ما كنت تشعر أنه لا يستحق المحبة، واطلب من الله أن يعطيك قلباً مَحَبّاً لهذا الشخص دون قيد أو شرط.



10

أمانة الله



«إِنَّهُ مِنْ إِحْسَانَاتِ الرَّبِّ أَنْتَنَا لَمْ نَفْنَنَّ لِأَنَّ مَرَايِمَهُ
لَا تَزُولُ. هِيَ جَدِيدَةٌ فِي كُلِّ صَبَاحٍ. كَثِيرَةٌ أَمَانَتُكَ.»

مراثي إرميا ٣: ٢٢-٢٣

أمانة الله

كان خراب المدينة رهيباً حتى إنَّ الشهود شعروا بأنه من الصعب إلقاء اللوم على بشر على ذلك التدمير. فربما زلزال أو ما شابه من شأنه أن يحدث تلك الفوضى. بدا من الواضح أن الله قد أطلق العنان لغضبه. سقطت المباني الكبيرة وتناثرت قطع الجدران الضخمة مثل ألعاب الأطفال. وامتلأت الشوارع بالجثث التي دلت أوضاعها على محاولات فاشلة لهروب متعجل. تركت الجثث لتجف في حرارة الشمس. وشبعت الطيور الجارحة والحيوانات المفترسة.

وفي داخل غرفة مظلمة متربة، جلس رجل كسير القلب يُملئ كلماته على رجل آخر يجلس بجواره والقلم في يده. كان صوته مملوءاً بالألم والمرارة. كان ينشج ويئنّ بينما يبث أوجاع قلبه أمام مستمعيه الذين كانوا حفنة من الرجال الهاربين من الدمار، وكان محور حديثه هو الله.

توقف للحظة عن الحديث قبل أن يتحول من حزنه على المدينة إلى رثاء نفسه:

«أنا هو الرجل الذي رأى مدلّة بقضيب سخطه. قادي وسيرني في الظلام ولا نور. حقاً إنه يعود ويرد عليّ يده اليوم كله. أبلى لحمي وجلدي. كسر عظامي. بنى عليّ وأحاطني بعلقم ومشقة. أسكنني في ظلمات كموتى القدم. سيح عليّ فلا أستطيع الخروج. ثقل سلسلتي. أيضاً حين أصرخ وأستغيث يصدّ صلاتي. سيح طريقي بحجارة منحوتة. قلب سبلي. هو لي دُبّ كامن أسد في مخابن. ميل طريقي ومرقني. جعلني خراباً. مد قوسه ونصبي كعرض للسهم. أدخل في كليتي نبال جعبته. صرت ضحكة لكل شعبي وأغنية لهم اليوم كله. أشبعني مرائر وأرواني أفسنتيناً وجرش بالحصى أسناني. كبسني الرماد. وقد أبعدت عن السلام نفسي. نسيت الخير. وقلت: بادث ثقتي ورجائي من الرب. ذكر مدلتي وتيهاني أفسنتين وعلقم. ذكراً تذكّر نفسي وتحنني في.»

(مراثي إرميا ٣: ١-٢٠).

يا لها من صورة لخيبة الأمل! هل شعرت في أي وقت مضى بأنك هبطت إلى هذه الدرجة من الإحباط؟ هل تركت بعض الكلمات في هذا الرثاء البليغ صدق في نفسك؟ ربما فكرت في داخلك: «أنا أعلم تمامًا ما يعنيه إرميا.

لقد عايشت شعورًا بأن الله يقف ضدي واكتأب قلبي من الحياة، والتصق وجهي بالأرض حتى ذقت طعم الحصى والرماد. لقد تساءلت حتى إن كان إيماني بالله قضية خاسرة.»

قد تتفاجأ حين تعرف أن المقطع أعلاه يأتي من قلب الكتاب المقدس، وأن الذي صاغه هو واحد من أنبياء الله وهو إرميا. كان إرميا لا يبقى في داخله شيئًا إلا ويبوح به عندما يتعلق الأمر بالله وبالحديث عنه.

عندما يدور أمر ما في ذهنه، كان يُخرجه إلى النور فورًا بالكلمات. كان صادقًا تمامًا مع الله مثلما فعل عدد قليل من البشر في التاريخ وعاش ليحكي القصة.

قد نتصور أن مثل هذا الكلام كتبه شخص لم يعد يهتم بما يفكر به الله أو كان على استعداد لمواجهة الغضب الإلهي. ولكن رغم أن إرميا، «النبي الباكي»، عاش حياة طويلة من التفجع، إلا أنه لم تغب عن باله قط أمانة الله.

فبغض النظر عن الظروف التي كان يمرّ بها، فإن ثقته بالله لم تتزعزع. المقطع أعلاه هو ببساطة واحد من مقاطع عديدة يسكب فيها إرميا كل قطرة داخله من الغضب والحزن والصدمة. ومع ذلك، يبقى بصيص أمل:

«أُرَدِّدُ هَذَا فِي قَلْبِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْجُو. إِنَّهُ مِنْ إِحْسَانَاتِ الرَّبِّ أَنَّنَا لَمْ نَفْنَنَّ لِأَنَّ مَرَاخِمَهُ لَا تَزُولُ. هِيَ جَدِيدَةٌ فِي كُلِّ صَبَاحٍ. كَثِيرَةٌ أَمَاتُوكَ.»
(مراثي إرميا ٣: ٢١-٢٣)

ما الذي يساعدنا على التمسك بالرجاء؟ هل نحن، مثل إرميا، نطلق العنان لكل مشاعرنا بكل حرية إلى الله، ونظهر الأجواء من حولنا حتى نتمكن من التركيز على أجندة الله وسط صعوباتنا؟ أم أننا نخلص إلى أنّ مشاعر اليأس والحزن التي أصابتنا هي الواقع النهائي؟ يعتمد ذلك على هوية موضوع رجائنا. وفي الواقع، تقدم لنا مصاعب الحياة خدمة كبيرة، فهي. رغم كُرهننا لها، تكشف لنا عن نوع الرجاء الذي لدينا.

■ أكسجين الروح

قبل أن ندرس عن أمانة الله، ابدأ بتلاوة ثلاث ملاحظات حول دور الرجاء في حياتنا:

• نحن جميعًا نعتمد على شيء أو شخص ما يجعلنا متماسكين في داخلنا. يعتمد كل البشر على شيء أو شخص ما يجعلهم يشعرون بأنهم مهمّون ويقيهم قادرين على الاستمرار حتى لو كان ذلك الشيء أو الشخص هو أنفسهم. فسواء أكنت مؤمنًا أم غير مؤمن، فأنت تعوّل على شيء أو شخص ما لدعم حياتك ولمنحك إحساسًا بالأهمية. وهذا الشخص أو الشيء هو رجاؤك.

• عندما ينجح هذا الشيء أو الشخص في دوره معنا، يغمرنا إحساس بالسلام والرضا والتفاؤل بالمستقبل.

• يأخذ الرجاء مجموعة مختلفة ومذهلة من الأشكال. يجد الناس الرجاء في الرياضة أو النجاح أو المال أو الأسرة أو الجمال أو القوة، على سبيل المثال لا الحصر. وعندما تسير الحياة بشكل جيد نحو آمالك، تشعر بالسلام والتفاؤل وتقول: «الحياة جميلة.» لكننا دائمًا نختبر تقلبات عنيفة بين الشعور بالرضا وخيبة الأمل لأننا نضع آمالنا في كثير من الأحيان في أشياء لا يمكن الاعتماد عليها.

• عندما يفشل هذا الشيء أو الشخص في دوره معنا، نبدأ في الشعور بالقلق وعدم الرضا، ونصل في نهاية الأمر إلى اليأس.

يُمكن أن يختفي الرجاء في لحظة.

عندما تنتهي المسيرة الرياضية لرياضي محترف بسبب إصابة، يتبين أنّ الرجاء الذي نضعه في قدرتنا الذاتية فارغ.

أو عندما تأتي نتيجة أحد التحاليل الطبية إيجابية، وتجد نفسك تدفن شخصًا عزيزًا بعدها ببضعة أسابيع، ينهار حينئذ الرجاء في الصحة.

أو عندما تضع آمالك على وظيفتك، وفجأة تصبح عاطلاً عن العمل بسبب انهيار الاقتصاد، حينئذ يختفي الرجاء.

وفي كل مرة يخذلك فيها شخص وثقت به أو خطة وضعتها لأي سبب من الأسباب، يختفي إحساسك بالسلام والرضا، ويحل مكانه القلق والخوف واليأس.

قال أحدهم إن الرجاء هو أكسجين الروح. يمكننا العيش لأسابيع دون طعام والبقاء على قيد الحياة لأيام من دون ماء، ولكن من دون الأكسجين نكون على بُعد دقائق من الموت.

إذا كان الرجاء هو أكسجين للروح، فهذا معناه أنه لا يمكننا أن نعيش طويلاً من دونه. فعندما يختفي الشيء الذي نضع رجاءنا فيه حقًا، نموت.

لا يحب معظمنا أن يفكر في ما نعتمد عليه، لأنه عندما نقوم بذلك يكون علينا عادة أن نعترف بأن آمالنا موضوعة في أمور مؤقتة غير قابلة للثقة بها أو الاعتماد عليها. إذ يجعلنا عدم استقرار كل شيء من حولنا قلقين. أليس من المنطقي أن نعثر، إن أمكن، على شيء أو شخص من شأنه أن يدعمنا في أية حالة أو وضع؟

سيكون هذا أمرًا رائعًا لو تحقق. والسؤال هو: أين يمكنك أن تجد هذا النوع من الأشخاص، أو هذا النوع من الرجاء؟ وماذا تفعل عندما يبدو لك أن الحياة لا تستحق العيش، أو عندما يبدو أن كل ما كنت تعتمد عليه وكأنه تم سحبه فجأة من تحت قدميك؟

كان لدى إرميا جواب. ترك لنا دليلًا خطيًّا يخبرنا كيف يمكن أن تسوء الأمور، لكنه أخبرنا أيضًا كيف يمكن للرجاء أن يسود.

فإذا أردنا أن نواجه الحياة بهذا النوع من الصدق والرجاء الذي نجده في إرميا، سيكون علينا أن نكتشف أمانة الله، كما فعل.

يقدم أمانة الله الرجاء لكل شخص، بغض النظر عما يحدث في حياتك ودرجة السوء التي وصلت إليها – الإجهاد، والمشاكل الصحية، والمشاكل المالية، والمشاكل الزوجية، ومشاكل الأطفال، والشعور بالوحدة، والرغبة اليائسة في الارتباط، أو الانفصال، أو أية قضية أخرى قد تكون لديك.

وأينما كنت وأيًا كان الألم الذي تمر به، فإن رافة الله ومحبه لك لن تنتهيا أبدًا.

وإذا كنت تشعر بالعجز واليأس، فإن الجواب هو أمانة الله. وإذا كنت تشعر بأنك ناجح وغير قابل للهزيمة بفضل شيء آخر غير أمانة الله، يجب أن تعرف أن سعادتك مؤقتة.

ينطوي سرُّ حياة الفرح والسلام اللانهائي على إيجاد شيء أو شخص يمكنك أن تعتمد عليه بنسبة مئة بالمئة من الوقت في أية حالة وكل وضع إلى الأبد. فدعنا نكتشف معًا هذا «الشخص» الذي يَعد بأن يدعمك دائمًا في كل الحالات – إنه إله الكون الأبدي غير المتغير والأمين.

تعريف أمانة الله

تُعَرَّف القواميس الأمانة بمعنى الثبات في المحبة والولاء. وبعبارة أخرى، فإن الشخص الأمين هو شخص وفيّ، موثوق به، وثابت في الالتزام بالوعود والقيام بالواجبات. عندما يقول شخص أمين شيئاً، نعرف أنه ملتزم بما يقوله، وأن ما يلتزم به مطابق للحقائق وموافق للمعايير. إنه ثابت. يمكننا أن نتصور الأمانة في الأشخاص لسنوات ومع ذلك، لا بدّ أن تحدث هفوات من فترة إلى أخرى، ولكن علينا أن نتذكر أن الله ليس مثلنا، فعندما يتحدث الكتاب المقدس عن أمانته، فإنه يتحدث من منظور الخلود والكمال.

إذا طبّقنا تعريفنا للأمانة على الله، سنذكر أنه يمكن الاعتماد عليه.

إنه جدير بالثقة ووفّي وقوي وحازم وثابت ويمكن الاعتماد عليه، وهو ملتزم بكلامه إلى الأبد. عندما يتحدث لك من الكتاب المقدس، يمكنك أن تأخذ كلامه على أنه مضمون تماماً.

ينطوي السر في حياة الفرح والسلام اللانهائي على إيجاد شيء أو شخص ما يمكنك أن تعتمد عليه بنسبة مئة بالمئة طوال الوقت وفي أية حال وأي وضع - إلى الأبد.

كلمة الله هي الحق بغيض النظر عن أي دليل ظرفي على عكس ذلك. إنه يحفظ وعوده، وهو متنسق مع معدنه الأخلاقي، وموجود لأجلك بنسبة مئة بالمئة من الوقت.

**سرُّ حياة الفرح
والسلام اللانهائي
ينطوي على إيجاد
شيء أو شخص
يمكنك أن تعتمد
عليه بنسبة مئة في
المئة من الوقت في
أي حالة وإلى الأبد.**

وفي الواقع، تنطبق أمانة الله على كل شيء عنه، ويسطع نورها من خلال كل صفاته الأخرى.

فكما كتب توزر:

«تتفق كل أعمال الله مع صفاته، ولا يمكن لصفة من صفاته أن تُناقض الأخرى، بل تنسجم وتمتزج كلها بعضها مع بعض في لاهوته غير المحدود. ولا يمكن لله، في كينونته وطبيعته، إلا أن يتوقف عن أن يكون ما هو عليه. إنه أمين وغير قابل للتغيير في الوقت نفسه، ولذلك يجب أن تكون كل كلماته وأفعاله على نفس مستوى أمانته.»

تعريف سريع

في نهاية المطاف، نحن بحاجة إلى رؤية كل صفات الله وهي تعمل معًا. إذا كنا لا نفهم ولا نثق بأمانة الله، فلن نثق ببقية صفاته الأخرى التي تشكل معدنه الأخلاقي أيضًا. علينا أن نعرف أن الله أمين حتى عندما نتعرض للأذى. نحن بحاجة إلى الاعتماد على ذلك دائمًا سواء أتحسنت ظروفنا أم ساءت.

بحاجة إلى أن نكون راسخين في الإيمان بحقيقة أمانته. لا يعتمد معدن الله الأخلاقي على مشاعرنا أو على أفكارنا أو على الأحداث التي تتغير بسرعة. كل شيء باستثناء الله زائل وقابل للتغيير ولا يستحق أن نضع رجاءنا فيه. أما الله فهو مختلف، وهو لا يتزعزع، وهو أهل لثقتنا.

الله أمين لكلمته ولوعوده ولشعبه ولمعدنه الأخلاقي لأنه لا يمكن أن يكون خلاف ذلك. يمكنك الاعتماد عليه مئة بالمئة من الوقت. لقد قال إنه لن يخذلك. ربما لا يفعل ما تريد منه أن يفعل بالضبط في الوقت الذي تريده أو بالطريقة التي تريدها.

ربما لا يرتب بطريقة تفهمها في الوقت الحالي، وربما لن تفهمه أبدًا، لكنه لن يخذلك.

كيف يكشف الله عن أمانته؟

كما أنّ كل صفات الله تتدفق من معدن أخلاقي ثابت، كذلك تُعلن بطرق ثابتة. بالطريقة نفسها التي استخدمها الله للكشف عن صلاحه وسلطانه وقداسته وحكمته وغيرها من الصفات، يكشف لنا أيضاً عن أمانته.

■ من خلال الخليقة

يكشف الله عن نفسه من خلال الخليقة. تمتلئ كلمة الله بتعبيرات كُتّابها عن الدهشة والإعجاب كما في مزمور ١١٩: ٩٠:

«إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ أَمَانَتُكَ. أَسَّسْتَ الْأَرْضَ فَتَبَّتْ.»

أو مزمور ١٤٥: ١٣-١٦:

«مُلْكُكَ مُلْكُ كُلِّ الدُّهُورِ وَسُلْطَانُكَ فِي كُلِّ دَوْرٍ فَدَوْرٍ. أَلَرَّبُّ عَاضِدٌ
كُلِّ السَّاقِطِينَ وَمَقْوَمٌ كُلِّ الْمُنْحَنِينَ. أَعَيْنُ الْكُلِّ إِيَّاكَ تَتَرَجَّى وَأَنْتَ
تُعْطِيهِمْ طَعَامَهُمْ فِي حِينِهِ. تَفْتَحُ يَدَكَ فَتَشْبِعُ كُلَّ حَيٍّ رِضَى.»

تُعلن الخليقة عن أمانة الله. لقد قام بتثبيت الكواكب وموازنة النظام الشمسي. يكتشف العلماء المجرات البعيدة ويطلقون عليها الأسماء، ولكنها كانت موجودة طوال الوقت حيث وُضعت بعناية في مواقعها من قَبَل أبينا السماوي.

تتجلى دقة الخلق في الحضارات القديمة. كانت الهياكل «الزغورات» تُبنى في كثير من الأحيان بناءً على الملاحظات الفلكية للذين قاموا ببنائها.

يمكننا أن نرى إلى اليوم أنه على فترات معينة غالباً ما تقاس بالسنوات، تُلقب هذه الهياكل ظلالاً تُظهر ترتيب النجوم وانتظامها، أو تبين قوانين كونية أخرى. لو كان محور الأرض قد مال قليلاً

لما اختلف تناسب هذه البنى المعمارية مع تصميم الخالق فحسب، بل لأصبح العالم نفسه مكانًا لا يصلح للحياة أيضًا - إذ سيكون القطب الشمالي ساخنًا، وخط الاستواء متجمدًا، وسنموت جميعًا.

لقد أثبت الله من خلال الخلق أنه لا يلتف حول «قوانين» الطبيعة إلا نادرًا. فالعلم موجود لا لأن للقوانين الفيزيائية شخصية خاصة بها، ولكن لأن الشخص الذي وراءها قد وضعها في مكانها ويديرها بشكل منتظم ودقيق ولافت للنظر. هذه هي الأمانة.

نحن نرى الاتساق في الطبيعة لأن إله الكون ثابت لا يتغير. والنتيجة هي أنها خليقة ممتلئة بالقوانين، من قوانين الجاذبية، إلى سرعة الضوء والديناميكا الحرارية وما شابه ذلك، وهي قوانين يمكنك دائمًا الاعتماد عليها.

طبقًا لقانون السبب والتأثير **Cause and effect** صنع السبب (الله) التأثير (الخليقة) ليعكس معدنه الأخلاقي، وهو يتوق إلى أن يُنظر إليه في مجده الخلاق!

■ من خلال شعبه

كشف الله عن أمانته من خلال تعامله مع شعبه. فقصه الكتاب المقدس عن الأحفاد المختارين من رجل مختار اسمه إبراهيم هي شهادة ساطعة على أمانة الله. وهي أيضًا سجل محزن للإساءات التي يرتكبها الناس رغم أمانة الله.

لقد حفظ الله وعوده، وأتبعها بتحذيراته، وثابر على إتمام خطته باستخدام أمة ليبارك العالم من خلالها. ولم ينكسر الوعد الذي قطعه الله لإبراهيم في سفر التكوين ١٢: ١-٣ حتى يومنا هذا.

توضح العديد من المقاطع في العهد القديم أمانة الله المستمرة لشعبه، يؤكد لنا ميخا ٧: ٢٠

«تَصْنَعُ الْأَمَانَةَ لِيَعْقُوبَ وَالرُّافَةَ لِإِبْرَاهِيمَ اللَّتَيْنِ حَلَفْتَ لِأَبَائِنَا مُنْذُ
أَيَّامِ الْقَدَمِ.»

ومزمور ٣٢: ١١

«أَفْسَمَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ بِالْحَقِّ لَا يَرْجِعُ عَنْهُ: [مِنْ مَرَّةٍ بَطْنِكَ أَجْعَلُ
عَلَى كُرْسِيِّكَ.»

ومن الواضح أن أمانة الله مع ذرية إبراهيم تنتقل بسلسلة إلى الكنيسة. عندما قال يسوع:

«وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيضاً: أَنْتَ بَطْرُسُ وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي
وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا.»
(متى ١٦: ١٨)

تضمنت هذه الآية وعدين يتعلقان بأمانة الله: التزامه ببناء كنيسته والتزامه بالحفاظ عليها. وقد حقق الله هذه الوعود بثبات طول الوقت وسط بيئة عدائية تهدد الكنيسة.

وسواء أ جاءت المقاومة من خلال محاولات لمحو شعب الله قديماً أم للقضاء على الكنيسة، فقد أثبت الله أمانته. أحب أن أستمع إلى كلام المؤمنين عندما يتحدثون عن الطريقة التي يُظهر بها الله أمانته في حياتهم. وهي قصص مدهشة ترفع الروح المعنوية. فالله يقهر العقبات، ويصنع المعجزات، ويفتح الأبواب، ويأتي من خلال طرق تتجاوز أبعاد توقعاتنا. ويُخلنا الله في بعض الأحيان عندما نرى التزامه الواضح العجيب بوعوده.

في العام ٢٠٠٩، سُمع البث الإذاعي لبرنامج «الحياة على الحافة» في أكثر من تسعمائة محطة راديو في أمريكا مع ترتيب لبثه في فترات الصباح في المدن العشر الكبرى، واستمرت خدمة الوعظ والتعليم في الاتساع،

لكني أصبحت مثقلاً جدًّا بسبب العدد المتزايد من المؤمنين بالمسيح الذين يستمعون إلى كلمة الله من غير أن تشهد حياتهم أي تحول

كان الأمر الذي أعطاه لنا يسوع هو أن نتلمذ الناس، لا أن نكتفي بالوعظ بكلمته لملايين الناس في جميع أنحاء البلاد.

قررنا في لحظة من لحظات التقييم الصادق أن نواجه الحقيقة ونتخلى طوعاً عن الخدمة في ثلاثة من أكبر عشر مدن في أمريكا من أجل استخدام الموارد المالية لإعداد مناهج تلمذة للمجموعات الصغيرة. لم تلق تلك الخطوة استقبلاً حسناً من قِبَل صنّاع الإذاعة المسيحية، ولم يكن لدينا أية خبرة سابقة أو ضمان للنجاح في تأليف مناهج المجموعات الصغيرة.

كنا نتمسك بالوعد بأن الله سيكون أميناً طالما نُخِضَ أنفسنا لأولوياته العليا ودعوته الصريحة للتلمذة. بعد انتهائنا من إعداد المنهاج الأول للمجموعات الصغيرة، قمنا بإخبار جمهورنا من المستمعين أنهم إذا كانوا مستعدين للالتزام بدراسة منهاج مجموعات التلمذة الصغيرة مع عائلاتهم أو أصدقائهم فسنرسله إليهم مجاناً. لم يكن نموذجاً عظيماً للبدء به، ولكنه كان ما وضعه الرب على قلوبنا لنبدأ.

تجاوب حوالي سبعة آلاف شخص معنا وبدأوا مجموعاتهم الصغيرة في جميع أنحاء البلاد. وكنا قد سدّنا المبلغ المطلوب لتطوير المواد الخاصة بتلمذة المجموعات الصغيرة. ولكن التكاليف الضخمة لإنتاج المواد وشحنها للمستمعين كانت حوالي ٢٢,٦٠٠ دولار.

وبعد حوالي ثلاثين يوماً، جاء أحد موظفي الحسابات لدينا إلى مكتبي وقال: «لدي شيء أعتقد أنك تريد أن تراه. نحن لم نطلب من أي شخص أن يرسل أموالاً، ولكن ثلاثمائة وسبعة وسبعين شخصاً أرسلوا تبرعاتهم للمساعدة في تغطية التكاليف، وكتب الكثير منهم رسائل يقولون فيها إنهم أدركوا أنه يتعين على شخص ما

أن يدفع ثمن تلك المواد وأنهم يريدون المساعدة. ومن بين التقدمات الثلاثمائة والسبع والسبعين، كانت هناك مئة مقدمة تخطت المئة دولار. ثم استطرد: «لقد كان إجمالي الدخل الذي تلقيناه من دون أي طلب هو ٢٣,١٩٦ دولارات.» الله أمين.

فمنا منذ ذلك الوقت بتطوير أكثر من خمسة وعشرين منهاجًا للمجموعات الصغيرة، وثلاثمائة ألف مجموعة صغيرة، ورأينا أكثر من ثلاثة ملايين وخمسمئة ألف شخص يشاركون في برنامج التلمذة في أمريكا وحول العالم. لا نزال نشعر بسعادة غامرة وحماس لتعليم كلمة الله عن طريق الراديو والتلفزيون والبودكاست (ملفات رقمية سمعية من خلال الإنترنت) ومن خلال تطبيق الهاتف الخليوي الخاص بنا، ولكن هذه المناهج الخاصة بالمجموعات الصغيرة بالذات أصبحت وسيلة لمساعدة الناس لا على سماع كلمة الرب فحسب، بل أيضًا على البدء برحلة التلمذة بأنفسهم.

من خلال روحه

لا يحفظ الله وعوده خارجيًا فحسب، أي تلك التي نشاهدها على مسرح التاريخ، ولكن أمانته داخلية، أي في شخصه. فهو يثبت أهليته للثقة من خلال روحه، ويحافظ على وعوده بطرق أقل وضوحًا، لكن نتائجها تُغَيِّر الحياة. وعد يسوع:

«إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وصَايَايَ وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ لِيَمَكِّنَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكِنٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ.»

(يوحنا ١٤: ١٥-١٨)

تعتمد قدرتنا على طاعة أوامر المسيح على استعدادنا للاعتماد على قوة الروح في كل لحظة من حياتنا. وينتج عن وجود روح الله وعمله في حياتنا نتائج معينة نقرأ بعضها في غلاطية ٥: ٢٢-٢٣:

«وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرِحَ سَلَامٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلَاحٌ،
إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هَذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ.»

ويُظهر الله أمانته من خلال عمل الروح القدس في حياتنا والذي ينتج هذا الثمر فينا.

من خلال شخصيته

يعلن الله أمانته من خلال معدنه الأخلاقي. عندما يتعلق الأمر بالأمانة، يوضح الله أن سمعته وكرامة اسمه على المحك. وبغض النظر عن تجاربنا الهشة مع أي شخص آخر فقدنا الثقة به، فإن الله يتوق إلى أن يكون لدينا ثقة كاملة بأمانته.

«لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيُكْذِبُ وَلَا ابْنٌ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمُ. هَلْ يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلَا يَفِي؟»
(العدد ١٩: ٢٣).

وهذه هي نظرة إشعياء الثاقبة عندما قال:

«يَا رَبُّ أَنْتَ إِلَهِي أَعْظَمُكَ. أَحْمَدُ اسْمَكَ لِأَنَّكَ صَنَعْتَ عَجَبًا.
مَقَاصِدُكَ مِنْذُ الْقَدِيمِ أَمَانَةٌ وَصِدْقٌ.»
(إشعياء ٢٥: ١).

ويؤكد المزمور الثالث والعشرون على هذا الدافع لدى الله:

«يَرُدُّ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ.»
(مزمور ٢٣: ٣).

في كل مرة يُدخِر اسم الله في الكتاب المقدس، فإنها تجعلنا نفكر في معدنه الأخلاقي الكاملة وسمعته النقية. إنه جدير بالثقة تمامًا وثابت بلا هوادة. ويمثل اسمه الكمال المطلق.

من خلال كلمته

لأن الله في معدنه الأخلاقي أمين، فكل عبارة يقولها صحيحة دائماً. ولا ينطبق هذا على كلماته فحسب، بل على أفعاله أيضاً. فالكتاب المقدس سجل لموثوقية الله الكاملة. فلا يكتفي بالقول إن الله ببساطة لا يكذب (تيطس ١: ٢؛ عبرانيين ٦: ١٨)، بل يبرهن هذا أيضاً. فالكتاب المقدس إظهار مطول لسجل كمال الله.

ونحن نجد واحداً من أوضح التصريحات عن أمانة الله في كلمته في إشعياء:

«لأنَّهُ كَمَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ وَالثلْجُ مِنَ السَّمَاءِ وَلَا يَرْجِعَانِ إِلَى هُنَاكَ بَلْ يُرْوِيَانِ الْأَرْضَ وَيَجْعَلَانِهَا تَلِدُ وَتَنْبُتُ وَتُعْطِي زَرْعاً لِلزَّرَّارِ وَخُبْزاً لِلآكِلِ هَكَذَا تَكُونُ كَلِمَتِي الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لَا تَرْجِعْ إِلَيَّ فَارِعَةً بَلْ تَعْمَلْ مَا سُرْتُ بِهِ وَتَنْجَحْ فِي مَا أَرْسَلْتُهَا لَهُ.»
(إشعياء ٥٥: ١٠-١١).

فحيث تسقط بذور كلمة الله، تنمو المحاصيل. وعندما نستقبل كلمة الله مثل تربة تمتص المطر، يقول لنا الله إننا يمكننا التأكد من أننا سنجنبي ثماراً جيدة. عندما صلى يسوع من أجلنا في يوحنا ١٧، أكد أهمية كلمة الله في حياتنا.

«قَدَّسَهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ.»
(يوحنا ١٧: ١٧).

كان يسوع يطلب من الأب «تقدّسهم» – أي أن يجعلهم (وإيانا) مقدّسين. صلى يسوع للأب قائلاً: «اجعل أتباعي هؤلاء يصيروا أتباعاً لك من خلال كلمتك. لأن كلمتك هي الحق»، فعندما يكون لكلمة الله تأثير في حياتنا، نصح نحن شخصياً جزءاً من دلائل أمانته.

يكشف الله عن أمانته من خلال صدقه في عهوده (تثنية ٧: ٩) ووعوده (عبرانيين ١٠: ٢٣)، ونبواته. إنه لا يكسر عهدًا ولا يخلف وعدًا. فهي ضمانات متينة كالصخور الصلبة، وهي أكثر أمانًا من الأموال في البنك. وتوقعاته لا تفشل أبدًا. فكلها تتحقق من دون استثناء.

التنبؤ بما سيحدث في المستقبل هو واحدة من الصفات المميزة للمسيحية. فنبوات الله ليست تخمينات - فهو يعرف دائمًا ما سيحدث.

«أَنَا الرَّبُّ هَذَا اسْمِي وَمَجْدِي لَا أُعْطِيهِ لِآخَرَ وَلَا تَسْبِيحِي
لِلْمُنْحَوَاتِ. هُوَذَا الْأَوَّلِيَّاتُ قَدْ أَتَتْ وَالْحَدِيثَاتُ أَنَا مُخْبِرٌ بِهَا. قَبْلَ
أَنْ تَنْبُتَ أُعَلِّمُكُمْ بِهَا.»
(إشعيا ٤٢: ٨-٩)

لقد أعطانا الله مئات النبوات - عن المسيح، وعن تطور أحداث تاريخية بعينها وعن المستقبل. وقد كُتِبَ بعضها قبل أن تتحقق بمئات السنين، ولكن كل واحدة منها قد تمت بحذافيرها.

لم تسقط واحدة من نبوءات الله إلى الأرض. وأما تلك التي لم تتحقق حتى الآن، يمكننا أن نتأكد من أنها ستتحقق لأن كلمة الله آمنة.

■ من خلال ابنه

يأتي الدليل النهائي على أمانة الله، شأنه في ذلك شأن صفاته الأخرى، من خلال ابنه. يصف إشعيا المسيح في (إشعيا ٥١: ٥) قائلاً:

«وَيَكُونُ الرَّبُّ مِنْطَقَةً مَّتَّيْبَةً وَالْأَمَانَةُ مِنْطَقَةً حَقْوِيَّةً.»

وبعبارة أخرى، عندما ترى يسوع، ستري صفتي البر والأمانة تبرزان بوضوح مثل حزام أو وشاح يرتديه. عندما كتب الرسول الشيخ يوحنا رؤية عن نهاية الأزمنة، أعطانا صورة عن كيفية ظهور المسيح في مجده:

«ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا قَرَسٌ أَبْيَضٌ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى
أَمِينًا وَصَادِقًا، وَيَالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيَحَارِبُ.»
(رؤيا ١٩: ١١).

كان لدى يسوع في ذروة التاريخ عشرات الألقاب ليختار بينها في وصف نفسه، لكنه اختار في تلك اللحظة الحاسمة أن يُدعى أمينًا وصادقًا. سنبدأ الاحتفال الأبدي بانتصاره بمذكرة أنه قد تعامل معنا بكل أمانة.

من خلال تشكيله لأرواحنا

ربما لا تكون الوسيلة الأخيرة التي يستخدمها الله للكشف عن أمانته الأكثر إثارة، لكن من المؤكد الأكثر شخصية. فهو يكشف عن أمانته في الطريقة التي يُشكّل فيها حياتنا.

هذا هو المكان الذي تتقاطع فيه حياتنا مع أمانة الله. حتى الآن، كانت الأدلة التي نظرنا من خلالها إلى أمانة الله موضوعية إلى حد ما، لكن تعاملاته معنا ذاتية. إذ تسمح لنا اختباراتنا اليومية بالحصول على نظرة داخلية حميمة إلى أمانته بشكل مباشر.

بينما ندرس عن أمانة الله، من السهل أن نرى أنها سمة مجردة تتجلى في الخليقة وفي شعبه وروحه ومعدنه الأخلاقي وكلمته وابنه يسوع. وإذا لم نكن حذرين، قد نفكر في أمانة الله كشيء أقرب إلى «القوة» الكونية في فيلم حرب النجوم (Star Wars). كيد غير مرئية تتحرك بشكل غامض وغير متوقع لتقوم بأشياء لصالحنا بناءً على أداؤنا.

وعلى العكس من ذلك، فإننا نختبر أمانة الله بشكل أكثر عمقًا في وقت ضعفنا البشري وحين نواجه الخطيئة والإغراء والفشل.

«قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُتَكْسِرِي الْقُلُوبِ وَيَخَلِّصُ الْمُنْسَحِقِي الرُّوحِ.»
(مزمور ٣٤: ١٨).

ومن المؤسف أننا نميل إلى الهروب من الله عندما نفشل أو نقع في الخبيثة، أو نجد صعوبة في مواجهة إغراء (تجربة) ما.

سأطلب منك أن تسمح لي أن أرتدي قبعة الأستاذ لبضع لحظات وأتحدث بشكل محدد جدًا عن كيفية عمل الله في تشكيل أرواحنا.

وفي نهاية هذا القسم من الكتاب، لدي قصة للمشاركة أعتقد أنها سوف تساعدك على اختبار أمانة الله بطريقة عميقة وشخصية.

في ما يلي أربع حالات محددة تظهر بشكل متكرر في حياتنا عندما يرغب الله في إعلان أمانته:

■ ١. يكشف الله عن أمانته في وقت ضعفنا

لا يعترف أحد بهذه الحقيقة بشكل واضح وغير متوقع أكثر من الرسول بولس. كان بولس ذو قيمة روحية عملاقة ويعد واحدًا من أعظم العقول في القرن الأول، لكنه اعترف بضعف وتواضع قائلاً:

«وَلَيْلًا أَرْتَفَعَ بِفَرْطِ الْإِعْلَانَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلَكَ الشَّيْطَانِ، لِيَلْطِمَنِي لَيْلًا أَرْتَفَعَ. مِنْ جِهَةٍ هَذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي. فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لِأَنَّ قُوَّتِي فِي الضُّعْفِ تُكْمَلُ». فَبِكُلِّ سُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي صَعْفَاتِي، لِكَيْ تَحَلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ.»

(كورنثوس الثانية ١٢: ٧-٩).

تتلمذ بولس على يد الحاخام اليهودي الشهير غملائييل. وكان معروفًا عنه أنه فريسي ابن فريسي، مثال يحتذى في البر والمعرفة. وفي نهاية الأمر، كتب ثلاثة عشر سفرًا من أسفار العهد الجديد. لكن هذا البطل الروحي الخارق عاش أيامًا سيئة عانى فيها من ضعف عذبه، وكان يصرخ إلى الله طالبًا منه العون.

دعا بولس هذا الضعف «شوكة» فلم يخبرنا صراحة بما كان يعاني منه بالضبط، لكن التعبير دلّ على أنّ الألم والانزعاج كانا مستمرين، تمامًا كما هو الحال عند الكثيرين منا.

لكن بولس عرف ما يجب القيام به، حيث لجأ إلى الله في الصلاة. وأجاب الله صلاته قائلاً: «يا بولس، سيكون عليك أن تعتاد هذا الوضع، فأنت لن تتخلص من تلك الشوكة، بل ستخلص من خلالها.»

أثبتت الله أمانته في ضعف بولس. يواجه أولئك الذين يهربون من حالات المشقات الجسدية وكأته الطاعون صعوبة في تقبل هذا الجانب من تعاملات الله معنا، ولا يعوقه نفورنا حتى للحظة واحدة. إذ لدى الله قضايا على المحك أهم من راحتنا.

يقول الله لنا ما قاله لبولس: «نعمتني (حضورى المحب ورحمتي وشخصي وعمل روحي في داخلك من أجل إعلان قوة الله الخالدة) هي كافية لك. فقوتي تكتمل في ضعفك. عندما يرى العالم كيف أدمك رغم ضعفك التام، سيعرف أن الأمر يعتمد عليّ أنا، وليس عليك.»

نقرأ بعد ذلك استجابة بولس المدهش:

«فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لِأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تَكْمَلُ». فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعْفَاتِي، لِكَيْ تَحَلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ. لِذَلِكَ أُسَرُّ بِالضَّعْفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالِاضْطِهَادَاتِ وَالصِّيقَاتِ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ. لِأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ.»

(كورنثوس الثانية ١٢: ٩-١٠).

يا لها من طريقة رائعة للتعامل مع مشاكل الحياة التي لا مفر منها! «أنا أبتهج تمامًا في ضعفي، والشتائم والمشقات والاضطهادات والمصاعب.»

هل يمكنك أن تقول ذلك؟ عادة ما نقول: «أنا أحاول المثابرة. أحاول التعامل مع هذا، وسأحاول الاحتفاظ بنظرة إيجابية طالما أستطيع. لكن عليك أن تفهم.» لم يكن بولس مجرد شخص مهتمّ بالبقاء على قيد الحياة، بل كان بطلاً اعتاد الانتصار على أمور قد يهزم أمامها الكثير منا. فكيف يمكن أن يقول ذلك؟ والسبب هو كما قال:

«لَأَنِّي حِينَئِذَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحَيِّثُذِ أَنَا قَوِيٌّ.»

لم يقل بولس: «عندما أكون ضعيفاً أتصرف وكأنني قوي.» بل كان واضحاً جداً بخصوص مصدر الضعف ومصدر القوة في حياته. ولا يعني الاعتراف بالضعف التمرغ في تراب الهزيمة، بل السماح لقوة الله بأن تظهر فينا.

عندما يسمح الله لبعض الظروف الصعبة في أمور مثل الصحة والعلاقات والمال والوظيفة والعائلة بأن تحدث في حياتك، فإنه من السهل أن تشعر باليأس الشديد وترفع يديك في استسلام نحو الله وتقول: «يا رب، لا يمكنني أن أحتمل دقيقة واحدة أكثر من ذلك.» ولكن إذا كنت تلتجئ إليه، فسيظهر قوته ونعمته في حياتك.

سينظر المحيطون بك إلى حياتك ويتساءلون: «كيف تفعل ذلك؟ ما من تفسير بشري لهذا!» وسيدركون وقتها أنها ليست قوتك، بل الله الذي فيك يعلن أمانته. هذا هو رجاء المجد. يريهم الله أمانته.

٢. يعلن الله أمانته عندما نتعرض للتجربة.

هنالك فرق بين التجربة والخطيئة. فالتعرض للتجربة يعني أن تكون مشتتاً وأن تتناكب الرغبات. فأنت تدرك أنك تتعرض للإغواء بأن تفعل أمراً ما، فتتغمس في فكر شهواني أو تسرق أو تستهزئ أو تختاب غيرك، أو تتغمس في أي شكل من أشكال العصيان المتعددة. تحدث التجربة عندما تجد جميع الظروف تتكاتف فجأة لتضعك أمام فرصة جذابة.

وفي اللحظة التي تتعرّض فيها للاستدراج، تكون مثل السمكة التي تتطلع إلى طعام مغرٍ يبدو هذا الطعام براقًا وشهياً، يهمس في أذنك بصوت خافت: «سيجعلك هذا تشعر بالرضا، أنت تستحق ذلك، سينتهي هذا مشاكلك، إنه بالضبط ما تحتاج إليه.» يشبه الأمر عندما تتبع نظامًا غذائيًا صارمًا في محاولة لإنقاص وزنك، وفجأة أثناء تسوقك ترى عينة مجانية من كعكة الشوكولاتة اللذيذة أمامك مع دعوة لتجربتها. قد تحوم حولها مرارًا وتكرارًا، وتتفحصها من كل زاوية بينما تمشي في الممر.

وكلما فعلت ذلك، تُعطي للتجربة فرصة أكبر لتنال منك. لكن يظل الأمر مجرد تجربة إلى أن تأخذ قضة ثم تأخذ الكعكة وتضعها في عربة التسوق الخاصة بك.

إن من الأعداء الأكثر شيوعًا لتبرير السقوط في التجربة الإحساس بالتفرد - «لديّ ضعفٌ خاص واستعداد وراثي للسقوط عندما يتعلق الأمر بتلك الخبيثة»، أو «لم يتمكن أحد من مقاومة هذا النوع من التجربة من قبل». تعطي كلمة الله إجابة تجردنا من تلك الأعداء:

«لَمْ تُصَبِّكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلَّا بَشْرِيَّةٌ. وَلَكِنَّ اللَّهَ أَمِينٌ الَّذِي لَا يَدَعُكُمْ تُجْرَبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمُنْقَدَّ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا.»
(كورنثوس الأولى ١٠: ١٣)

يمكنك أن تتغلب على التجربة في كل مرة، لا بفضل قوتك، لكن لأن الله أمين. هناك منفذ من التجربة في كل مرة، إذا كنت مستعدًا للجوء إليه.

ستتعرض مثل الجميع لملايين التجارب أثناء سيرك في الحياة. عندما يحدث هذا يمكنك محاولة الاعتماد على قوتك الخاصة، أو يمكنك أن تعتمد على الله ليمنحك مخرجًا.

لا تعتمد طريقته على قوة إرادتك. كُن صادقًا حول الصعوبة التي تواجهها أمامها، واطلب من الله أن يريك المنفذ الذي وقَّره لك، وسيستجيب لك. إنها طريقة مضمونة. سيكشف الله عن أمانته من خلال مساعدتك على الصمود أمام أي تجربة تأتي في طريقك.

■ ٣. يتوق الله إلى الكشف عن أمانته لنا عندما نقع في الخطيئة.

حتى إذا فشلنا في الاستفادة من طريقة الله للهروب من التجربة، لا يتخلى الله عنَّا، بل ينتقل إلى الفرصة التالية لإظهار أمانته تجاهنا. نجد تفاصيل هذا الأمر في يوحنا الأولى ١: ٩:

«إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا
وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ.»

**بقبول اعترافنا، يظل الله وفيا لكل من أمانته وعدله،
فيغفر لنا.**

لقد صرت مؤمنا عندما وضعت ثقتك في يسوع وعمله على الصليب وقيامته. في لحظة ما في حياتك، إذ أدركت في لحظة ما أنك في حاجة إلى مخلص، فتبت وغيرت آراءك حول الخطيئة والحياة. ورجعت إلى الله. لقد جاء المسيح إلى حياتك وسكن روحه داخلك وأصبح الآن لديك علاقة جديدة به.

لكنك تجد شيئًا غريبًا يحدث في هذه العلاقة الجديدة، وهو أنك ما زلت تخطئ. فالحرب لا زالت مندلعة بين الجسد والروح. لكن عليك أن تدرك أن الله لا يتفاجأ. فقد أعدَّ في خطته للعلاقة بك مكوّنًا للجوء إليه «في حالة الفشل».

فعندما تدرك أنك أخطأت، تتوقف، وتعود إليه، وتعتزف بأن ما فعلته كان خطأ، وتتقبل عواقب الخطيئة وتقبل غفران الله. إنه أمين.

هذه العملية مألوفة بالنسبة لكثيرين منا، لكننا نميل إلى الاعتقاد بأنها لا تنطبق إلا على «الخطايا الصغيرة». فنحن نطلب المغفرة من الله بسرعة عندما تقع أعيننا على لقطة من فيلم إباحي، أو عندما نتفوّه بكلمة قاسية، أو نفكر في فكرة شهوانية.

أعرف عددًا كبيرًا من المؤمنين بالمسيح المقيدين بمثل هذه الأمور، حيث أدمنوا المواد الإباحية أو غرقوا في الخداع. وهم يعتقدون أنهم يعيدون عن أمانة الله. يحمل الناس أسرارًا رهيبة، وجروحًا مؤلمة، ويعانون من الكوابيس لسنوات، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أنهم يعتقدون أن الله يرفض التعامل مع هذا القذارة.

ربما تخطر أفكار مثل هذه في بالك: «أنا أعرف أن الله يغفر لي، لكنني لا يمكنني أن أغفر لنفسي»، أو «لا أصدق كيف يمكن لله أن يغفر لي ما فعلت. أنا أعلم ذلك جيدًا. أنا أشعر بالعار وفضاعة ما ارتكبته، أشعر بالحقارة الشديدة وبأنني خاطئ جدًا»، إذا كانت هذه العبارات تعكس مشاعرك، يوجد درس لاهوتي مهم يمكنه أن يحرك: ما من علاقة بين غفران الله لخطايا الماضي وقدرتك على أن تغفر لنفسك! إذا اعترفت لله بخطاياك، فهو أمين وعادل حتى يغفر لك (يوحنا الأولى ١: ٩). لقد تم توقيع صفقة تبادل عندما مات يسوع على الصليب. فقد غطي بدمه خطيئتك مرة واحدة وإلى الأبد.

المسألة الآن هي إن كنت ستقبل حل الله لمشكلة الخطيئة. إذا كان الله أمينًا وعادلًا، فهذا يعني أن دم المسيح قد محا خطاياك وأصبح الغفران متاحًا لك. صدقني أنه ليس للأمر علاقة بغفرانك لنفسك إطلاقًا. فهو يتعلق بقبولك لما فعله الله فحسب. ومن شأن عدم قبولك للغفران أن يقلل من شأن دم المسيح الذي سَفِكَ نيابةً عنك. فعندما يدّعي المؤمنون بالمسيح أن المسيح يغفر الخطايا بشكل عام ولكن لا يمكن أن يغفر بعض خطاياهم المحددة، فكأنهم يقولون إن عمله على الصليب لم يكن كاملاً أو كافيًا.

إذا كان الكتاب المقدس يقول إن الله في أمانته قد أبعد عنا خطايانا كبعد المشرق عن المغرب (مز ١٠٣: ١٢)، فلماذا نحاول نحن إعادتها إلى حيث كانت؟ يمكننا أن نكون أحرارًا وواهبين إذا طلبنا من روح الله أن يعطينا إدراكًا لما حدث بالفعل في حياتنا. نحن لسنا بحاجة إلى أن نغفر لأنفسنا، بل نحن بحاجة إلى الثقة بما حدث بالفعل.

الله أمين، وهو يريد أن يظهر لك أنه ليس أمينًا عندما تكون مطيعًا فحسب. إنه أمين في كل وقت لأن هذه هي طبيعته، وهكذا يتوق إلى أن تراه.

٤. يريد الله أن يظهر لنا أمانته حتى عندما نفشل تمامًا

عندما يتعلق الأمر بعلاقتنا بالله، فإنه من المستحيل أن نبالغ في أهمية ذلك الشخص مطلق الأمانة. فواحدة من الصفات المميزة لله أنها «لا تفشل»، كما لا يفشل لطف الله وحبه. وعلى النقيض من ذلك، فإن إحدى السمات المميزة لدينا نحن البشر هي عدم الثبات. وفي كل مرة نقصر فيها عن الوصول إلى المستوى الذي يريده الله، يعرض الله أن تعوّض أمانته ذلك الفرق. في رسالته الأخيرة إلى تيموثاوس، سلط بولس الضوء على تحدّيه له:

«فَتَقَوُّ أَنْتَ يَا ابْنِي بِالنُّعْمَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.»
(تيموثاوس الثانية ٢: ١)

وبعبارة أخرى: «اعتمد على قوة الله لتقوم بما لا يمكنك القيام به بنفسك.» ومن أجل توضيح الطريقة التي يتعامل بها الله في علاقاتنا به، يصف الرسول أربعة سيناريوهات في تيموثاوس الثانية ٢: ١١-١٣.

«صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ: أَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ مُثْنَا مَعَهُ فَسَحَابًا أَيْضًا مَعَهُ.
إِنْ كُنَّا نَصِرُ فَسَتَمَلِكُ أَيْضًا مَعَهُ. إِنْ كُنَّا نُنْكِرُهُ فَهُوَ أَيْضًا سَيُنْكِرُنَا.
إِنْ كُنَّا غَيْرَ أَمْنَاءَ فَهُوَ يَبْقَى أَمِينًا، لَنْ يَفْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ.»

يخلق التناظر بين السيناريوهات الثلاثة الأولى إيقاعًا؛ متنا/ نحيا. نصبر/نملك. نُنكر/يُنكر. أما السيناريو الرابع فقد نحتاج إلى قراءته مرتين؛ لأن الثلاثة سيناريوهات السابقة تقودنا إلى توقع استجابة مختلفة عما كتبه بولس (يقابل عدم أمانتنا بأمانة الله).



تحدث بولس عن النقطة نفسها في كورنثوس الأولى

٣: ١٢-١٥، حيث

يؤكد للمؤمنين
خلاصهم، لكنه

يوضح عواقب اختبار

الخشب والعشب

والقش (كناية

عن الإنكار أي كل

الأفعال والدوافع

التي تخالف تعاليم
المسيح).

إذ تتضمن النتيجة المذكورة في كل من السيناريوهات الثلاثة السابقة كلها شيئًا مشتركًا مع السيناريو الأخير. فأمانة الله هي ثابتة في كل الحالات. فما دمنا متنا معه، يمكننا الاعتماد على أمانته للسماح لنا بأن نحيا معه. وإذا كنا نتحمل بصبر، فإنه بأمانة سيتقاسم ملكه معنا. وإذا أنكرناه، فإنه سينكرنا. يتحدث بولس في هذه المقابلة عن البركات وليس عن الخلاص. لقد تحدّث عن النقطة نفسها في كورنثوس الأولى ٣: ١٢-١٥، حيث يؤكد للمؤمنين خلاصهم، لكنه يوضح عواقب اختبار الخشب والعشب والقش (كناية عن الإنكار - أي كل الأفعال والدوافع التي تتناقض معه). ولكن بعد ذلك

يأتي أمر غير متوقع تمامًا: رغم عدم أمانتنا، لا يزال الله أمينًا، لأن هذه هي طبيعته.

أذكر بوضوح عندما بدأ المسيح في اجتذابي نحوه، وعندما قبلت الخلاص. شعرت في البداية بنشوة غامرة لأن الله قد تولّى أمر خطاياي، لكن بعد حوالي عامين في الحياة المسيحية، بدأت أحس بأنني غير قادر على أن أحيأ كمؤمن بالمسيح. أصبت بالإحباط الشديد من الصراع مع الخطية طوال الوقت حتى قلت أخيرًا: «إذا لم أستطع أن أعيش هذه الحياة بثبات، فسأتخلى عن إيماني.»

وبالفعل توقفت. أخذت الكتاب المقدس ونزعت ملصق «المجد للرب» المعلق في غرفتي ووضعتهما في الدرج السفلي من خزانة الملابس. ثم أعلنت لنفسي، «لقد انتهيت من هذا الأمر. لقد تركت حياة الإيمان وخرجت منها.»

رغم أنني اخترت التخلي عن الحياة المسيحية، إلا أنني لم أستطع التوقف عن التفكير في الله. لم يكن ليسمح لي بأن أفلت منه. لم أقرأ الكتاب المقدس لأيام، لكن كلماته لم تكف عن التردد في ذهني مذكرة إياي بخطيئتي. أرسل الله أشخاصًا واحدًا بعد الآخر إليّ من أجل تشجيعي. وظلت الأفكار الإيجابية عن حبه تراودني.

تحدث بولس عن النقطة نفسها في كورنثوس الأولى ٣: ٢١-٥١، حيث يؤكد للمؤمنين خلاصهم، لكنه يوضّح عواقب اختبار الخشب والعشب والقش (كناية عن الإنكار - أي كل الأفعال والدوافع التي تتناقض معه).

قلت لله: «لا أعتقد أنك تفهمني، لقد خرجت من اللعبة وخلعت زيّ الإيمان الرسمي. فأنا لا أستطيع التعامل مع هذا النوع من الحياة.»

رد الله عليّ بطرق ذكرتنني بالمقطع الوارد في تيموثاوس الثانية.

«أتعرف يا تشيب، عندما تنضم إلى فريقتي، يصبح واقع العلاقة أحادي الجانب. إذا كنت قد متّ معي، وأنت تفهم ذلك، فستحيا معي وتختبرني. وإذا كنت تصبر في المشقات، فهناك مكافأة - وهي أنك ستملك معي. وإذا أنكرتني وقررت أن تسير في طريقك، فسانكرك بدوري، أي ستواجه التأديب، لأنني أحبك وستتحمل عواقب أفعالك، وسوف تفوتك بركات حياة البر.

«ولكن يا تشيب، إذا قررت أنك لا ترغب في الاستمرار، تخيل ما سيحدث. لقد عقدنا صفقة. فحتى إذا أردت التخلي عن الجزء الخاص بك، لن أتخلي أنا عن الجزء الخاص بي، وسأحفظ عهدي. أنا الله، وأنا لا أتغير.»

حاصرني الرب، وفاز. وحين أعود إلى الوراثة بذاكرتي، فإنني شاكر له على إصراره. مع مرور الوقت، بدأت أدرك أن الله قد سمح في أمانته بأزمة الإيمان التي مرتت بها من أجل مقاصده الأمانة.

لم يكن يريد مني أن أبقى مكرّساً له بشكل سلبي، لذلك سمح بأن يسوء بي الحال حتى وصلت إلى نقطة اليأس. ثم واجهني بالحقيقة المؤلمة – وهي أنني أستطيع أن أتركه، لكنه لن يتركني. قررت عندها أنه أفضل لي أن أنضم إلى الفريق الراجح وأسير معه.

تقودنا هذه كلها إلى الحاجة إلى الاستجابة. إذا كان أمانة الله هي أحادية الجانب، فقد نتساءل عن دورنا في العلاقة. فعلى سبيل المثال، إذا كنا نعرف بالفعل أن الله سيبقى أميناً، كيف نتجنب إهمال أمانتنا؟ وكيف نتعامل مع تلك الأوقات التي نظهر فيها عدم أمانة؟

كيف نتجاوب مع أمانة الله؟

مهما كانت صدمتنا في أنفسنا بسبب عدم أمانتنا، فإن هذا لا يأخذ الله على حين غرة ولا يتسبب في تغيير مقاصده لحياتنا. إنه يتوق إلى أن نعرف في أعماق قلوبنا أنه أمين. يريدنا أن نعي محبته لنا، ليس بسبب طبيعتنا، بل بفضل طبيعته!

والسؤال هو: هل هناك عواقب لحياة العصيان؟ بالتأكيد! ولكن الله في أمانته يستخدم كل شيء – حتى تلك العواقب الصعبة – ليجتذبك إليه مرة أخرى بمحبة ولطف. فهو ببساطة لن يتخلى عنا. إنّه يريدنا أن نعرف أنّه سيظل أميناً حتى عندما تُفسد الأمر. فعندما نكون ضعفاء، سيظل أميناً. وحتى عندما ننكره سيظل أميناً.

أندكر بطرس الذي فشل تماماً في عدة أشياء في ليلة واحدة؟ لقد أدلى بتصريحات طائشة، وتصرف بانديفاع، وانهار تحت الضغط، وأنكر معرفته بيسوع. وبقدر ما نرغب في أن نعتقد أننا لسنا مثل بطرس، فإنه يظل مثلاً جيّداً للحدّ الذي يمكن أن نصل إليه في إفسادنا للأمر

مرات كثيرة، وهو لهذا أيضًا مثال رائع لكيفية تعامل الله معنا. لقد شعر بطرس بالعار حتى إنه ترك كل شيء وعاد إلى الصيد.

لم يحاول العثور على يسوع لتصويب الأمور معه، فذهب يسوع ليبحث عنه. ساعده يسوع على التحرر من ذنبه وأطلقه حرًا. وهذا هو بالضبط ما يفعله معنا. إنه يبحث عنا بعد فشلنا ويردنا إليه. تمدنا كلمة الله بالتعليمات المطلوبة لكيفية الاستجابة عندما نكتشف عدم الأمانة في حياتنا.

١. اليوم، ضع ماضيك خلفك.

إذا كانت هنالك خطيئة في حياتك، أو إذا لم تكن مؤمنًا بعد، اعترف بخطيئتك، وطالب بالحق المذكور في يوحنا الأولى ٩:

«إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ آمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا
وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ.»

اتفق مع الله حول خطيئتك واقبل منه العلاج. قل له، «نعم، لقد أفسدت الأمر، لقد تورطت في علاقة غير نقية، نعم، أنا أدمن العمل. نعم، لقد جعلت من أطفالي أصنامًا في حياتي. نعم، أنا مهووس بنفسي وبمظهري. نعم، أنا مدمن على المواد الإباحية. نعم، لقد آذيت ذلك الطفل؛ أو نعم، لقد انفصلت عن شريك حياتي من خلال طلاق غير كتابي. نعم، نعم، نعم يا رب. أنا أفسدت الأمر.»

ولكن لا تتوقف عند هذا الحد. فليس هدف الله من وراء التوبة أن تجلد نفسك بالذنب والاعتراف، بل أن تنتقل إلى الحرية. صل هذه الصلاة: «أنا أيضا أقر بأن ما اعترفت به للتو هو السبب الذي دفع يسوع إلى الموت على الصليب بدلاً مني. يسوع، أنا أقبل دمك المسفوك لأجلي، مرة وإلى الأبد، لمحو خطاياي وبدء بداية جديدة. أشكرك يا الله!»

ضع ماضيك خلفك فقد تولى الله أمره. الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يحبسك في الماضي هو أنت. أما في المسيح، فلم يعد الله يتذكر خطاياك.

٢. اليوم، تعال بكل مشاكلك الحالية وألمك وفشلك إلى يسوع.

هذا هو بالضبط ما فعله بولس في كورنثوس الثانية ١٢ عندما اتجه إلى الله بضعفه المزعج. جلب مشكلته إلى الله بنظرة من الثقة الكاملة. وأظهر رده على جواب الله ثقته بالرب. لقد تحولت مشقة بولس إلى وسام على صدره.

يدعونا يسوع اليوم في متى ١١: ٢٨-٣٠ إلى السماح له بإراحتنا:

« تَعَالُوا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ.
إِحْمَلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ
فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لِأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ.»

هل هذا هو الله الذي تعبدته؟ إذا كنت تعبد إلهًا مختلفًا، فتوقف الآن وأعد النظر. فالإله الحقيقي الذي نعبد هو الذي عندما يجدهك متعبًا وبعيدًا، ومثقلًا بالذنوب، يدعوك: «تعال إلي وسأمنحك الراحة.»

يقول أيضا: «احملوا نيري عليكم.» يقدم هذا النص صورة لثورين يشتركان في نير. ولن يكون هذا وضعًا سيئًا إن كان الله القدير هو شريكك في النير. عندما تشعر بأنك قد أفسدت الأمر، يقول يسوع: «لماذا لا تتعاون معي وتتعلم مني. أنا لطيف ومتواضع. لن أثقل عليك. ستجد راحة لروحك. لِمَ لا تكف عن محاولة عيش هذه الحياة لوحدك؟»

هذه الصورة هي قوية جدًا في المجتمع الزراعي، ولكنها نادرًا ما تترجم بنجاح في ثقافة الحضر.

إذ يتساءل الناس حول ما يقصده الله بالنير، وهم أيضًا ليسوا متأكدين من المقصود بكلمة «راحة».

في صباح أحد الأيام، شعرت بالإرهاق الشديد. حتى النوم لم يرحني. فأغمضت عيني وبدأت أصلي مثل بطرس عندما كاد يغرق واستغاث «يا رب، نجّني!» صليت قائلاً: «يا رب، ساعدني، ساعدني على الصمود وساعدني في الصلاة، ساعدني أن أشكر وأن أثق بك.

ساعدني ألا أركز على ذاتي وعلى مشاكلي واحتياجاتي والضغوط التي أعاني منها، وأن أركز بدلاً من ذلك على أمانتك وقوّتك ومحبتك من أجل تحقيق أسمى مقاصدك من خلال حياتي.» بدا الظلام يتراجع طيلة الفترة التي كنت أتحدث إلى الله. لكن بمجرد أن توقفت للتقاط أنفاسي، هاجمتني أفكاري مرة أخرى وشعرت بالاختناق. صرت أبكي: «يا أبي، لا أتذكر أنني شعرت بأنني وصلت إلى مثل هذا الحضيض من قبل. أنا محبط بسبب أشياء صغيرة، وأصبحت أشك في قراراتي، وأشعر بالإرهاق. أرجوك أعطني منظورك وجدّد ذهني. اظهر لي أمانتك ولطفك ورحمتك.»

لم تكن صلاتي منمّقة وجميلة، بل كانت قبيحة وبائسة وصادقة بقدر ما استطعت. هذه هي الطريقة التي يحبها الله. هذه هي الطريقة التي نحن بحاجة إلى المجيء بها إليه. أما الصلاة المثيرة للإعجاب فهي تُعجب الأشخاص الذين يسمعونك فحسب، أما الله فيريد أن يسمع ما في قلبك. إنه يفهم الارتباك الذي لا تستطيع معه أن ترتّب كلماتك.

تساعدني الكتابة على ترتيب أفكاري وتحديدّها. أبدأ عادةً إلى تسجيل صلواتي في دفتر ملاحظاتي لأن ذلك يحمي ذهني من التشتت ويبقي روحي على المسار الصحيح. ويكون هذا مهمًا بشكل خاص عندما أبدأ في تقديم طلبات إلى الله أو أتعهد بتكريسي له.

كتبت في ذلك الصباح،

«يا إلهي العلي، من فضلك اغفر لي عدم ثقتي بك. اغفر لي غضبي وتركيزي على نفسي بدلاً من احتياجات الآخرين. اغفر لي أيني الداخلي وشكواي الظاهرة، وفشلي في أن أكون شاكر عندما تجزل لي بركاتك من كل مكان. اغفر لي ضحالة صلاتي وانعدام التركيز والانضباط الذهني عندما أصلي. أرجوك أعطني الرغبة في الثقة بك والتمتع بك وبالآخرين بدلاً من مجرد الرغبة في التخلي عن الأشياء التي لا أريد أن أفعلها والتركيز على الأشياء التي أريد أن أفعلها. يا أبي، أريد أن أتكل عليك بخصوص كل ما يُثقل كاهلي. لقد جئت الآن لألقي كل مخاوفني ودواعي قلقي عليك، لأنني واثق بأنك تهتم بي.»

كتبت في ذلك الصباح كل ما أمر به: حالاتي المزاجية، صراعاتي، إدانتني لذاتي، وتركيزي على نفسي. ثم أعطيت القائمة إلى الله وقلت: «إنني أقبل الغفران والتطهير الآن.»

ثم دهشت كيف بدأ ذهني يمتلئ بوجوه الآخرين في حياتي واحتياجاتهم. وكنت قادرًا على الثقة بالله لأجل تيريزا ليحفظها أثناء فترة صعبة جدًا كانت تمر بها. ومع تحول انتباهي إلى احتياجات الآخرين، بدأ إحساسي بأمانة الله يطرد الظلام خارج حياتي.

ملأت صفحات عدة بالصلوات والحمد للرب من أجل ما فعله والآخرين لي، ومن أجل الأدلة الرائعة على أمانته. وبمجرد أن أغلقت دفتر ملاحظاتي، صرت خارج الدوامة التي كنت عالقًا فيها.

لم يتغير أيٌّ من ظروفني، ولكن مجرد المجيء ووضع يدي على المشكلة والاعتراف بخطيتي فتح عيني على حب الله اللطيف والمتواضع. وأنا مقتنع بأنك ستجد أمانة الله متوفرة لك تمامًا كما كانت متوفرة لي.

٣. ضع آمالك في المستقبل في يد الشخص الوحيد الذي لن يخذلك.

بدأنا هذا الفصل بلمحة عن الظروف الكئيبة التي أحاطت بحياة إرميا ومشاعره باليأس. لقد جلب النبي القديم مشاكله وآلامه وفشله أمام الله ووضعها عارضًا إياها بكل ما فيها من مرارة وغضب. ولكن كلمًا زاد من شكواها، اتضح له أنه مهما كانت ظروفه مظلمة أو سيئة، فإنها لن ترتقي إلى أمانة الله.

«أَزِدُّ هَذَا فِي قَلْبِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْجُو. إِنَّهُ مِنْ إِحْسَانَاتِ الرَّبِّ
أَنَّا لَمْ نَفْنَنَّ لَأَنَّ مَرَاخِمَهُ لَا تَزُولُ. هِيَ جَدِيدَةٌ فِي كُلِّ صَبَاحٍ. كَثِيرَةٌ
أَمَانَتُكَ. نَصِييِي هُوَ الرَّبُّ قَالَتْ نَفْسِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْجُوهُ.»
(مراثي إرميا ٣: ٢١-٢٤)

نحن نذوق أمانة الله عندما نبدأ في الثقة به بخصوص مستقبلنا ثم نراقب ما يفعله. يقدم لنا الله كل صباح فرصة جديدة لنراه وهو يخلق من جديد، ناهيك عن تصميمه الفريد لليوم نفسه، والذي يختلف عن أي يوم آخر في التاريخ.

تعلم إرميا أن يستقبل كل يوم مع تأكيد أن الرب هو «نصيبه»، وأن الله هو الأمر الوحيد الثابت والذي لا يتغير والذي يمكنه الوثوق به في يومه. ليس مثله يخلص. علينا أن نتعلم أن نضع آمالنا في المسيح وليس في الأشياء، لا في الصحة الجيدة، ولا في المستقبل، ولا في سوق الأوراق المالية، ولا طبقًا للصعود والهبوط الذي يحدث في أمور المواعدة أو الزواج.

سيخذلنا أي أساس آخر للرجاء. لا نجد إلا في المسيح سر حياة الفرح والسلام اللانهائيين، لأنه هو الوحيد الموجود لأجلنا دائمًا وفي أي موقف إلى الأبد.

وكلمًا سمحنا لله بأن يفعل ما يتوق إلى القيام به – أي إظهار أمانته وقوته في حياتنا – ازداد ميلنا إلى الاستجابة له.

■ ٤. أخبر شخصًا كل يوم عن أمانة الله معك.

يمكننا أن نتجاوب لفظيًا مع أمانة الله بطريقتين: الأولى أن نخبره كيف نرى رأفته تجاهنا، والثانية أن نخبر الآخرين عما فعله معنا. وتمتلئ المزامير بأمثلة يمكننا استخدامها لتدريب أنفسنا على كلا شكلي التجاوب؛ كان كُتّاب المزامير يخبرون الله باستمرار مدى تقديرهم لأمانته ويدعون الآخرين إلى التعرف إلى صفاته. عرف إرميا أن هناك أمورًا جديدة تتعلق بأمانة الله في كل صباح. ولذلك إذا قررنا أن نجعل القيام بإخبار شخص آخر عن معدن الله الأخلاقي ممارسة يومية، لن ينفد مخزوننا من الأشياء الموجودة لنخبرهم بها.

وهنا بعض من الأمثلة المفضلة من المزامير:

«أَمَّا أَنَا فَأَرْجُو دَائِمًا وَأَزِيدُ عَلَى كُلِّ تَسْبِيحِكَ. فَمِی یَحَدِّثُ بِعَدْلِكَ
الْيَوْمَ كُلَّهُ بِخَلَاصِكَ لِأَنِّي لَا أَعْرِفُ لَهَا أَعْدَادًا. آتِي بِجَبْرَوَاتِ السَّيِّدِ
الرَّبِّ. أَذْكُرُ بِرِّكَ وَحَدِّكَ.»

(مزمور ٧١: ١٤-١٦)

«مَرَّاحِمِ الرَّبِّ أُغْنِي إِلَى الدَّهْرِ. لِدَوْرٍ فَدَوْرٍ أَخْبِرُ عَنْ حَقِّكَ بِقَمِي.
لَأَنِّي قُلْتُ: [إِنَّ الرَّحْمَةَ إِلَى الدَّهْرِ تُبْنَى. السَّمَاوَاتُ تُبْنَى فِيهَا حَقُّكَ.]»

(مزمور ٨٩: ١-٢)

«رَمُّوا لِلرَّبِّ تَرْزِيمَةً جَدِيدَةً. رَمِّي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الْأَرْضِ. رَمُّوا لِلرَّبِّ
بَارِكُوا اسْمَهُ بَشِّرُوا مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ بِخَلَاصِهِ. حَدِّثُوا بَيْنَ الْأُمَمِ
مَجْدِهِ بَيْنَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ بِعَجَائِبِهِ.»

(مزمور ٩٦: ١-٣)

أخبر شخصًا ما كل يوم كيف أعانك الله وكيف اختبرت أمانته. امنح الناس الذين في دائرة حياتك الحق في أن يسألوك كثيرًا عن الله. ومن شأن هذه الممارسة أن تحسّن قدرتك على تذكر الأمثلة. تذكر أنه سيكون هناك دائمًا أحداث من حولك تعريك بالشك في أمانة الله.

أدرك أن هذه الظروف المؤقتة قد تلمس اهتمامك وعواطفك، تماما مثل الخراب الرهيب الذي شهده إرميا والذي قرأنا عنه في مقدمة هذا الفصل. لكن لا تتردد، شأنك شأن إرميا، في أن تقول لله كل ما تراه، لكن تأكد من أن تعطي الفرصة لأمانة الله لتكون لها الكلمة الأخيرة. وبعد كل ما يمكن أن يقال ويحدث، ستجد أنّ لديك أسبابًا وجيهة لترنم مع كاتب الترنيمة القديمة: «عظيمة هي أمانتك يا رب لي.»

تجربتي الشخصية مع أمانة الله

قال أحدهم بحق: «إنّ أطفالنا هم مصدر أعظم أفراننا وأكبر أجزائنا.» ومن المؤكد أن هذا هو الحال معي أنا وتيريزا. لدينا أربعة أبناء متزوجين من شركاء حياة رائعين وقد أنجبوا لنا عشرة أحفاد أكثر من رائعين (أنا متحيّز جدًا لهم). لدينا صورة عائلية كبيرة تجمعنا نحن العشرين معًا معلّقة على الحائط في مدخل منزلنا. وعندما تنظر إلى هذه الصورة، تشعر بأنها تؤكد الصورة النمطية القديمة التي في أذهان معظم الناس عن عائلة الراعي - عائلة سعيدة، وحسنة التكيف، ومباركة في كل شيء - عائلة بلا مشاكل.

وفي الواقع، هذه الصورة هي الصورة الأقوى في حياتي التي تشهد عن أمانة الله العظيمة في كلمته ووعوده المحددة التي أعطاها لزوجين كسيرين خرجا من عائلتي عانتا خلل وظيفي شكلتهما إدمان الكحول وأبوان أصيبا في الحرب العالمية الثانية.

آمنت أنا وتيريزا ب المسيح كبالغين. لم يقرأ أحد منا الكتاب المقدس، ولكن الله جلب أشخاصًا مؤمنين إلى حياتنا لتلمذتنا.

تزوجنا وأعدنا أنفسنا للخدمة لنكتشف أننا لم نكن نعرف كيفية التواصل وحل الصراعات أو كيفية التعامل

مع الأعباء التي أحضرناها معنا من ماضينا. استخدم الله مُحاضرًا جامعيًا ومرشد زواج أمينًا في حياتنا ليعلمنا كيف نحب ونغفر ونُشْفَى.

قبل أن تؤمن تيريزا بالمسيح، تخلّى زوج الأول عنها وتركها وحدها لتتولى تربية طفليها التوأمين، بينما غادر هو المدينة مع امرأة أخرى. ما لم أفهمه هو مدى تأثير هجره لها في نظرتها إلى نفسها. كنت أراها امرأة جميلة ومدهشة وابنة لله، لكنها رأت إلى نفسها بصورة سلبية، وبدا أنها تجاهد باستمرار في معركة ضد الخوف من الرفض والتخلي. أظهر الله لي في أمانته كيف يمكن لحبه أن يشفي القلب ويغيّر الحياة.

كان توجهي نحو الإنجاز المفرط وإدماني العمل وحبتي للأداء مفيدتين بالنسبة إلي للحصول على علامة في المدرسة ومنحة رياضية للكلية، لكن بالنسبة الولدين التوأمين اللذين نلت شرف تبتئهما، كان عليهما التعامل مع أب قاسٍ جدًا عليهما ولم تكن لديّ أية فكرة عما كان يفعل.

لكن الله في أمانته العظيمة جلب إلى حياتي آباء رائعين لأتعلم منهم وساعدني على دراسة الكتاب المقدس لأعرف منه ماذا يعني أن يكون المرء أبًا.

ولعل أسوأ مرحلة مررنا بها كانت عندما مر أحد أولادنا بحالة من التمرد. كانت أطول أربع سنوات من حياتنا وأكثرها ألمًا وحرزًا. ولم يفعل أسلوب التربوي وافتقاري إلى الحكمة سوى إلقاء البنزين على نار رحلته بعيدًا عن المسيح، ولكن الله في أمانته العظيمة حقق الوعد الذي وعده لتيريزا في وقت يأسها كأم عزباء:

«وَكُلُّ بَنِيكَ تَلَامِيذَ الرَّبِّ وَسَلَامَ بَنِيكَ كَثِيرًا.»

(إشعياء ٥٤: ١٣).

كانت صلاتي ببساطة أن يسترد الله ابني لنفسه، ولكن الله في أمانته العظيمة حوّل قلب ابني إلى يسوع بالكامل ووضع في داخله أغاني تسبيح سترددّها الأمم لتعطي التسبيح والمجد لاسمه.

عندما كنت أصغر سنًا حلمت بأن يكون لديّ ثلاثة أبناء وابنة يكبرون جيّدًا ويتزوجون زيجات حسنة ويسيرون بقوة مع الرب. كنت أتوق إلى أن أكون مثلاً رائعًا لهم، أن أعمل بجد وأن أقوم بكل الأمور بطريقة صحيحة مهما كلف ذلك. ولكن الآن بينما أنظر إلى الوراء، أرى أنّ جروحنا وصراعاتنا ومخاوفنا وانعدام الأمان لدينا هي التي دفعت بنا إلى كلمة الله، وألهمتنا لنطالبه بعوده، ودفعتنا إلى الصلاة وطلب الرب في وسط يأسنا.

باختصار – فإن عائلتنا وصورة عائلتنا ليست إلا صورة لأمانة الله العظيمة!

عش ما تعلمت

يستخدم الله ثلاث ممارسات أساسية في حياة كل مؤمن لكي يساعده على النمو والنضج. عندما تحرص على تنفيذ تلك الممارسات باستمرار من قلب صادق، لن تنمو روحياً فحسب بل ستعيش حياة ذات معنى وأكثر أهمية.

■ **اقض بعض الوقت يومياً مع الله:** التق بالله يومياً بشكلٍ شخصي من خلال قراءة كلمته والصلاة لكي تستمتع بحضوره. استمع إلى توجيهاته واتبع مشيئته.

■ **اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين:** قم بتنظيم وقتك خلال الأسبوع بحيث تسنح لك الفرصة للتواصل مع المؤمنين الآخرين في علاقات آمنة توفر الحب والدعم والشفافية والتحدى والمساءلة.

■ **كن مخلصاً للمهمة الموضوعة عليك:** اجعل من توصيل محبة يسوع إلى الآخرين من خلال الخدمة وأعمال التضحية أسلوب حياة في منزلك وعملك وكنيستك وأيضاً في أوقات المرح واللعب.

■ ١- اقض بعض الوقت يومياً مع الله

اكتب التعريف التالي على ورقة ملاحظات أو على هاتفك الذكي أو لوحتك الذكية واقرأه عندما تستيقظ في الصباح وقبل ذهابك إلى الفراش. لا تحاول حفظه، فقط اقرأه بروح الصلاة واسمح لحقيقة أمانة الله أن تناسب بلطف إلى أعماقك.

«تعتمد كل آمالنا في البركة في المستقبل على أمانة الله... لا يمكننا أن نعيش في سلام وأن نتطلع في ثقة إلى الحياة القادمة إلا إذا آمننا في أنه أمين.» أ.و. توزر

اليوم، اختار أن أضع رجائي فيك أيها الرب يسوع. لأنك وعدت أن تبقى إلى جانبي مئة في المئة من الوقت في أي حال وفي كل حال إلى الأبد.

إلى جانب هذا التعريف، اكتب مراثي أرميا ٣: ٢١-٢٤ وتأمل في هذه الفكرة. سئل نفسك في كل مرة تقرأها: «كيف سيكون الأمر لو آمنت من قلبي حقاً أن الله يحبني بغض النظر عما لدي أو ما أفعل؟ كيف سيغير ذلك في الطريقة التي أرى بها نفسي وفي كيفية تعاملتي مع الآخرين؟»

«أُرَدِّدُ هَذَا فِي قَلْبِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْجُو. إِنَّهُ مِنْ إِحْسَانَاتِ الرَّبِّ
أَنْتَا لَمْ نَفَنَّ لِأَنَّ مَرَاخِمَهُ لَا تَزُولُ. هِيَ جَدِيدَةٌ فِي كُلِّ صَبَاحٍ. كَثِيرَةٌ
أَمَانَتُكَ. نَصِييِي هُوَ الرَّبُّ قَالَتْ نَفْسِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْجُوهُ»

مراثي أرميا ٣: ٢١-٢٤

انضم إلي في جعل الصلاة الآتية صلاتك الخاصة خلال السبعة أيام القادمة:

يا رب، يا إلهي الأمين الذي لا يخزي منتظروه، بينما أنظر إلى أمانتك ومراحمك المتجددة في كل صباح، ساعدني أن:

- ♦ أضع كل خطاياي خلف ظهري، واثقاً في أنك أمين أن تغفرها.
- ♦ أجلب كل مشاكلتي بكل تفاصيلها إلى محضرك
- ♦ أتخلي عن جميع الآمال الكاذبة وأضع كل أمني فيك
- ♦ أكون متحمساً لأخبر الآخرين عن أمانتك

اسمح لليقين في أمانتك أن يملأ قلبي. ساعدني دائماً على الثقة في أنك إلى جانبي مئة في المئة من الوقت في كل حال، الآن وإلى الأبد. في اسم يسوع، آمين.

ما هي الطرق التي أظهر الله بها أمانته لك حتى في لحظات ضعفك؟

٢- اجتمع أسبوعياً مع المؤمنين الآخرين

- ♦ كيف أظهر الله أمانته في تشكيل حياتك؟
- ♦ أكثر من أربعين مرة في الكتاب المقدس، يقول الله لشعبه «اذكروا».
- ♦ من السهل أن ننسى أمانة الله لنا، وخصوصاً خلال الأوقات الصعبة. اختار الشعب الحجارة كعلامة ليتذكر أمانة الله لهم (يشوع ٤: ٧-١). انتق حجراً لمساعدتك على تذكر طريقة واحدة محددة أظهر الله بها أمانته لك. ضع الصخرة في مكان مميز بحيث تراها و«تتذكر».
- ♦ شارك مع أحد الأشخاص كيف كان الله أميناً لك.

٣- كن مخلصاً للمهمة الموضوعة عليك

- ♦ عند تشكيل الله لحياتك، منحك المواهب والموارد والخبرات التي يمكنك استخدامها للاستثمار في حياة الآخرين. اذكرها.
- ♦ فحّر بروح الصلاة كيف يريد الله منك أن تستخدم هذه الإمكانيات.



11

كيف تغيرت
رؤيتك إلى الله؟



هل تذكر اختبار الرؤية الذي قمت به في بداية الكتاب؟ والآن، بعد أن وصلنا إلى نهاية هذه الرحلة معًا، أريد أن أشجعك على إعادة الاختبار لمعرفة كيف تغيرت وجهة نظرك إلى الله.

كيف تغيرت
رؤيتك إلى
الله؟

الطاقة

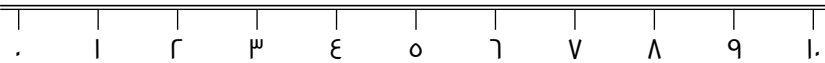
وظف أولئك الذين يعرفون الله طاقة كبيرة في خدمته

فعندما يكون لديك رؤية واضحة لله، ستكون لديك الطاقة الكافية للتعمق بكلمته. وإذا لاحظت أشياء خطأ في كنيستك، ستكون لديك الطاقة الكافية لتعمل على حلها بحب. وعندما ترى الناس في حاجة،

ستكون لديك الطاقة للتحرك من أجل عمل الله. وستكون لديك الطاقة للصلاة، وسيصبح للرب الأولوية في حياتك. وإذا كانت لديك طاقة من أجل لله، فستصبح لديك رؤية واضحة ودقيقة جدًا له. ففي أية نقطة تجد نفسك على المقياس اليوم؟ ضع دائرة حول الرقم الذي يمثلك.

طاقة منخفضة / معرفة مشوشة

طاقة عالية / معرفة واضحة



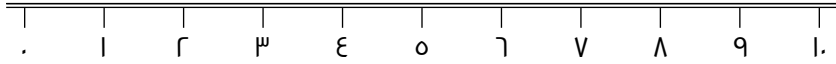
الأفكار

لدى أولئك الذين يعرفون الله أفكار عظيمة عنه.

وعندما تعرف الله، ستكون أوقات في صلاتك تجد نفسك تتحدث فيها عن جلاله ومجده وبره وقداسته ونقائه. وستجلس في صمت حيث تغمرك عظمته. وستكتشف أنه من الممكن أن تحب الله بعقلك.

أين تقع أفكارك عن الله على المقياس أدناه؟ ما الذي يتبادر إلى ذهنك عندما تحني رأسك وتبدأ بالصلاة؟ هل ينشط عقلك كلما بدأت بالتفكير في الله؟ ضع دائرة حول الرقم الذي يمثلك.

أفكار عظيمة / معرفة واضحة أفكار متدنية / معرفة مشوشة



■ الجرأة

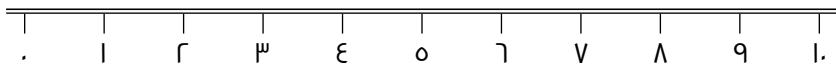
يُظهر أولئك الذين يعرفون الله جرأة كبيرة من أجله

عندما ترى الله بوضوح في وسط العالم الساقط، عليك دائماً أن تختار بين ما يفكر فيه العالم وما يقوله الله. الناس ويظهر الذين يعرفون الله حقاً جرأة في خياراتهم من أجله.

كانت الجرأة، وليست المواهب، أكبر دليل على الامتلاء بالروح القدس بين الرسل الأوائل. ويمتلئ الأصحاب الحادي عشر من العبرانيين بالإشارات إلى نساء ورجال الإيمان العظماء، وغالباً ما تكون للصفات المستخدمة في وصفهم علاقة بثقتهم بالله. لقد منحتهم معرفة الله جرأة كبيرة.

إذا كنت جريئاً بخصوص قناعاتك ولا يسيطر عليك ما يعتقد الآخرون عنك فستكون لديك رؤية واضحة عن الله، فالخوف من المجاهرة يدل على معرفة سطحية بالله. ضع دائرة حول الرقم الذي يمثلك.

جرأة كبيرة / معرفة واضحة جرأة قليلة / معرفة مشوشة



الرضا

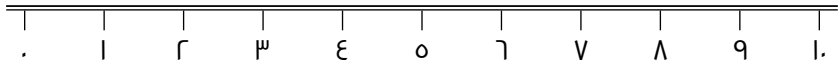
تجد لدى لمن يعرف الله معرفة حقيقية شعورًا كبيرًا بالرضا

عندما تكون لديك رؤية واضحة عن الله، ستدرك أنه كلّ العلم، وكلّي المعرفة، وكلّي القوة، وصالح للأبد. وهو موجود دائمًا لأجلك. ربما تواجه صعوبات، لكنك لا تهتم ولا تشعر بالقلق لأن حياتك هي تحت رعايته.

أنت تقول: «هذه المحنة صعبة، لكن سيد الكون بكل موارده، ذاك الذي بذل ابنه من أجلي والذي يحيا في داخلي، سيحل هذا الأمر. قد يكون الأمر صعبًا وقد أمر ببعض الصعود والهبوط، ولكن لدي السلام الذي يفوق كل عقل». يمتلك أولئك الذين لديهم شعور بالرضا في علاقتهم بالله رؤية واضحة لله. فما هو مستوى شعورك بالرضا في الوقت الحاضر؟ ضع دائرة حول الرقم الذي يمثلك.

رضا قليل / معرفة مشوشة

رضا كبير / معرفة واضحة



وأنا على ثقة بأنكم ستشعرون بتشجيع كبير كلما ازدادت رؤيتكم إلى التقدم والنمو من خلال معرفة ورؤية الله ومعابنته أكثر فأكثر. وإنني أشجعكم على مواصلة استخدام اختبار الرؤية هذا كمقياس لنظركم نحو الله، مع العلم أن حياتنا في المسيح هي رحلة مستمرة.



الخاتمة



شقت طريقها عبر الشوارع الخلفية والأزقة الجانبية، متلفتة بحذر عند كل زاوية، لتتأكد من عدم وجود أحد حولها. وعند الظهر، لم يكن هنالك ظل يخفف من حرارة الشمس الحارقة حتى في أضيّق الممرّات . غير أنها لم تكثرث.. كان الظل رفاهية للآخرين، وهو ما أبقاهم داخل منازلهم حتى يتسنى لها القيام بزيارتها اليومية السرية إلى البئر. كانت تلك هي الطريقة الوحيدة لتجنب الهمسات اللاذعة.

انغرزت الجرة الكبيرة في كتفها، وستنغرز أكثر في رحلة العودة إلى المنزل. إذ ستكون ممتلئة بالماء. ومع ذلك، كانت هذه أقل أعبائها. لم يكن أثقل شيء عليها من الاضطرار إلى القيام بهذه الرحلة وسط حشود الصباح. لم تمنع أن تحمل الوزن الثقيل بكل سرور إذا كان ذلك من شأنه أن يجنبها الإذانة التي تشعر بها في الأعين المحدقة. كان حمل الماء الثقيل وكأنه لا شيء بالمقارنة مع العار الذي تحمله.

عندما وصلت إلى البئر شعرت بالفزع لوجود رجل يهودي الملامح. وضعت الجرة الفارغة على الأرض وسحبت البرقع لتغطي وجهها. لم تكن تعتقد أن الغريب يعرفها، ولكن لم يكن هناك داعٍ للمخاطرة. فإذا كان محترماً، سيتصرف وكأنه لم يلاحظ وجودها. فكّرت أن بمقدورها أن تملأ الجرة بسرعة وتعود إلى المنزل في سلام.

لكنه تحدّث. صدمها صوت كلماته. واستغرقها الأمر دقيقة حتى أدركت ما قاله. سألتها مرة أخرى: «هل يمكنك أن تعطيني لأشرب؟» التفتت إليه من فوق كتفها لتتأكد من أنه لم يكن يتحدث إلى شخص آخر يقترب من خلفها. ولكن لا، لم يكن هناك أحد. هي فحسب، وذلك الرجل الذي بدا من لهجته أنّه جليلي.

لم تكن هناك أية نبرة ازدراء في صوته. كان هذا غير عادي - ودلالة جيدة على أن الغريب لم تكن لديه أية فكرة عن هويتها.

ومع ذلك، كان من غير المعتاد لرجل أن يتحدث علناً لامرأة وبمثل هذا القدر من التهذيب! ويا لخرابة أن يتحدث يهودي إلى أي شخص سامري أصلاً! كاد الفضول يقتلها.

قالت له بفضاظة:

«أنت يهودي وأنا سامرية. لماذا بالضبط تطلب مني أن أعطيك لتشرب؟»

ابتسم وصمت للحظة. استعدت للتوبيخ، أو على الأقل لإجابة لاذعة على سؤالها.

«لو عرفت من أنا، لطلبت مني أن أعطيك لتشربي. ولكنك أسقيتك ماء حياً.»

لم يكن ذلك جواباً على سؤالها على الإطلاق، لكنه زادها فضولاً. كان يقف أمامها يهودي وحيد متعب وعاجز من دون جرّة أو دلو لرفع الماء من البئر. ربما كان يحاول إغاظتها. ولكنها قررت أن تستمر في اللعبة. «وكيف سترفع الماء؟ أخبرني كيف ستحصل على هذا الماء الحي؟» ثم استطردت بفخر، «هذه بئر يعقوب. فلا يمكن أن تحصل على ماء أفضل من هذا.»

قال لها اليهودي بشكل ملغز: «كل من يشرب من هذا الماء يعطش مرة أخرى. لكن لديّ ماء يمنع العطش إلى الأبد، وينبع من بئر الخاصة -بئر الحياة الأبدية.»

لم يسبق لها أن سمعت قطّ مثل هذه الكلمات المثيرة للاهتمام ومثل هذه الادّعاءات غير المكبوحه. نسيت غرابة المحادثة، وابتدأت تفكر فيما لو حصلت بالفعل على ما يقدمه هذا الرجل. فلا بد أنها ستكون سعيدة. من المؤكد أن هذا يستحقّ تحمل ازدراء الآخرين إذا رأوها عند البئر مع رجل يهودي. لذلك طلبت منه بعضاً من ذلك الماء.

ومرة أخرى، طرح موضوعًا مختلفًا: «أذهبني وادعي زوجك»، فهل هذا بروتوكول قديم؟ من المؤكد أنه من شأن وجود الزوج أن يجعل المحادثة أكثر قبولاً اجتماعيًا في معظم الحالات، ولكن وضعها كان مختلفًا. إذ كانت لديها العديد من الأزواج – أو لم يكن لديها زوج على الإطلاق، يعتمد الأمر على كيفية نظرتك إليه.

قررت أن تجيب: «ليس لديّ زوج»، ستكون تلك أسهل طريقة للخروج من المأزق، وربما يقرر هذا الغريب الآن أن يعطيها ذلك الماء الحي الذي ادعى أنه يملكه.

قال لها: «أنت على حق»، لا إدانة ولا شعور بالذنب، فقط الحقيقة. «لقد كان لديك خمسة أزواج، والرجل الذي معك الآن ليس زوجك».

كم هذا محرج! كيف عرف ذلك؟ لقد رأى ما بداخل روحها. لقد عانت كثيرًا للوصول إلى البئر من دون أن يلاحظها أحد، والآن هذا الغريب يبدو وكأنه سيفضح كل ما يعرفه عنها. هل كان هذا ما أعده الله لفضح أمرها وإلصاق العار بها؟ لا، لم يكن هناك أي تلميح إلى الاتهام في صوته. لا بد أنه نبي ذو سلطة حقيقية من الله. ومن المؤكد أن لدى الأنبياء قضايا أكثر أهمية للتعامل معها. ربما يمكنها أن تشتت انتباهه عن أوجه القصور التي لديها وتحويل مسار الحديث إلى مشكلة أكبر: الخلاف بين السامريين واليهود.

«نحن السامريين نعبد الرب على جبل جريزيم، بينما اليهود يعبدونه على جبل صهيون. واحد منا هو على صواب والآخر على خطأ. فأأي واحد هو الذي على صواب؟»

لم تكن الإجابة بسيطة على ما يظهر. فهذا اليهودي أكد صحة العبادة اليهودية، ولكن ليس في شكلها الحالي. فلا علاقة للعبادة بالجبال كما قال لها، بل بما هو في القلب. وأكثر من ذلك، فإنها تتعلق بالله. كانت في أعماقها مهتمة بهذا الأمر. وهي، مثلها مثل الجميع، تتوق إلى معرفة خالقها، وقد أكد لها رفض محدثها تغيير الموضوع أن خالقها يتوق أيضًا إلى الشيء نفسه.

«قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةَ صَدِّقِيْنِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ لَا فِي هَذَا الْجَبَلِ وَلَا فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ. وَلَكِنْ تَأْتِي أَمَّا نَحْنُ فَتَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ - لِأَنَّ الْخَلَاصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ لِأَنَّ الْآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. اللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا».

(يوحنا ٤: ٢١-٢٤)

استخدم يسوع كلمة «الساجدين» أو «يسجدون» سبع مرات في حديثه مع المرأة السامرية. وأوضح أن العبادة ليست متعلقة بالمكان. فالعبادة الصحيحة لا تحدت لمجرد أننا نعرف المعلومات الصحيحة عن الله، بل تتدفق من الروح والحق - من معرفة الله نفسه.

في تلك اللحظات عند البئر، غيّر يسوع وجهة نظر تلك المرأة جذريًا عن الله. وبدأت تفكر فيه بطريقة أوسع وأعمق، كما بدأت تنظر إلى نفسها بطريقة مختلفة. لقد بدأت المحادثة كخاطئة تشعر بالعار وهي تحاول بشكل يائس أن تتجنب حقيقة خطاياها، وانتهى بها المطاف إلى أن تعبد الرب بابتهاج حريصة على إخبار الجميع عن شخص يستحق الاصغاء. تحولت بعد لقائها مع يسوع إلى شاهد مُقنع. بدأت تعرف الله وتعبد به بالروح والحق.

بدأنا هذه الرحلة لدراسة صفات الله بنقطة أساسية، وهي أن الطريقة التي نفكر فيها عن الله هي أهم جانب من جوانب حياتنا. فتح يسوع عيني المرأة السامرية لكي تدرك أن هناك ما هو أكثر بكثير لمعرفة الله من تقاليدنا المحلية التي تعلمتها. وأعطاهها جوابًا أشبع الشوق العميق في داخلها.

كما أعطاها يسوع لمحة عن الله نفسه. أظهر يسوع الذي هو بهاء مجد الله (عبرانيين ١: ٣) وتجسيد ملء الله (كولوسي ١: ١٩) معدن الله الأخلاقي لامرأة كانت في طريقها للحصول على بعض الماء.

كان طيبًا معها واهتم باحتياجاتها بصدق. كان متسيّدًا، عالمًا بتفاصيل ماضيها وبالتخطيط الإلهي الذي أدى إلى لقائهما. كان قدّوسًا في مواجهة خطيئتها. كان حكيمًا كما نرى في قدرته على اجتذابها إليه من دون أن يرفضها كما فعل الجميع. كان عادلاً ولم يسمح لأحكام البشر بأن تؤثر في رحمته للخاطيء، وتعامل معها بصراحة ونزاهة من منظور أبدي. كان مُحبًّا وأجاب بصبر على أسئلتها وسعى إلى خلاصها قبل أي شيء آخر. وكان أمينًا وحقّق إرادته لمجتمع بأسره من خلال شهادة امرأة خاطئة واحدة تائبة.

هذه واحدة من قصص عديدة يعكس فيها يسوع صفات الله بكل قوة. فإذا تساءلت يوفًا كيف يرغب الله أن تراه، فإن يسوع هو الجواب الأوضح. لم يتحدث الله لنا من خلال كلمته فحسب، بل من خلال «الكلمة» الذي صار جسدًا وحلّ بيننا. أي دليل نطلبه أكبر من ذلك؟ لم يكن هذا ليحدث لو لم الله مهتمًا بالفعل بأن نعرفه. لقد أبس الله نفسه ثوب الإنسانية ليرينا بالضبط طبيعته وهويته. إنه يريد منا أن نراه، وأن نراه كما هو حقًا.

قد كُتبت الفصول التي قرأتها للتو بروح الصلاة لمساعدتك على اختبار ذلك الشعور. أمل أن تكون قد فعلت أكثر من زيادة معرفتك العقلية عن الله. ربما أصبحت قادرًا على فهم صفات الله السبع التي اخترت تسليط الضوء عليها، وهذه بداية رائعة. ولكن أنا لا أريدك أن تتوقف حتى تختبر عظمة تلك الصفات في مجدها الذي يخطف الأنفاس.

إنني أصلي من أجلك لكي تطلب من الله بشغف أن يجعل معرفتك تقطع مسافة الخمس والأربعين سنتيمترًا من عقلك إلى قلبك، لكي تعرف، بشكل شخصيٍّ وحميمٍ وعميقٍ، الإله الذي أحبك بشكل لا يمكن لأحد أن يحبك به سوى خالقك. وأنا على ثقة بأن الأشواق تملؤك لعبادة الأب بالروح والحق.

وأنتك بينما كنت تقلب هذه الصفحات وتترىث حول بئر صفات الله على أمل أن تروي عطشك لفهم أعمق، أصلي أن يكون الله قد اقترب منك

بشكل غير متوقع وعرض عليك أن تشرب من ينبوعه الحي المتجدد. وإذا كنت تعرف المسيح كَمُخْلِصٍ وربِّ لحياتك، فهذا النبع هو في الواقع في داخلك. ونصبح من خلاله أكثر وعيًا وإدراكًا لله الذي يتوق إلى أن تراه.



ملحق



كيف تتمتع بعلاقة شخصية مع الله؟

تبدأ العلاقة الشخصية بالله بالطريقة نفسها التي تبدأ بها أية علاقة أخرى، بالتعارف.

ففي البداية، عليك أن تعرف أن الله، في المسيح، قد فعل من أجلك ما لا يمكنك أن تفعله لنفسك أبدًا. هذا هو الخبر السار. ولكي تفهم لماذا هو سار، عليك أن تسمع الأخبار السيئة. يعلمنا الكتاب المقدس بوضوح أننا جميعًا أخطأنا وأعوزنا مجد الله (رومية ٣: ٢٣). فخطيبتك وخطيبتني تفصلنا عن الله القدوس. والخطيئة هي هذا الذن الذي يزداد بشكل مستمر، وليس لدينا أية وسيلة لسداده. فنحن مفلسون روحيًا.

وما لم نحصل على مساعدة خارجية، فإن عواقب إفلاسنا الروحي القابلة للتنبؤ هي الديون والموت والانفصال الأبدي عن الله. يصف النصف الأول من رومية ٦: ٢٣ هذا الأمر بإيجاز: «لأن أجره الخطية هي موت»، ولكن لحسن الحظ، يأتي الخبر السار في النصف الثاني من هذه الآية. فالمساعدة الخارجية متاحة وهي مجانية تمامًا: «لأن أجره الخطية هي موت، أما هبة الله فهي حياة أبدية في المسيح يسوع ربنا».

قد تتساءل كيف للحياة الأبدية أن تكون هدية مجانية للخطاة. إنها مجانية بالنسبة إلينا، ولكنها كلفت شخصًا آخر الكثير الكثير. يعلمنا الكتاب المقدس أنه عندما مات يسوع على الصليب، دفع ثمن خطيبتك وخطيبتني مرة واحدة وإلى الأبد، آخذًا مكاننا (انظر رومية ٥: ٨). لقد دفع حسابنا (انظر كولوسي ٢: ١٣-١٥). فموت المسيح هو هبة نعمة من الله لك. لكن مجرد معرفتك بما فعله المسيح من أجلك لا يَدْخلك في علاقة به.

فالإعتراف بالخطيئة هي **الخطوة الأولى**، وفهم العواقب العادلة لخطيبتك هي **الخطوة التالية**. إدراكك أن المسيح قد دفع ثمن خطيبتك مرة واحدة وإلى الأبد هو **الخطوة الثالثة**. لكن لا تتوقف عند هذا الحد. يجب أن تتلقى هبة الله بالإيمان. يُعلن الكتاب المقدس:

« وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ أَيُّ
الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ.»
(يوحنا ١: ١٢).

يجب أن تأخذ الهدية، لا أن تكتفي بالمعرفة عنها. فإذا لم تأخذها بعد،
يقول يسوع لك في هذه اللحظة:

«هَتَّذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ،
أَدْخُلْ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي.»
(رؤيا ٣: ٢٠).

هذا هو العرض الذي يقدمه الله لك من خلال يسوع المسيح. إنه يريد
أن يكون معك دائمًا، ويريد منك أن تكون معه دائمًا. لماذا؟ لأنه يحبك!

القرار هو بيدك. ماذا ستفعل بخصوص هذا العرض الرائع والمذهل
لمغفرة خطاياك والتمتع بعلاقة بالله من خلال يسوع المسيح؟ فهل
تصلي الآن لتستقبله في حياتك؟ هل تعترف بخطيتك وتتحول عنها؟

يمكنك أن تأتي إلى الله الآن من خلال يسوع المسيح. يمكنك من خلال
صلاة قصيرة أن تعبّر عن الرغبة الجادة في قلبك لأن تصبح عضوًا في
عائلة الله. فإذا كنت على استعداد لفعل ذلك، صلّ معي هذه الصلاة:

يا رب، إنني أعترف اليوم بأنني خاطئ. وأنا أعلم أنني قد اقترفت
أخطاء كثيرة وأذيت كثيرين. أنا أستحق أن أعاقب على خطيئتي.
ولكنني أؤمن بأن المسيح مات لدفع ثمنها، وأنا أقبل ذبيحته
كهبة مجانية. أثق الآن بأن المسيح قد أخذ مكاني في موته،
وأنه من خلال قيامته يضمن لي الحياة الأبدية. أنا أقبلك الآن في
حياتي كمخلص. ساعدني على أن أصبح الشخص الذي تريد
مني أن أكونه. ساعدني على المسير معك طوال أيام حياتي.
أشكرك يا رب، لأنني منذ هذا اليوم فصاعدًا لن أكون وحيدًا.
شكرًا على كونك معي دائمًا. آمين.

LEVANT
MINISTRIES

LEVANT

MINISTRIES



تواصل الجيل التالي

بناء العلاقات والصدقات
والشراكة



تمكين الجيل التالي

توفير تدريب عملي
مركز على الكتاب المقدس



إرساليات الجيل التالي

إرسال شباب الجيل التالي إلى
حقول العمل والخدمة.

من نحن

ليفانت هو مصطلح تاريخي جغرافي يستخدم للإشارة إلى منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط. ليفانت اليوم تتكون من سورية ولبنان وفلسطين والأردن ومصر والعراق وقبرص ومناطق في جنوب تركيا.

ليفانت هي كلمة مترجمة من اللغة الفرنسية وتعني «المشرق» وتشير إلى شروق الشمس.

رغم قلة استعمال هذا المصطلح إلا أننا نؤمن أنه رمز قوي يوحي إلى استخدام الله لمؤسسة ليفانت في توصيل رسالة المسيح من المشرق إلى العالم كله.



NEX»TGEN

LEADERS INITIATIVE

مبادرة قادة الجيل التالي

هو توصيل رسالة الإنجيل للشباب والشابات وتجهيزهم
بالموارد الروحية وإرسالهم لتغيير المجتمعات.



هدفنا

أن نكون الجيل التالي الذي يعيش ويشارك إيمانه
بصورة مغيّرة للعائلة والكنيسة والمجتمع.



رؤيتنا

هو مساعدتك على التعرف على شخص المسيح
والنمو في مشورك الروحي مع الله.



نبض خدمتنا

AN INITIATIVE OF

LEVANT
MINISTRIES

مبادرة هيئة ليقانت

برنامج الجيل التالي

تمّ تصميم برنامج الجيل التالي بعد استشعار الحاجة ضمن الكنيسة لمشروع يركّز على إقامة الشباب من الجيل التالي.

كان برنامج الجيل التالي قادراً على تلبية هذا المطلب من خلال تطوير برنامج يركّز خصيصاً على شباب وشابات الناشئة والجامعة والخريجين من خلال نهج فريد ومتميز للتدريب والتعليم بحيث تساعد هذه المبادرة الشباب على تحقيق أحلامهم التي أعطاهها الله لهم، وتشجّع وتدعم القساوسة الرعاة والقادة في الكنيسة على التوجه نحو الجيل التالي.



البرامج

نقوم بتحقيق تواصل الجيل التالي وتجهيزهم وحشد هم من خلال البرامج التالية:

NEXTGEN CONFERENCE

مؤتمر الجيل التالي

مؤتمر الجيل التالي هو حدث تم تصميمه لتدريب وإلهام الشباب والشابات. ويهدف أيضاً إلى توفير منصة لهم للتواصل وبناء أصدقاء وشركاء خاصين.

NEXTGEN RESOURCES

موارد الجيل التالي

تم تصميم هذه الموارد لتدعم برنامج المتابعة والتلمذة الروحية. وتقدم هذه الموارد دورات تدريبية وتعليمية في التنمية الروحية والبشرية وعلم القيادة.

الإرسالية جزء أساسي من مبادرة قادة الجيل التالي. إنها العمل الكرازي والمرسلي محلياً وعالمياً. وتهدف إلى حشد وإرسال أفضل الموارد لتحقيق نتائج حقيقية بطريقة فعالة ذات كفاءة عالية.

NEXTGEN SEND

إرساليات
الجيل التالي

عربNEXTGEN

هي منصة الميديا الخاصة بالجيل التالي. تابعونا على جميع مواقع التواصل الإجتماعي للتمتع بأحدث الموارد الروحية المرئية والصوتية و أيضاً كتب ومجموعات دراسية مميزة ذات جودة عالية.

LEVANT MEDIA

ليفانت ميديا هي خدمة الإعلام التي تقوم بإنتاج وإخراج جميع موارد الميديا الخاصة بـ NEXTGEN عربي وتوزيع جميع المنتجات على قنوات التلفزيون والمنصات الرقمية ومن ثم القيام بخدمة المتابعة والتلمذة والمشورة.

تواصل معنا

عربيات NEXTGEN

nextgenarabic.com

تابعونا على مواقع التواصل



@nextgenarabic

للإتصال



01200016375

للسؤال والإستفسار ارسل إيميل شخصي لفارس على

fares@nextgenarabic.com

حمّل تطبيق الجيل التالي

